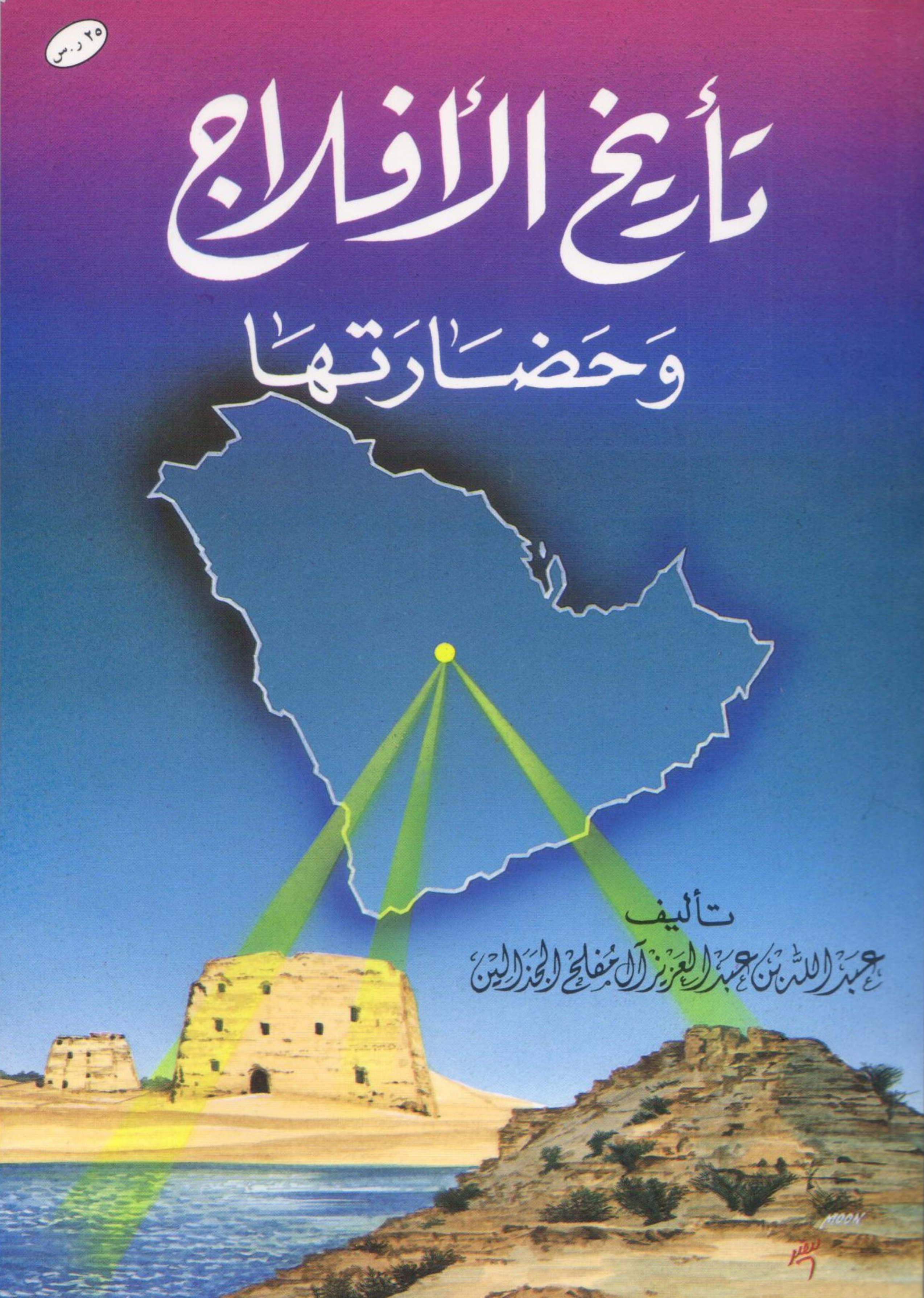

٢٥ ر.س
تاريخ الأفلاج
وحضارتها
تأليف
عبد الله بن عبد العزيز آل مفلح الجذالين

تأريخ الأفلاج وحضارتها

تأليف

عبدالله بن عبدالعزيز آل مفلح الجَذَالين

قدّم له

الشيخ حمد الجاسر

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـات

تقديم الكتاب

للشيخ: حمد الجاسر

صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل مفلح -أدام الله له الخير والتوفيق- عالمٌ مُتفتّحُ الذهن، مُتعدِّدُ جوانب المعرفة، سمح السجية، ولهذا حظي بمنزلة سامية في نفوس أهل بلده، وبين قومه وعارفيه من غيرهم، وكان مرجعاً لهم في الاستفادة من كثير من مسائل العلم سواء منها ما يتعلق بالأحكام الشرعية، أو ما يتصل بالثقافة العامة من تأريخ البلاد، وذكر أنساب أهلها، والمأثور من أخبارها وأشعارها، مما يتناقله الحفظةُ، ويرويه كبار السِّنِّ شيخاً عن شيخ.

ولقد كان بعض شُداةِ الأدب حينما يتحدثون عن هذا القطر الكريم من بلادنا الحبيبة، قُطر (**الأفلاج**) قد يأتون بمعلومات قديمة في تحديد بعض الأمكنة، أو غير ذلك مما يتعلق بأنساب القبائل، مما هو فوق مستوى إدراكهم، مما يحمل على عدم الاطمئنان إلى كثير مما يَرْوِي أولئك الشُداة، حتى تكشفت الأمور بأنهم كانوا يرجعون في كثير مما يتحدثون عنه إلى شيخ إقليمهم الشيخ عبدالله، فيتلقون من معلوماته ما يُمِدُّوْنَ به الآخرين، غير أنهم يُلْقُوْنَ بتلك المعلومات بطريقة يُعْوِزُها أَهَمُّ أُسُسِ التوثيق وهو النسبة إلى عالم يُطمأنُّ إليه، كما قيل:

وَنُصَّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ❋ فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي نَصِّهِ

وقد سبق لي أن تلقيت من بعض أبنائنا في الأفلاج معلومات عن ماضي هذه البلاد كما تلقّى غيري شيئاً من ذلك.

وما كنت بالمطمئن الواثق بكل ما تلقيت؛ لفقدان الأساس الذي به يحقق قبول الخبر عن ثقة واطمئنان.

ثم بعد ذلك، عرفتُ الشيخ عبدالله، وأدركت ما يتصف به من علم وفضل، وسعة اطّلاع، وحسن خلق، ورغبة في نفع إخوانه بما وهبه الله من العلم والمعرفة، فكانَ أنِ اسْتَعَنْتُ به في معرفة أنساب سكان تلك المنطقة، فأكرمني أكرمه الله وأمدني بتفصيلٍ وافٍ عما طلبت، نشرته في مجلة «العرب»[1] ثم أضفته إلى كتاب «جمهرة أنساب الأُسَرَ المتحضرة في نجد» في طبعته الثانية.

وها هو شيخنا الفاضل الجليل - أمد الله عمره ومنحه من القوة والتوفيق ما يمكنه من مواصلة جهده النافع في سبيل نشر العلم وإفادة طلابه- ها هو يُتْحِفُ القارئَ بمؤلفه هذا عن **«تأريخ الأفلاج وحضارتها»** وهو كتاب يفصح ما فيه عما يتصف به مؤلفه من غزارة المعرفة عن هذه البلاد التي منحها الله في قديم عهدها من خصب التربة، ووفرة المياه ما جعلها مَهْداً لأُممٍ متعاقبة موغلة في التأريخ ذات حضارات بادت وانقرضت، ولم يبقَ منها سوى إشارات ولمحات في بعض المؤلفات القديمة عن بعضها كأصحاب الرَّسِّ وعادٍ وطَسْمٍ وجَدِيْس وغيرِهم.

وليس بغريب أن توصف هذه البلاد بالحضارة والتقدم في عهدها الماضي، فقد كانت ذات أنهار تجري في مساحات واسعة من الأرض، فتؤهِّل لِتُتَّخَذَ موطنَ استقرار من يعمرها ويستفيد من خيراتها، وهكذا شأن كل بلاد صالحة للعمران البشري.

وقد يجد الباحث في ثنايا كتاب الشيخ عبدالله فجواتٍ يتمنى أن

(١) عدد شهري ذي القعدة وذي الحجة، ١٤٠٨هـ.

تكون غير خالية من تدوين بعض المعلومات، وذكر الحوادث، سواءً في العصور القديمة أو المتوسطة أو الأخيرة، ولكن الشيخ وفقه الله ورعاه قدم ما في استطاعته أن يقدم (ومَنْ مَنَحَكَ ما يَمْلِكُ لَمْ يَبْخَلْ عليك) وهذا الجزء من بلادنا كغيره من أجزاء مملكتنا السعيدة بما منحها الله من أَمْنٍ وعَدْلٍ واطْمِئْنَانٍ، مَرَّتْ بها أحقاب كثيرة مجهولة التأريخ، ولذلك أسبابه التي يدركها كل مَعْنيٍّ بالبحث والدراسة.

ويا حبَّذَا لو أن كل من منحه الله نصيباً من المعرفة في أي جانب من جوانبها أن يتفضل بنشرها أياً كان هذا النوع من العلم، فالعلم لا يموت إِلَّا بموت حملته، وبمذاكرته ونَشْرِهِ يبقى ويستمر ويُفِيد وينفع، وما فائدة عِلْم يُكْتَمُ في الصدور، ثم تخفيه بعد ذلك القبور، وإنني لآمل أن يكون في عمل الشيخ عبدالله هذا قدوة لأمثاله من إخوانه من العلماء، لِيُدَوِّن كلٌّ واحد منهم ما يعلمه عن بلدته أو منطقته أو قبيلته أو أسرته، وبذلك يصبح لدى المعنيين بالدراسات التأريخية حصيلةٌ يمكن أن يستفاد منها بعد تناولها بالتحقيق والتثبت بالطريقة العلمية الصحيحة.

أسأل الله تعالى أن يمنح شيخنا الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل مفلح قوة وتوفيقاً لكي يستفيد المعنيون بدراسة تأريخ هذا القطر مزيداً مما أمدهم به من معرفة وأن يسدد خطاه، ويصلح جميع أحواله في دنياه وأُخراه إنه على كل شيءٍ قدير.

الرياض - حمد الجاسر

كلمتنا

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فلا ريب أن القرونَ السابقة التي مرت على بلاد نجد كانت حافلةً بالعلماء والشعراء في مختلف فروع العلم والأدب، ولكن من مات منهم مات علمه معه إلا ما ندر من معلومات يأخذها الجيل عن الجيل... فقد ضاعت حياةُ أمم كاملة بكل ما فيها من أحداث وشخصيات.. وقد اُسْتُدرك هذا الأمر أخيراً وأُلفت كتب في تأريخ نجد بعد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - ومع ذلك فقد ذهب علم جمّ مع أهله يوم أن رحلوا عن الدنيا.

ومؤلف هذا الكتاب الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل مفلح الجذالين رجل بدأت اهتماماته بعلم التأريخ والأنساب منذ ستين سنة تقريباً، كان خلالها كثير القراءة والاطلاع على كتب التأريخ والأدب والأنساب[1]، وقد أخذ علماً وافراً من والده[2] رحمه الله - الذي أخذ كثيراً من المعلومات التأريخية والإنسانية -غير المدونة- من جده الشيخ سعود بن مفلح الجذالين[3]، ولا ريب فهو المعاصر لبعض أحداث المنطقة وقريب العهد ببعضها الآخر، الأمر الذي جعله متمكناً من تأريخ الأفلاج

(١) وله في علم الفرائض والفلك باعٌ طويل

(٢) والده هو عبدالعزيز بن عبدالله بن سعود بن مفلح الجذالين، ولد عام ١٣٠١هـ، وطلب العلم على يد جده، توفي رحمه الله عام ١٣٦٢هـ.

(٣) انظر ترجمته في مبحث العلماء.

وأحداثها منذ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- فبفضل الله تعالى ثم بفضل هذه الرواية التأريخية بقيت بعض المعلومات التي كادت أن تلحق بسابقاتها.

وتوالت الأزمان وكثرت القصاصات والأوراق المتناثرة المكتوبة من هنا وهناك في علوم مختلفة، ولم يجد الشيخ من يخلص له نفسه ليكتب ما تزاحم في فكره وتناثر في قصاصاته ليخرج في كتاب يستفيد منه الباحثون، وخاصة ما كان متصلاً بمنطقة الأفلاج مسقط الرأس ومرابع الصّبا والشباب.

وبعد أن تهيأت أسباب كثيرة وسنحت فُرَصٌ للكتابة قد لا تعود، عزم الشيخ عليها وعرض الأمر علينا فوافقنا راغبين مستبشرين، ولم يكن -حفظه الله- قد تعلّم الكتابة في صغره، مما يجعله يضطر إلى البحث عن كاتب حينما يحتاج إليه، وقد دعاه ذلك إلى الاعتماد على حفظه وذاكرته التي اكتنزت كثيراً من المعلومات حتى حين.

وقبل البداية في تأليف كتاب عن منطقة الأفلاج خرج على الساحة الثقافية كتابان عن المنطقة نفسها:

الأول بعنوان: منطقة الأفلاج دراسة جغرافية ميدانية، للأستاذ عبدالرحمن النشوان.

والثاني بعنوان: الأفلاج، للدكتور إبراهيم المجادعة.

وبعد خروج الكتابين أدرك المؤلف أن هناك جانباً مهماً من تأريخ الأفلاج وحضارتها الضاربة في عمق التأريخ لم يُبحث بعد، فعزم على أن يكون كتابه مشتملاً على ما رأى أن الكتابين أغفلاه. ولا ندّعي الكمال في هذا الكتاب - فالكمال لله وحده - ولكن بصدوره نرى أنه قد اجتمعت مادة علمية عظيمة في الكتب الثلاثة عن منطقة الأفلاج.

وما رأى المؤلف أن الكاتبين قد أوسعاه شرحاً وتفصيلاً طلب اختصار القول فيه قدر الإمكان والإشارة إلى الكتاب المفصِّل؛ كيلا نقع في التكرار، فالهدف خدمة تأريخ البلاد وأهلها.

ومهمتنا بهذا الكتاب كما عرفت هي التحبير، وما لنا من شاغلٍ غيرها سوى معاشرة المصادر والمراجع، وأخذ ما أوصانا به الشيخ منها، ثم عرْضه عليه من الغد، ولنا بعض من الترتيب والتنظيم والتحقيق إن وافق رأي الشيخ وإلا فلا، فنحن نعرض عليه ولا نلح في الطلب كثيراً.

ونتركك الآن أيها القارئ الكريم مع صفحات الكتاب آملين أن تجد فيه بغيتك ومرادك، ولا نقول لمن أظهر ملاحظة على الكتاب أو نقصاً فيه كما قال الحطيئة:

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم ❁ من اللّوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ولكن نرجو ممن له رأي أو استفسار أو مناقشة الاتصال بأحد الكاتبين، وله منّا جزيل الشكر والعرفان والتقدير، وصلى الله على نبينا محمد.

الكاتبان:

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز آل مفلح الجذالين

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز آل مفلح الجذالين

ص.ب. ٢٩٢٧٠ الرمز البريدي ١١٤٥٧ – الرياض

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فلقد أنعم الله تعالى على عباده بنعمة العقل والتفكير وحثهم على التفكر في آلاء الله ومعرفة أسرار هذا الكون المحكم العجيب، فأمعن الإنسان فكره في تفهم تلك الأسرار الكونية محاولاً الاستفادة مما يقع نظره عليه، فاستقر وأشاد حضاراتٍ مختلفة في الأماكن التي تهيأت فيها أسباب الاستقرار وتوفرت فيها المياه والأرض الخصبة والموقع المناسب.

ومنطقة الأفلاج التي تمثل جزءاً هاماً من هذه المملكة الفتية هي واحدة من تلك المناطق التي استقر فيها الإنسان وبنى حضارات قديمة متتالية.

والأفلاج جمع فَلَج - بفتح الفاء واللام - وهو الماء الجاري من العين أو النهر الصغير، إذ تضم سبع عشرة عيناً بعضها من أكبر العيون في جزيرة العرب، وقد كانت سيوحاً متدفقة وأنهاراً جارية وأفلاجاً عظيمة، ولا يزال جزء من المنطقة يسمى السيح ويقع عن العيون شمالاً مليء بالنخيل والزروع.. كما تمتاز البلاد بمساحتها الواسعة وأرضها المنبسطة وعيونها السائحة وأوديتها الكبيرة.. وربما سُميت في كتب القدماء بالفَلَج أو الأفلاج وقد يضاف الأول إلى الثاني فيقال: فَلَج الأفلاج، أما تأريخ تسميتها فهو قديم قدمها، يقول امرؤ القيس الكندي:

بعيني ظعن الحي لـما تحملـوا ❊ لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا

وقال لبيد بن ربيعة - وهو جاهلي أدرك الإسلام وأسلم رضي الله عنه:

فتلكم بتلكم غير فخر عليكمُ ❊ وبيت على الأفلاج ثَمّ مقيمُ

ويقول النابغة الجعدي رضي الله عنه:

نحن بنو جعدة أرباب الفلجْ نحن منعنا سيلهُ حتى اعتلجْ

نضرب بالسيف ونرجو بالفرجْ

وهذا الشاعر القحيف العُقيلي يقول:

سلوا فَلَج الأفلاج عنا وعنكمُ ❊ وأكمة إذْ سالت سرارتها دما

عشية لو شئنا سبينا نساءكم ❊ ولكنْ صفحنا عزةً وتكرما

ويقول في قصيدة أخرى:

سقى فَلَج الأفلاج من كل همة ❊ ذهاب تروّيه دماثاً وقوّدا

به نجد الصِّيدَ الغريبَ ومنظراً ❊ أنيقاً ورخصاتِ الأنامل خُرّدا

والأفلاج في العهد القديم كانت مهداً لحضارات عظيمة إذْ يرجع تأريخها إلى العصر الجاهلي، بل إن بعض المؤرخين يرجعها إلى عهد قبيلتي طسم وجديس البائدتين قبل الإسلام بقرون، وفي العصر الجاهلي وما بعده سكنها بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم بنو جعدة وبنو قُشير وبنو الحريش ونفر من بني عُقيل إذ كان أكثرهم في العقيق «وادي الدواسر» وقد ذكرت بعض المصادر وفادة بني كعب على الرسول ﷺ بالمدينة، وإعلان دخولهم في الإِسلام، وفي أثناء عصور الفتوحات وما بعدها هاجر كثير منهم إلى بلاد المشرق والمغرب ودخل بعض منهم في أحلاف مع قبائل أخرى.

وقد ترك بنو كعب في منطقة الأفلاج حضارات كبيرة، شيدوا فيها

القصور والقلاع والحصون والقرى وزرعوا الأرضين، واختلطوا بغيرهم، فكانت لهم ولبلادهم شهرة وسيادة، فالتأريخ يعرف لعبد الله بن جعدة حقه، وهو مليء بالحديث عن النابغة الجعدي، وقيس بن الملوّح الجعدي، ويزيد بن الطَثَرية، وجبل التوباد، وقرية صدّاء المشهورة بعذوبة الماء وحلاوته وسوق الفلج السامق ذي التأثير الكبير في التجارة القديمة، ومدينة الهيصميّة العظيمة وأكمة والقاع وقرن والسيوح الأربعة.

وكثير من التأريخ بأحداثه وشخصياته مذكور في كتب التراث التأريخية والجغرافية والأدبية، فقد ذكر الأفلاج ياقوت الحموي والأصفهاني والهمداني والبكري وأبو علي الهَجَري وناصر خسرو وغيرهم كثير.

وقد وصفها الأصفهاني في بلاد العرب فقال: «وبالفَلَج نخيل ومزارع وأنهار، وهو من قرى اليمامة، بينه وبين حجر (الرياض) مسيرة عشر مراحل، وبه عين يقال لها الزباء يخرج منها سبعة عشر نهراً».

وقال الهمْداني في صفة جزيرة العرب: «الفَلَج بلد أربابه جعدة وقشير والحريش بنو كعب».

ويقول أبو الدنيا: فَلَج الأفلاج نخل لبني جعدة كثير وسيوح تجري مثل الأودية. ا.هـ.

ومتى وصل الباحث في تأريخ نجد عموماً إلى القرن الخامس الهجري يجد صعوبة بالغة في معرفة أحداث التأريخ ورجاله، فقد كان التأريخ ضنيناً علينا بالمعلومات الكافية عن منطقة الأفلاج، بل لا تكاد تذكر على الإطلاق. ومن هنا يتعيّن على الباحث الرجوع إلى عدة مصادر في التأريخ العام والخاص والتراجم وكتب الأنساب والمعاجم الجغرافية وكتب الأدب... واستمرت الحال هكذا قروناً عديدة إلى القرن الحادي عشر الهجري، حيث خرج فيه وفيما بعده بعض المؤرخين الذين

كتبوا كتابات قصيرة متناثرة عن تأريخ نجد، وكانوا مقتصرين على القصيم وحوطة سدير وما حولها ولم تنل الأفلاج من ذلك نصيباً[1].

أما تاريخ المنطقة في أثناء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فمختلف عما قبله، بوجود عدد من المصادر التي استقيناه منها، ومن ذلك أن جدي الشيخ سعود بن مفلح الجذالين قد عاصر بعض الأحداث وقريب العهد ببعضها الآخر، وقد أخذ منه والدي -رحمه الله- جملة ما يعرفه عن تأريخ البلاد وأهلها فأخذته منه وذكرت في هذا الكتاب ما يستحق الذكر وتركت ما دون ذلك، ومن المصادر أيضاً ما كتبه حسين بن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥هـ ومحمد بن عمر الفاخري المتوفى سنة ١٢٧٧هـ وعثمان بن بشر المتوفى سنة ١٢٨٨هـ فقد جاء في كتبهم معلومات تتصل بالمنطقة.

وقد كتبت هذا الكتاب في ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: جغرافية الأفلاج

وتحته ثلاثة مباحث:

الأول: طبيعة الأرض.

الثاني: القرى والهجر.

الثالث: المعالم الأثرية.

---

(١) كتب في تأريخ نجد قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عدد من المؤرخين منهم:
- أحمد بن بسام ولد في أشيقر، وتوفي سنة ١٠٤٠هـ.
- أحمد المنقور، ولد في حوطة سدير عام ١٠٦٧هـ، وتوفي ١١٢٥هـ.
- محمد بن ربيعة العوسجي، ولد في حريملاء، وتوفي عام ١١٥٨هـ، وُجِدَ له في التأريخ ثمان صفحات ونصف.
- محمد بن يوسف ولد في أشيقر، وتوفي بعد عام ١١٧٣هـ،وُجِدَ له في التأريخ عشر صفحات.
- محمد بن عباد توفي عام ١١٧٥هـ.

الفصل الثاني: تأريخ الأفلاج وقبائلها في القديم والحديث

وتحته ثلاثة مباحث:

الأول: تأريخ الأفلاج السياسي.

الثاني: قبائل الأفلاج من العصور القديمة إلى القرن السادس الهجري.

الثالث: قبائل الأفلاج من القرن السادس الهجري إلى اليوم.

الفصل الثالث: الحياة العلمية والاجتماعية

وتحته ثلاثة مباحث:

الأول: التعليم والعلماء.

الثاني: الشعر والأدب.

الثالث: الحياة الاجتماعية والتجارية.

ملحق الخرائط والصور

أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً جديداً ومفيداً عن تأريخ الأفلاج، وأختم قولي بحديث العماد الأصفهاني الذي يقول فيه: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُير هذا لكان أحسن... ولو زيد كذا لكان يُستحسن... ولو قُدم هذا لكان أفضل... ولو تُرك هذا لكان أجمل... وهذا من أعظم العِبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

ويقول الشاعر:

ما خطّ كف امرىء شيئاً وراجَعَه ❁ إلا وعَنَّ له تبديل ما فيه

وقال ذاك كذا أولى وذاك كذا ❁ وإن يكن هكذا تسمو معانيه

وأخيراً أشكر الكاتبين ابني أخي حفظهم الله جميعاً، فقد بذلا جهداً

ووقتاً في الكتابة والترتيب، جاعلاً المنة الكبرى والشكر العظيم لخالقي سبحانه وتعالى؛ إذ لا يتم شيء إلا بإرادته وقضائه فله الحمد في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المؤلف

٢٧-٢-١٤١٢هـ

ليـلى

الفصل الأول
جغرافية الأفلاج

المبحث الأول: طبيعة الأرض

المبحث الثاني: القرى والهجر

المبحث الثالث: المعالم الأثرية

المبحث الأول

طبيعة الأرض

أولاً: الموقع والحدود:

تقع الأفلاج في منطقة اليمامة، الواقعة في نجد قلب الجزيرة العربية، ويمر بالأفلاج الطريق المعبد الذي يصل مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية بمنطقة عسير، وقاعدة الأفلاج «مدينة ليلى» تبعد عن مدينة الرياض بنحو ٣٠٠ كيلٍ جنوباً، وتضم منطقة الأفلاج في تضاريسها السهل إلى الجبل الذيٍ تنحدر أوديته إلى الشرق قادمة من الغرب، مما يعطيها خاصية زراعية تنفرد بها عن غيرها من المناطق الأخرى، فقد انتظمت قراها ومزارعها عبر الأودية ومجاري المياه.

أما الموقع الفلكي فالمنطقة تقع بين دائرتي عرض ٤٥، ٢٠ درجة و١٥، ٢٣ درجة شمال خط الاستواء وبين خط طول ١٥، ٤٥ درجة و١٢، ٤٨ درجة شرق خط «اغرينيتش» ويسودها المناخ القاري، ففي الصيف ترتفع درجة الحرارة، وفي الشتاء تشتد البرودة، أما الأمطار فقليلة، وسقوطها في فصل الشتاء والربيع بإذن الله تعالى.

وللأفلاج حدود طبيعية يعلمها الناس، وضعها القدماء منذ قرون مضت ليفصلوا مراعيهم عن مراعي المجاورين لهم من جميع الجهات، وهي منطقة مترامية الأطراف رحبة المراعي كثيرة المنتجعات، حيث يحدها شمالاً وادي برك، وجنوباً وادي الضبعية، وغرباً رمال الدحي، وشرقاً صحراء البياض إلى حدود الرملة أو الربع الخالي، وهي بهذه

الحدود قد شكلت مساحة شاسعة قدرت بـ ٥٤١٢٠ كيلٍ مربعٍ تقريباً[١].

وتتبع منطقة الأفلاج إدارياً منطقة الرياض، وتحدها حوطة بني تميم من الشمال، والحريق من الشمال الغربي، والخرج من الشمال الشرقي، ومنطقة السليل من الجنوب، والمنطقة الشرقية من الشرق.

وتخترق جبال طويق نصف المنطقة الغربي، وتكثر القرى والمزارع وسط الجبال حيث تنتظم بجوار الأودية والشعاب. وجبال طويق سهلة الصعود لمن قدم من الشرق إلى الغرب حيث يعلوها تدريجياً حتى يصل سفحها فيرى الأشياء تحته صغيرة، ولا يستطيع النزول من الجبال، مع أن القادم من الغرب الذي يريد الجبال لا يمكنه صعودها فهي تبدو لمشاهدها منتصبة قائمة كالجُدُر، ومع هذه المنفعة لجبال طويق يوجد منافذ من الشرق إلى الغرب ولكنها محدودة ومعروفة تنفذ معها السيارات في هذا الزمان، ومن منافذ طويق منفذ وادي برك حد الأفلاج من الشمال ومنفذ الجويفاء غرب قرية الأحمر ومنفذ الهدار.

ثانياً: الأودية والشعاب:

تكثر الأودية في منطقة الأفلاج، وذلك راجع لطبيعة سطحها وضمها السهل إلى الجبل، وعلى جوانب الأودية في المنطقة الجبلية تقع بعض القرى منها: حراضة، وستارة، والغيل، وواسط، والأحمر، والهدّار، وكثير من الهجر والمستقرات. وأودية الأفلاج تأتي كلها من الجبال باتجاه السهول، أي أنها تقدم من الغرب إلى الشرق إلا ما ندر، مع بعض التعرجات والميول. وبهذه الوديان مياه وآبار كثيرة وأغيال وقَلْتات يَرِدُها

(١) للاستزادة من الحديث عن جغرافية الأفلاج انظر كتاب (منطقة الأفلاج) للنشوان، ص٣٩، وما بعدها، وانظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

الناس والبادية، منها ما اندثر ومنها الباقي إلى اليوم، وتكثر المياه بعد سقوط الأمطار، وقد تحتفظ بعض القَلْتات بالماء لمدة سنة أو أكثر. وسنذكر أودية الأفلاج الشهيرة وبعض روافدها الكبيرة المعروفة مغفلين بعضها الآخر حتى يتسنى للمتعلم معرفة الصفة جيداً بلا تشعبات تفقد الوصف الدقة والضبط. وسنأخذها من الشمال إلى الجنوب على الترتيب فأولها:

١-وادي بِرْك:

هو الحد الشمالي للأفلاج. وسنذكره لأنه يلتقي ببعض أودية الأفلاج الشمالية، ويخرج هذا الوادي من الجبل متجهاً إلى الشرق وله روافد كثيرة منها الصغير والكبير...

٢-وادي طَلْحـا:

يخرج من الجبل باتجاه الشرق أيضاً. ويسمى في التأريخ القديم (وادي الأطلحاء) ذكره الهمداني، وقد يسمى وادي طلوح، مع أن الاسم الثاني انحصر الآن في أحد روافده.

٣-وادي بُعَيْجا:

ويأتي منحدراً من الغرب إلى الشرق. ومن روافده النعْظ الشمالي.

٤-وادي الخَبي:

رأسه شمال وادي شطاب، ويتجه إلى الشرق حتى إذا تجاوز منطقة (نسله) اتجه إلى الشمال إلى أن يصل فرشة بعيجا.

فإذا خرجت هذه الأودية الأربعة (برك - وطلحا - وبعيجا - والخبي) من الجبل، التقت جميعها عند خط الإسفلت الموجود، وبعد أن تتجاوزه تتجه كلها إلى الشمال حتى تسمى وادي العقيمي وتضرب مياهها في هجلة الدكن شرقي منطقة الخرج.

٥-وادي شُطاب:

أعلاه واديان، وادي الدّريعي من الجنوب وبه قلتات ونخيل إلى اليوم. ووادي غُلغْل من الشمال، وشِعب صغير يسمى النعظ الجنوبي شمال غُلْغُل. والدريعي وغُلْغُل واديان كبيران يخرجان من جبال طويق. وتنحدر كلها من الغرب إلى الشرق فإذا وصلت الثلاثة ماء الورهية المعروفة في التأريخ القديم باسم (الوره)، اجتمعت وسميت بوادي شطاب، وبوسطه ماء اسمه (قلها)، فإذا تجاوز خط الإسفلت الموجود بمسافة اتجه إلى الجنوب حتى يصل منطقة النهيدين وما وراءها على العكس تماماً من أودية برك وطلحا وبعيجا.

ومن عجائب قدرة الله تعالى، أن هناك ما يسمى بالنعظ الشمالي والنعظ الجنوبي، وليس بين رأسيهما إلّا قدر عشرين متراً تقريباً، ولكن الشمالي يرفد وادي بعيجا ثم يتجه بعد ذلك مع وادي برك وطلحا والخبي إلى الشمال مروراً بالعقيمي حتى يصل هجلة الدكن شرقي منطقة الخرج.

أما النعظ الجنوبي فيرفد وادي شطاب، ويتجه ماؤه معه بعد تجاوز الخط المعبد إلى الجنوب حتى يصل منطقة النهيدين ثم الرملة شرق منطقة السليل تقريباً، فسبحان من جمع بين مصدر هذين الشِّعبين وباعد بين أطرافهما، وسبحان مقسم الأرزاق والمياه.

٦-وادي الغِيْنة:

وهو وادٍ أصغر من وادي شطاب، ينحدر من الجبل ثم يصبُّ في فرشة الغينة، وبعد أن يتجاوز خط الإسفلت يرتطم الوادي بجبل اسمه مهباد الذي يرد الماء إلى الجنوب، ثم يتجه إلى البياض.

٧-وادي المِرَا:

يخرج من جبل طويق، ورأسه شمال حراضة وجنوب الدريعي، ويأتي من الشمال باتجاه الجنوب الشرقي. ومن روافده أم جرف وأم ثعابه.

٨-وادي العُرْس:

ينحدر من الجبال الواقعة جنوب وادي المرا متجهاً إلى الشرق، ويلتقي بوادي المرا عند منطقة الذكرة ثم يتجهان إلى الجنوب.

٩-وادي حَرَاضة:

يخرج من الجبال الواقعة غرب حراضة متجهاً إلى الشرق، وله روافد كثيرة.

١٠- وادي الغَيْل:

يخرج من الجبال الواقعة جنوب حراضة، ويمر بقرية ستارة ثم قرية الغيل متجهاً إلى الشرق، ومن روافده المنبعج والقذاوية وسمران ... ثم يلتقي وادي حراضة ووادي الغيل وشعب آخر يسمى مُليزق ببعضها في منطقة الرقاشية، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة استقبلت وادي العرس ووادي المرا مجتمعين قادمين من الشمال، وخرجت كل الأودية الخمسة من الجسر المعروف عند مزرعة (فراج)، وينزلن بعد ذلك إلى الفرشة ثم منطقة النهيدين والبياض، علماً بأن وادي الغيل قد أقيم به سد لحجز المياه والانتفاع بها.

١١- وادي نُوَيْل (سحاب)

يخرج من الجبال الواقعة جنوب وادي مليزق متجهاً إلى الشرق، ومن روافده أبو صوح والعويجا وأبو خَيَاله، ثم يصب في فرشة المودنية ويسمى بعد ذلك باسم وادي سحاب، ويمر بالجهة الشمالية لمدينة ليلى متجهاً إلى الفرشة.

١٢- وادي كُمْع البارود:

يقع جنوب وادي نويل، وينحدر من الغرب إلى الشرق حتى يصب في فرشة الشعال ثم في وادي سحاب.

١٣- وادي الأحْمر:

رأسه في جبل طويق بالقرب من الهدّار ويسمى وادي كُرز، ويأتي متجهاً إلى الشمال حتى إذا تجاوز بلدة الأحمر التقى بشعب الظمان الذي يأتي من الشمال إلى الجنوب حيث يرفده شعب انباع، ثم ينحدرن جميعاً إلى الشرق، ويرفده بعد ذلك غيهب من الجنوب والقحيف من الشمال، ثم يتجهن إلى الشرق حتى يرتطم الوادي بجبل المعياز الذي يجبر الوادي أن يتجه إلى الشمال، ثم تجبره الجبال المحيطة به على الاتجاه إلى الشرق، فإذا خرج من الجبال مر بكمع الأحمر واستمر في الاتجاه الشرقي إلى أن يمر شمال مزارع الخرفة ويصب جزء منه في المنبعجة ليسقي نخيل الخرفة والروضة والصغو، ويتجه معظمه إلى السيح ومنه إلى منطقة الجدول شرق سويدان ومروان والبديع ملتقياً هناك بكثير من مياه أودية الأفلاج[١]. ويسمى وادي الأحمر في التأريخ القديم بوادي أكمة لوجود جبل يسمى أكمة يمر به الوادي. وقامت بجوار الجبل قرية لبني جعدة. والجبل يسمى اليوم (فريدة الروقية).

١٤- وادي الفويْعَيه:

ينحدر من الغرب إلى الشرق ويصبّ في الدمثة ثم يلتقي بوادي الأحمر غرب مزارع الروضة.

---

(١) الجدول المذكور يختلف عن القرية الأثرية المشهورة لبني قشير فارجع إلى فصل المعالم الأثرية.

١٥- وادي المُظلّ:

يقدم من الجبال متجهاً إلى الشرق.

١٦- وادي الثُّويْر:

يقع جنوب وادي المظل ويتجه إلى الشرق.

١٧- وادي سُدير:

يقع جنوب وادي الثوير، ويتجه إلى الشرق ثم يلتقي وادي المظل بوادي الثوير ووادي سدير، ويجتمعن في فرشة الثوير وقد غلب عليهن جميعاً وادي الثوير.

١٨- وادي حَرِم:

مصدره جبال طويق، ويقدم منحدراً من الغرب إلى الشرق إلى أن يصل بلدة البديع ويسقيها، وبه نخل وآثار، وله روافد كثيرة أهمها الرفاقية.

١٩- وادي الهَدّار:

يخرج من الجبال جنوب الهدار، ورأسه يسمى وادي الحشرج حتى يخترق بلدة الهدار ثم ينحدر شرقاً، ومن روافده الفجحاني ثم أبو الهشم ثم الخلفية والدخول، وعند التقائه به متجهاً إلى الشرق يسمى المنسرقة، ثم إذا خرج من الجبال اتجه جنوباً حتى يلتقي بغيره من الأودية.

٢٠- وادي الحُنُو:

هو مجموعة من الأودية والشعاب، تلتقي ثم تسمى الحنو. أهمها وادي الهدار ووادي شثر والمسياب والطريفة وأم رجلين، كل هذه تسمى الحنو الذي يتجه إلى الشمال الشرقي ويمر من تحت الجسر الموجود جنوب

البديع، وينحدر بعد ذلك إلى الجدول ملتقياً بوادي حرم بعد خروجه من البديع.

٢١- وادي النُّتّوج:

يقع شمال الهدار، ولكنه يتجه عكس أودية الأفلاج كلها؛ لأنه يخرج من الجبال باتجاه الغرب إلى أن يصب في رمال الدحي.

٢٢- وادي الرَّكا:

يقدم من عالية نجد غرب نفود الدحي، ويقال إنه كان في قديم الزمان يخترق الدحي إلى أن يخرج من وادي برك، أما اليوم فتوقفه الرمال، وحوله الآن عدد من الهجر لقبيلة النتيفات.

٢٣- وادي الشُّطْبَتَين:

الشطبتان واديان، يعرف الشمالي منهما باسم وادي الشطبة حيث يخرج من الجبال متجهاً إلى الجنوب ثم إلى الشرق حتى يلتقي بوداي الضبعية، ويصب في منطقة المقرن. ويعرف الجنوبي من الشطبتين باسم وادي الضبعيّة، وهو الحد الجنوبي لمراعي منطقة الأفلاج، حيث يخرج من منطقة شمال خشم مشلح، وله روافد وشعاب كثيرة، ويقدم متجهاً إلى الشمال ثم ينعطف حتى يتجه إلى الجنوب الشرقي بعد أن يتصل ببعض الروافد ثم يلتقي بوادي الشطبة شمال جبل الخفوس ويلتقي بوادي سُحْب المعايا الذي ينحدر من مصيقرة، وتتجه كلها إلى منطقة المقرن.

ثالثاً: الجبـال:

الجهة الغربية من الأفلاج منطقة جبلية، حيث توجد جبال طويق الممتدة من الشمال إلى الجنوب... ونحن في هذا القسم سنذكر الجبال المعروفة في التأريخ القديم للمنطقة أو المشهورة عند أهل البلاد؛ يصفون

بها ويتغنون بها ويتذكرونها في غربتهم... منها الجبل السامق والتل المرتفع، ومنها: جبل التُّوباد بالغيل الذي قال فيه قيس بن الملوح:

وأجهشت للتوباد حين رأيتُه ❁ وكبّر للرحمن حين رآني

وفيه يقول أحمد شوقي:

جبل التوباد حيّاك الحيا ❁ وسقى الله صبانا ورعا
فيك ناغينا الهوى في مهده ❁ ورضعناه فكنتَ المرضعا
وعلى سفحك عشنا زمناً ❁ ورعينا غنم الأهل معا

ومنها جبل مِشلْح وجبل الصّفا وأم سلّوم وفحّامة كلها في الهدار، وجبل مَرْقب الدّنان في المقرن، وجبل النُّهيدين في صحراء البياض شرق الأفلاج، وجبل أكْمة الذي يمر به وادي أكمة (الأحمر)، وأكمة قديماً اسم قرية لبني جعدة تقع بجوار الوادي، وفي تلك القرية يقول عبادة الجعدي:

ألا أيها الغادي بأكْمة أهله ❁ سقى الله مسقي الغيث أرضاً تؤوبها

وجبل رُوَيَّه وهو عن قرية واسط جنوباً، وجبل خُرْطم جنوب الأحمر، وجبل المِعْياز على وادي الأحمر، وخشم ماوان في منطقة حراضة، وجبل مُريقب في الفرشة شرق قرية أسيلة، وجبل أبو رخيم شمال الغينة، وجبل العبيْد وهو على شِعْب الغينة في حال اتجاهها إلى الشرق، ثم جبل مِهْباد وهو الذي يرد مياه الغينة إلى الجنوب، ومن الجبال جبل بُرْمة شرق بعيجا. هذه أشهر الجبال المعروفة في التأريخ القديم وعند رجال البلاد في الزمن الماضي القريب.

رابعاً: الأشجار والنباتات:

تتصف الأشجار والنباتات في المنطقة بتكيفها مع الأجواء

الصحراوية، وكثيراً ما توجد في بطون الأودية والشعاب ومساقط المياه، وتختلف النباتات في مدة الحياة فبعضها يعيش ثلاث سنوات أو أربع كالحمْض وأنواعه مثلاً، ومنها ما يعيش أقل من عام واحد كالأعشاب الموسمية، أما الأشجار الكبيرة فحياتها طويلة جداً، وجدير بالذكر أنه قد مر على الأفلاج زمان يسمى زمان البرد؛ حيث اشتدت البرودة إلى درجة التجمد وكان ذلك شهر ذي الحجة عام ١٣٦٠هـ، فماتت بقدرة الله بعض من الأشجار والنباتات، وكان في أول تلك السنة جاءت أمطار كثيرة جداً على المنطقة، فانجبر الناس بعد الانكسار، فسميت السنة سنة جبار (١٣٦٠هـ)، وكذلك سنة الدبا كانت عام ١٣٦٤هـ فقد تأثر الغطاء النباتي من هذه الحشرات التي هجمت على كل أخضر فأكلته وصيّرت الربيع خريفاً.

ومن أنواع الأشجار في منطقة الأفلاج:

١-الطَّلْح:

وهو كثير الانتشار في المنطقة، وخاصة بطون الأودية بين الجبال، وله ساق ضخمة لها فروع كثيرة ذات شوك مؤذٍ، ولكن الطلحة إذا ارتفعت وكبرت جاء ظلها وارفاً مديداً واستفاد منها الناس في الجلوس والحماية من الشمس، فهي أكبر الأشجار ظلالاً في المنطقة.

٢-السَّلَم:

شجر يتصف بالقِصَر وتعدد السيقان حتى تكاد تكون قاعدة الشجرة مساوية لرأسها، فكأنها عيدان غرست في الأرض بجوار بعض. لا يستفاد من ظلها إلا نادراً ولكنْ لها أوراق تأكلها الإبل والماشية.

٣-السَّمــــر:

يكثر السمر في المنطقة، ويفضله الناس حطباً لإيقاد النار في الشتاء؛

لطيب رائحته. والشجرة ذات ساق واحدة ترتفع عن الأرض قدر ٣٠سم تقريباً، ثم تتفرع بعد ذلك إلى فروع كثيرة. يستفاد منها في الظل وساقها غالباً ما يكون أحمر أو أصفر، وله ثمر تأكله الأنعام يدر ضرعها وتعشقه كثيراً اسمه الحَبَل.

٤-السّــــدر:

يقل هذا النوع في الأفلاج، وتتصف شجرته بطول ساقها وتقارب أغصانها، وأوراقها لها شوك؛ ولكنه قليل وقصير.

٥-السَّــــرْح:

شجر عظيم كبير له ساق طويلة، وبعد أن ترتفع الساق تتفرع منها فروع كثيرة يستفاد منها في الظل. وهو كالطلح بل هو أفضل منه؛ لقلة شوكه وكثافة فروعه، وله ثمر يسمى عند الناس الدوالي.

٦-العُشَــرّ:

يتركز هذا النوع في بطون الأودية. له ساق صفراء وفروع أطرافها خضر وورقه سميك أخضر كبير. ولشجرة العشر ثمر مجوف فيه ما يسمى بلبن الشجر، وهو سائل أبيض وقد يستخدم عقاراً .

٧-نخل الغوطة (الغاطة)

وهو نخل يخرج عشوائياً، يمتاز أكثره بالقصر. وهو ذو ثمرٍ خالٍ من النوى يعرف بالشيص. ويكثر جنوب سويدان.

٨-العَــوْســج:

وهو شجر يتصف بكثرة أشواكه وأوراقه. يختزن نسبة كبيرة من الماء؛ ليرتوي منه في أشهر الجفاف الصحراوي. وتتفرع أغصانه رأسياً، ويكثر هذا الشجر على جنبات الأودية.

٩-المَـرَخْ:

وهو شجر ليس بالكبير، يخرج في بطون الأودية. وتمتاز شجرته بأنها عديمة الساق، وتصغر في فصل الصيف، ويسقط كثير من أغصانها في آخره وتبقى قاعدة الأغصان محتفظة بقليل من الماء، وتُقبِلُ الجِمال على أكلها.

١٠- القَـرَظي:

شجر متوسط الحجم، يخرج في بطون الأودية يشبه المرخ.

١١- الوَهَـط:

شجر كالسلم؛ لكنه أبيض اللون وله شوك مؤذٍ جداً. تأكل الإبل عيدانه إذا احترقت أشواكه بالنار. وطريقة ذلك معروفة لدى الناس.

أما النباتات التي تكثر في الأفلاج ويسميها أهل البلاد بالشمع -بتحريك الميم - فهي مما يعيش قرابة ثلاث سنوات أو أربع، ولا ترتفع أكثر من متر تقريباً وحجمها متوسط، ومنها ما تأكله الأنعام وترعاه. ومنها ما تكرهه ولا يصلح للرعي، وهي:

١- الشُّبْرُم:

شجيرة كثيرة الأشواك والأوراق الصغيرة، ترعاها الجِمال إذا لم تجد غيرها، تزهر في فصل الربيع وتخضرّ، أما في الصيف فتصغر، وقد يحتفظ ساقها بشيء من الماء.

٢- الجَثْجَاث:

هي شجيرة كبيرة القاعدة، لها أوراق صغيرة تحتفظ بالماء وترعاها الجمال والماشية، وتنمو كثيراً في بطون الأودية.

٣- الثُـمَام:

شجيرة لها أوراق صغيرة تحتفظ بكمية من الماء داخلها فترة من الزمن، وتمتاز بقوة جذورها، تخضرّ أوراقها وتكبر في موسم الربيع، وتكثر في بطون الأودية، أغصانها متعرجة وليست مستقيمة.

٤- العَرْفج:

تظهر هذه الشجيرة كثيراً في منطقة السهل والجبل، وتمتاز بجذر طويل يمتد إلى باطن الأرض، تجف في فصل الصيف ويبقى منها جزء حياً محتفظاً بالماء حتى موسم جديد.

٥- الشِّيح:

تتصف هذه النبتة بالرائحة الطيبة، ولها أوراق صغيرة. ساقها قصيرة تغطيها قشرة صفراء، وتحتفظ أوراقها بالماء في فصل الصيف، ويستخدم علاجاً للمعدة وقد يكون مشروباً راقياً لبعض الناس.

٦- الضّعه:

شجرة لها أوراق صغيرة، تحتفظ ببعض المياه داخلها وهي تشبه الثمام؛ إلا أن أغصانها مستقيمة.

٧- النّصي:

يمتاز بكثر أغصانه ورقتها وخضرتها في فصل الربيع، وإذا هبت الريح تمايلت أغصانها معه ولا ترتفع كثيراً.

٨- الحَمْض:

ومنه الرمث والهرْم والبُطباط والغضا والعَبَل والعَصَل، ويمتاز بالسيقان القصيرة والأوراق الصغيرة التي تختزن الماء فترة طويلة، والرمث

منه له رائحة طيبة، ويستخدم الناس بعض أنواع الحمض وقوداً لهم في الشتاء.

٩- الحَرْمل:

شجر يكثر انتشاره في المنطقة. وهو دائم الخضرة، أوراقه مستطيلة تعافه الأنعام وتكرهه، وقد يستخدم لدبغ الجلود.

١٠- الحَنْظل:

يمتاز بأنه يمتد على الأرض، فهو يشبه البطيخ. وله ثمر يشبه ثمر البطيخ كروي أخضر فيه حب يسمى الهبيد، ويكثر انتشاره بعد سقوط الأمطار، ويسمى عند أهل البلد (الشري).

١١- الشفلَّح:

شجر له أوراق مستديرة، وله ثمر يشبه ثمر الشري، ولأغصانه أشواك صغيرة حادة.

١٢- العِشْرِق:

شجر ينمو في بطون الأودية، وله أوراق كثيرة دائرية، وقد توضع ثماره في ماء ثم يشرب فيسهّل المعدة ويشفيها بإذن الله.

١٣- الحَلْفا:

وهو شجر له سيقان طويلة دقيقة، يتصف بكثافته وتقاربه من بعض، وينمو بالقرب من المياه ويكثر في منطقة السيح والعيون.

وتكثر الأعشاب بعد سقوط الأمطار في منطقة الأفلاج وتزدان الأرض بها، منها ما يأكله الناس والأنعام ومنها ما لا يُؤكل، وتتصف بأنها لا تعيش إلا موسماً واحداً، وهي كالبساط الأخضر للأرض، فلا ترتفع إلا

قدر ٢٠ سم تقريباً وقد يزيد بعضها عن ذلك قليلاً، وقد يلتصق بعضها بالأرض تماماً، ومنها:

١- القُرقَاص:

لها أوراق صغيرة، على كل غصن منها زهرة صفراء، تنبت في بطون الأودية وهي حارة المذاق يحلو للناس أكلها مع التمر، ومثلها تماماً البسباس ولكنه لا يزهر.

٢- النّفَل:

عشب يمتد على الأرض ملتصقاً بها، وقد يعلو إذا ارتوى، وله أوراق صغيرة خُضر لها رائحة طيبة منعشة تتضوع في الأجواء.

٣- المِرَار:

تمتاز شجرته بطول أغصانها وخضرتها وضخامة حجمها إذا ارتوت من الأمطار، وإذا أكلت الإبل أغصانه ظهرت علامة ذلك على فمها؛ لما يبقيه المرار من ماء أبيض بعد الأكل. ومنه سمي آكل المرار بهذا الاسم وهو أبو امرئ القيس الشاعر والفارس الجاهلي المعروف؛ لأن الرجل حين يغضب يكون كآكل المرار من الجمال لما يبقيه الغضب على فمه من ماء أبيض يدل على الثورة والطيش.

٤- الصُّفَّار:

شجرة لها أغصان خضر طويلة نسبياً وزهر أصفر جميل، وتمتاز بضخامتها بين العشب.

٥- السَّعْدان:

شجيرة مثل الحَلَم، ولها شوك لطيف مجتمع كالدائرة أسفلها ناعم جداً، ولها أغصان قصيرة خُضر.

٦- الخُزامى:

نبات طيب الرائحة وجميل المنظر، تفوح الوديان بطيب نَشْره في فصل الربيع. له زهر أحمر. تمتاز شجرته بضخامتها وكِبَـرِها بين العشب.

٧- الأُقْحُوان:

يشبه القرقاص؛ إلا أن أزهاره بيض جميلة، وله رائحة طيبة.

٨- الحُمَّاض:

يكثر في الجبال، وقد لا تجده في غيرها. وطعمه حامض وأوراقه سميكة، يختلط في أوراقه اللون الأخضر مع الأحمر أحياناً.

٩- الطُّرْثُوث:

نبات يخترق الرمال بلون أحمر قاتم، وتتفتح أزهاره بعد ذلك.

١٠- الذَّانُون:

يشبه الطرثوث تماماً في خروجه من الرمل ولونه.

١١- البَقْرا:

عشب ملتصق بالأرض، وأوراقه طويلة جداً، وتأخذ الشجرة شكل النجمة في دائريتها وأطرافها.

١٢- الخبيزا:

تنتشر فروعها على الأرض، ولها أوراق تشبه ورق العنب وليست في حجمه.

١٣- الذُّعْلُوق:

يتصف بطول أوراقه الخضر، ويخرج في القيعان عند مخارج الأودية.

١٤- الحُوذَان:

يكثر في منطقة الأفلاج، وبعض أشجاره يكون متقارباً جداً، حتى إنك ترى الأرض وكأنها قد فرشت ببساط أصفر؛ لكثرة أزهاره وتقاربه. وهو ذو أوراق كثيرة وأغصان طويلة.

١٥- البَرْوَق:

نبات قليل الأوراق يخرج في بطون الأودية بعدد من السيقان، كل ساق يحمل أزهاراً بيضاً.

١٦- العُـنْصل:

نبات له أوراق متوسطة وساق طويلة، وله زهر بنفسجي وطعم مرّ فلا تأكله الأنعام.

١٧- الخُنيْزة:

تشبه شجرة الحرمل، تظهر على جوانب الأودية. ولأطرافها زهرة بيضاء، وهي نبتة سامة.

١٨- المُلَيحة:

تظهر بين الحصى وخاصة في الجبال، وتلتصق بالأرض على شكل نجمة خضراء، وهي مما يحتفظ بالماء لمدة طويلة.

١٩- النَّقيع:

تكثر أشجاره بين الصخور، وفروعها خضر في فصل الربيع؛ إلا أن فيها أشواكاً، وتحت الأشواك أوراق ناعمة تأكلها الأرانب، ويكثر في الجبال.

٢٠- الحَلَم:

عشب كالقرقاص تماماً، أغصانه خضر وزهره أصفر.

٢١- الزَّهَر:

شجر يمتد على الأرض، سيقانه خضر.

٢٢- القُطَين:

نبات يمتاز بكثرة فروعه وأغصانه، وله أزهار مغطاة بنسيج القطن، ويكثر في المناطق الجبلية.

٢٣- الغُرَيْـرا:

تغطي السهول الرملية بلونها الأخضر وأزهارها البيض، وتأكلها الأنعام كثيراً.

٢٤- الرُمْرَام:

يكثر في الأراضي الرملية، وهي تشبه البسباس إلا أن أوراقها صغيرة جداً.

٢٥- الحُلَيْـوى:

نبات عديم الساق، تنتشر أوراقه الخضر على الأرض، ويتوسط هذه الأوراق زهرة صفراء تقترب منها الأوراق عندما تنضج البذور؛ لتقي الزهرة من الرياح.

٢٦- الصَّمْعا:

تمتاز بدقة أغصانها؛ فهي أصغر من النصي قليلاً، تأكلها الأنعام.

٢٧- الكَمَأة:

نبات تشقق عنه الأرض ويسمى بالفقع عند الناس، وهو أنواع كثيرة، لا يخرج إلا من مطر الوسمي بإذن الله.

٢٨- القُرْنُوة:

شجيرة لها زهر أبيض وأغصان خضر، ترتفع قدر شجرة القرقاص تقريباً.

٢٩- العَضِيد:

شجرة كالمِرَار والصفّار في ضخامتها وكِبرِها.

٣٠- الربْلة:

شجرة صغيرة لها ثمر تأكله الأنعام.

٣١- الأفاني:

شجيرة صغيرة مجتمعة الأغصان؛ حتى إنها تشبه الكرة في تماسكها.

وأنواع العشب كثيرة جداً لا يمكن حصرها، وما تحدثنا عنه مثال لما يخرج في مرابع البلاد ومنتجعاتها بعد تفضل الله سبحانه وتعالى بهطول الأمطار، فتكتسي الأرض حلة خضراء موشاة بالألوان والأزاهير. وندعو الله عز وجل أن يعيد على البلاد أجمعها أعواماً خلت كانت مليئة بالخير والبركات عشبها يغطي الماشية أحياناً، نسأله ذلك إنه جواد كريم.

المبحث الثاني

القــــرى والهجــــر

الأفلاج منطقة واسعة تضم ما يقارب ثماني عشرة قرية منتشرة في أرضها متباعدة المسافات، بعضها في جبال طويق وبعضها في السهول قريباً من مدينة ليلى قاعدة الأفلاج وعاصمة المنطقة، وإليك القرى:

١- مدينة ليلى:

هي إحدى المدن التي تقع على خط الجنوب المتجه من الرياض إلى منطقة عسير، وتبعد عن منطقة الرياض بنحو (٣٠٠) كيل تقريباً، والذي يظهر لنا أنه ما أطلق عليها هذا الاسم إلا تخليداً لليلى العامرية، وقامت مدينة ليلى على أنقاض قرية النقيّة شرقي ليلى الحالية، وقد سكن النقية قبيلة الشثور الذين أقاموا قريتهم على جزء من (الجدول) الذي سكنته قبيلة (قشير) في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ومدينة ليلى اليوم تعيش حالة ازدهار ونهوض في جميع المجالات.

٢- البَديْع:

قرية كبيرة تنقسم قسمين: البديع الشمالي وفيه قبيلة الصخابرة من الفرجان، والبديع الجنوبي وفيه قبيلة الشكرة، وتبعد قرية البديع بنحو (٣٦) كيلاً جنوب مدينة ليلى، وقد كانت تسمى قديماً (المذارع) وهي قرية أثرية بقربها قصور (صداء) الشهيرة وفيها قصر سلمى، وقديماً كان يسكنها بنو قشير وبنو الحريش وهي تعيش اليوم ازدهاراً ملحوظاً.

٣- الهدّار:

وهي أبعد قرى الأفلاج، حيث تبعد عن مدينة ليلى بنحو (١١٠) أكيال وهي عامرة بالسكان ففيها قبيلة النتيفات وقبيلة الوداعين وقبيلة المصارير، وتحمل هذا الاسم من قديم الزمان، فقد كان وادي الهدار كله خالصاً لبني الحريش، ومن هذه القرية هاجر آل صباح حكام الكويت وآل خليفة حكام البحرين، وهي منطقة أثرية بها كثير من القصور كقصر صبحا وحصن موسى بن نمير الحرشي وغيرهما، وقد تحولت إلى مدينة منتظمة ذات أحياء محاطة بالنخيل والأشجار، ويوجد بها مجمع قروي يقوم بمهام تطورها وازدهارها.

٤- الأحْمر:

على بعد (٦٥) كيلاً تقريباً في الجهة الغربية لمدينة ليلى توجد قرية الأحمر، وهي قرية زراعية كبيرة يسكنها قبيلة الشكرة، وبها لبني جعدة آثار وقصور، وبجوار الوادي تقع قرية (أكمة) التي اشتهر الوادي بشهرتها، ولبني قشير منازل في وادي كرز غرب قرية الأحمر، وقد سكنها آل داود والرصعان قبل مجيء الدواسر، وتعيش الآن تقدماً ملحوظاً في جميع المجالات.

٥- واسط:

قرية تقع على الطريق بين مدينة ليلى وقرية الأحمر، وتبعد عن ليلى بنحو (٤٥) كيلاً ويسكنها قبيلة آل لحيان وبعض من قبيلة الشكرة والحقبان، وهي قرية أثرية؛ إذ تسمى قديماً الباحة، سكنها بنو جعدة وأقاموا فيها الأبراج والقلاع، وتنعم الآن بالتطور الحديث في مجالات الحياة.

٦- الغَيْل:

بلد التوباد وقرية النخيل، تبعد عن مدينة ليلى بنحو (٣٥) كيلاً باتجاه

الشمال الغربي، ويسكنها قبيلة القبابنة من سبيع، وهي قرية أثرية حملت هذا الاسم من قديم الزمان سكنها بنو جعدة، وبها نخيل ودور وقصور لسيدهم عبدالله بن جعدة، وبها جبل التوباد الذي خلده بالذكر مجنون ليلى قيس بن الملوح الجعدي، وتتمتع في هذا العصر بكثير من متطلبات الحياة الحديثة.

٧- سُتَارة:

تقع هذه القرية غرب الغيل، وتبعد عن مدينة ليلى بنحو (٦٠) كيلاً، ويسكنها قبيلة القبابنة وتسمى قديماً الصدارة، تكثر بها النخيل والأشجار وتشترك مع الغيل في وادٍ واحد هي في أعلاه والغيل في أسفله، وقد وصلها التقدم والتطور فازدهرت الحياة فيها.

٨- حَرَاضَة:

في نهاية الخط الذي يوصل إلى الغيل وستارة تقع قرية حراضة على بعد (٩٣) كيلاً باتجاه الشمال الغربي عن مدينة ليلى، وهي واقعة في أعلى جبل طويق، ولاتزال تحمل هذا الاسم من قديم الزمان، يسكنها قبيلة القبابنة، وهي من أكبر مساكن عبدالله بن جعدة في العصر الجاهلي، وبها حصون وقلاع وأسوار، وتعيش الآن حياة متقدمة.

٩- السَّيْح:

وهو قسمان: السيح الجنوبي والسيح الشمالي، ويضم الشمالي القطين ورُفاع وتبعد قرية السيح بنحو (١٠) أكيال شرقي مدينة ليلى، ويسكنها قبيلة آل عمار وقبيلة آل حامد، وقد قام السيحان على جزء كبير من سيوح قبيلة جعدة (سيح الرقادي وسيح أطلس وسيح الزهْدُمي) فهي بذلك قرية أثرية اكتظت بالسكان على مر الأزمان لقربها من مياه العيون، وهي متنفس لسكان مدينة ليلى قديماً في فصل الصيف حيث الرطب والتمر،

وتشهد في هذا العصر تطوراً في مجالات الحياة.

١٠- الفُوَيْضَلِيّة:

قرية صغيرة قبل السيح بكيل واحد اشتهرت بزراعة النخيل ويسكنها آل فويضل وآل قاسم وقد تطورت كثيراً في هذا الزمان.

١١- العَمَار:

قرية صغيرة تبعد عن مدينة ليلى بنحو (٥) أكيال، لم تُسكنْ إلا قبل قرن من الزمان وربع القرن تقريباً، حيث تم شراؤها عام (١٢٨٠هـ) وبناؤها عام (١٢٨٢هـ)، سكنها قبيلة آل فهيد، ولها شهرة علمية بعد أن وفد إليها الشيخ الفاضل حمد بن علي آل عتيق عام (١٢٨٧هـ) وأصبحت مرتاد طلبة العلم القادمين لأخذه من الشيخ أو من أبنائه من بعده، وقد كثرت فيها المزارع هذه الأيام.

١٢- الخَرْفة:

قرية زراعية ذات أرض خصبة تبعد عن مدينة ليلى جنوباً بنحو (٨) أكيال، يخترقها وادي الأحمر، ويسكنها قبيلة الغياثات، وقد أخذت نصيبها من التقدم.

١٣- الرَّوْضَة:

وهي قرية زراعية تبعد عن مدينة ليلى بنحو (٩) أكيال من جهة الجنوب، ويسكنها قبيلة آل بشر وآل مبارك وآل درعان، وقد كثرت بها المزارع هذه الأيام.

١٤- الصُّغُو:

وهي قرية زراعية تقع جنوب الروضة، وتبعد عن ليلى بنحو (١١) كيلاً، ويسكنها قبيلة الحقبان، وقد اشتبكت هذه القرى الثلاث بالمزارع حتى

صارت كالقرية الواحدة حيث تمت الزراعة بشكل واسع في الآونة الأخيرة في الجهة الغربية لهذه القرى.

١٥- سُوَيْدان:

قرية زراعية قامت على أنقاض سيح إسحاق الذي اقتتلت فيه قبيلة جعدة وقشير، فهي قرية أثرية عُمرت من عهد بني كعب بن ربيعة ولا زالت إلى اليوم، وتبعد سويدان عن مدينة ليلى بنحو (٢٥) كيلاً جنوباً، ويسكنها قبيلة آل مانع، وقد شملها التطور والنمو.

١٦- مَرْوان:

قرية زراعية تبعد عن ليلى بنحو (٢٩) كيلاً، كثيرة النخيل، وهي قرية أثرية فقد قامت على جزء من قرية القاع التي سكنها بنو قشير في العصر الجاهلي والإسلامي، ويسكنها قبيلة آل مانع، وتعيش اليوم حالة ازدهار وتطور.

١٧- الرُّزَيْقِيّة:

قرية زراعية صغيرة تبعد عن ليلى بنحو (٣١) كيلاً جنوباً، يسكنها آل مانع، وبها كثير من النخيل والأشجار.

١٨- أُسَيْلَة:

وهي قرية زراعية كثيرة المياه، تبعد عن مدينة ليلى بنحو (١٠) أكيال شمالاً، وبها آبار كثيرة، فقد كان أهل مدينة ليلى في الماضي يزرعون فيها القمح شتاء ويجنون الرطب من السيح صيفاً، وهي قرية أثرية ففي شرقها مقبرة قديمة لا يعرف لها تأريخ، وفي الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية لقرية أسيلة تقع منطقة الفرشة وهي أرض منبسطة تكتسي حلة خضراء موشاة بالألوان في فصل الربيع مما يجعل النزهة فيها مغرية

لسكان مدينة ليلى، ويسكنها قبيلة آل عرفج وآل حفيظ، وغالباً ما يقلب العامة همزتها واواً فيقولون (وسيلّة)، وقد شقت طريقها إلى النمو والتقدم.

ويتبع الأفلاج كثير من الهِجَر التي وضعت للبداة مساعدة لهم في الاستقرار والتعليم والحياة الهانئة، ومن هجر الأفلاج:

١. هجرة النايفية والمودنية لآل مطره تقع شمال غرب ليلى قرب فرشة المودنية.

٢. هجرة الفُـرَيْشة لآل عبدان تقع شمال غرب ليلى وغرب هجرة الخالدية بنحو خمسة أكيال.

٣. هجرة الخالدية لآل محمد من الكبرا تقع شمال ليلى بنحو كيلين.

٤. هجرة الفيصلية للهواملة وتقع جنوب ليلى بكيل واحد.

٥. هجرة الوسَيْطاء لآل طله من الكبرا وتقع غرب مدينة ليلى بعشرة أكيال.

٦. هجرة الجبيلة لآل ضيف الله من الكبرا وتقع غرب ليلى.

٧. هجرة الزهرة وتقع غرب قرية الروضة بالأفلاج.

٨. هجرة الطوال للنتيفات وتقع غرب قرية الأحمر بنحو (٨٠) كيلاً وسط وادي الركا وبينهما وبين الهمجة (٢٣) كيلاً.

٩. هجرة آل مكمي من الكبرا وتقع غرب قرية مروان قرب جبل طويق.

١٠. هجرة العجلية للخضران وتقع جنوب مدينة ليلى بنحو (١١٠) أكيال.

١١. هجرة الشحَاطية للهواملة وتقع شرق ليلى في منتهى البياض على بعد (١٤٠) كيلاً تقريباً.

١٢. هجرة الهمْجة للنتيفات وتقع في نفود الدحي في وادي الركا تبعد عن الهدّار بنحو (١٠٠) كيل شمال غرب الهدار.

١٣. هجرة الـمُعيْزيلة للنتيفات شمال نفود الدحي وجنوب وادي الركا تبعد عن الهدار بنحو (١١٠) أكيال.

١٤. هجرة الرّقاشية لآل مطرة على طريق الغيل.

١٥. هجرة آل لمعان من الخضران قرب قرية الغيل.

المبحث الثالث

المعالم الأثرية

إن في التاريخ لعبراً وعظات، وإن لكل أمة أجلاً كما قال سبحانه وتعالى ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وما هذه الآثار والأطلال إلا شاهد على ذلك، كم عاش فيها من إنسان؟ كم ضحك وبكى؟ وأكل وشرب؟ ولكنها سنة الله الكونية في الأرض، سنة التداول كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ إن لكل المنازل منازل في قلوب أهلها، وصدق أبو الطيب:

لك يا منازلُ في القلوب منازلُ ❁ أقفرتِ أنتِ وهنّ منك أواهلُ

إنني أدعو كل باحث عن الآثار أن يتعظ بذلك فسيفنى هو وتبقى أعماله آثاراً... إننا كما تحدثنا عن غيرنا فسيتحدث غيرنا عنا فكم نحن بحاجة إلى دراسة التأريخ لنبني حاضرنا ومستقبلنا القادم على ماضٍ مشرف يحمل في طياته النور، نور القرآن والإيمان.

إننا بحاجة إلى دراسة سِيَر الرجال العظماء وقصص الماضين، وأسباب عزهم وذلهم، قوتهم وضعفهم لتكون لنا نبراساً ولجيلنا ضياء.

إن الأمة الإسلامية بمجموعها أمة تنسى ماضيها دائماً، فهي تبدأ من جديد في كل زمن، غافلة عن التأريخ والحضارة السالفة لها، فكم لُدغت ثم لُدغت.

إنني عندما أقف على أطلال الماضي تأخذني الدهشة والعظة، كيف كانوا ثم مضوا، فليت شعري ماذا سيقول الجيل القادم عنّا، ولكني أقول له: إن النجاة كل النجاة في الإيمان والعمل الصالح.

قف في ديار الظاعنين ونادها يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ
يا دارُ أين الساكنون وأين (م) ذَيّاك المقام وذلك الإكرامُ
يا دارُ أين زمان ربْعك مونِقاً وشعارُك الإجلال والإعظامُ

والأفلاج منطقة لها تأريخ عظيم وحضارة عريقة، وقد تردد اسم الفَلَج (الأفلاج) على ألسنة أمم كثيرة كانت لهم مسكنا، وبها قصور ومدن لهم ويملكون نخيلاً وزروعا.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الأفلاج كانت لطسم وجديس القبيلتين البائدتين، وبعدها استقر في الأفلاج قبائل بني كعب بن ربيعة، جَعْدة وقُشَير والحَرِيش وبني عُقيل، علماً بأن بني عُقيل في العقيق (وادي الدواسر حالياً) وبعض منهم في الرّوقية ووادي أكْمة، ومنذ تلك العصور -العصر الجاهلي وما بعده - قامت حضارة عظيمة ودارت حروب وأيام بين تلك القبائل وغيرها.

ونهضت حياتهم وشيّدوا قصوراً شامخة تضرب أعنان السماء، تعادل هممهم وتساير شموخهم وعزة نفوسهم، وأحيوا الأرض وزرعوها نخيلاً وأشجاراً، حتى إنك لترى اليوم نخيلاً باسقة كثيرة ظهرت بلا غرس تزيد الأودية جمالاً كالموجود في وادي غُلغُل والدريعي وكُرْز وحَرِم وغيرها من الأودية، يساعدهم على الزراعة ما في المنطقة في القديم من مياه جارية وجداول منحدرة تشق الأرض وتسقي الحرث.

فقد كانت الأرض في غابر أزمانها سيوحاً وأنهاراً في كل مكان منها، حتى إنه يقال إنها بلغت (٣٦٠) ساقية ونحن نعرف جداول كثيرة رأيناها وعرفناها وأيضاً آباراً وقلتات منتشرة في الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وكل ذلك زيادة على مياه العيون الكبرى المعروفة الآن في الأفلاج.

ولقبيلة جعدة مياه خاصة بها تنتشر في النصف الشمالي للأفلاج من

وادي أكْمة إلى المجازة (وهي منطقة برك والحوطة وما حولها) وسنذكرها لك خلال حديثنا عن قبيلة جعدة.

وقُشير أخذت النصف الجنوبي للأفلاج إلى الضبعيّة، ويدخل في ذلك نفود الدحي كما سيأتي في مساكن ومياه قُشير، يتخلل هذين النصفين مساكن بني عُقيل في الروقية ومساكن الحريش في صدّاء ووادي الهدّار كله.

ولقد عرفت سواقيَ كثيرةً وعميقة قادمة من الغرب إلى الشرق وتصبّ في منطقة اسمها (أبو قاعة) تقع في أسفل حاشة جنوب مزارع صُبَيِّح الآن، ولا نعلم مورداً لهذه السواقي ولا مصدراً، وكان حول (أبو قاعة) أثل عظيم يدل على حضارة غابرة قديمة.

وفي مدينة ليلى حدثني الأخ محمد بن سعد بن كليب أنه وجد بجوار بيته ساقية عميقة مدفونة بالرمل وقد رأيتها متجهة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ووجدتها في بيت آخر في الحي نفسه وموقعه الآن شرق مسجد الصالحية، ولا نعرف عن هذه الساقية شيئاً، ولعلها كانت تشق منطقة الجدول لبني قُشير التي قامت عليها مدينة ليلى، زد على ذلك أنه حدثني الشيخ سعد بن سعود آل مفلح ووالدي رحمهما الله أنهما كانا يذهبان إلى منطقة يعرفانها وسط رمال السيح الآن ويأخذان منها شجراً يسمى (خاص) لِبَرْيه والكتابة به –وهو يشبه سيقان الذرة– وأنهما يعرفان آثاراً للماء فيها، ويقول الشيخ سعد إن والدي الشيخ سعود بن مفلح كان يعرفها وأدرك وجود الماء فيها، وأنها عين ماء يردها الناس لكنه كان قليلاً فيها.

قلتُ: ولعلها في ذلك الوقت في طريقها إلى الغَوْر، وموقعها شرق مزرعة غريب آل عمار، فربما أنها كانت مورداً لأهل الهيصميّة المدينة

الأثرية العظيمة فهي في وسطها، علماً بأن جدي الشيخ سعود بن مفلح توفي سنة ١٣٣٥هـ.

وقرية البديع أيضاً مليئة بالجداول القادمة من الغرب إلى الشرق وتخترق المذارع (البديع الشمالي) حتى تصل صدّاء، أما الآبار والقلتات فكثيرة جداً ومنتشرة في جميع الأودية والشعاب، ومن برك شمالاً إلى الضبعية جنوباً ومن الدحي غرباً إلى البياض شرقاً كل الأرض كانت كثيرة المياه السائحة كثيرة العيون والآبار والنخيل وتفصيل كل ذلك في الحديث عن مساكن قبائل بني كعب بن ربيعة. وليست الأفلاج كثيرة المياه والنخيل فقط، بل فيها الكثير من القصور والحصون المنتشرة في كل الأودية والسهول وبعضها قائم الجدر الآن.. وما سقط منها معروفة مواضعه وحدوده لدينا، وتكثر في وادي غُلغُل والدُّرَيْعي وحراضة والصدارة (ستارة) والغيل وقصور الفرعة والظاهرة (بلدة الأحمر وما حولها) وقصيرات قُشير في وادي كرز وقصر روّاس[1] في سيح إسحاق (سويدان حالياً) والقُرَيْنة - بالتصغير - في المذارع، ومنطقة الوُشيل بالهدّار، وفي وادي حرم والشطبة نصيب وافر كذلك من القصور المندثرة التي قضت عليها السيول والأمطار، فالمنطقة كما ترى مليئة بالمساكن والقرى والحصون والأبراج والمياه والنخيل، منها ما بقي ومنها ما عفت عليه الدهور والأزمان، وكسته الرمال ثوبها الذهبي الساتر... ونحن في هذا الموضوع سنتحدث عن كثير من هذه المعالم الأثرية وخصوصاً التي تحدث عنها المؤرخون القدماء، أو تناقلها سكان الأفلاج فيما بينهم حديثاً ومسامرة، وسنجتهد في تحديد مواقع هذه الآثار العافية والقرى الهامدة بناء على الواقع الحالي للمنطقة؛ ليكون بذلك الاعتبار وتحصل العظة

(١) وهو غير قصر رواس الموجود شرقي ليلى.

المنشودة من معرفة الآثار، وليعلم الناس دولة هذه الأيام فيما بينهم ومصداقية قول الله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

أولاً: المدن والقصور الأثرية:

١- الهَيصَمِيّة:

مدينة عظيمة لبني صهيب من بني قُشير بن كعب بن ربيعة، عريضة الجدر، محصنّة محكمة المداخل والمخارج، ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب بقوله: والهيصمية لبني صهيب من بني قُشير وهي مدينة حصينة يركض على جدرها أربع من الخيل وجهد الغالي بالسهم أن ينال رأسها[١].

ولم يعد لهذه المدينة الكبرى أي أثر على الوجود، فقد عفا عليها الزمن وسترتها الرمال بحجاب سميك، وموقعها الآن من وادي سحاب إلى قرية العَمار وما يقابلها شرقاً، ويحدها من الغرب مزارع ليلى الشرقية، ومن الشرق السيح ويخترقها طريقه المعبد، وإنك إذا سرت في تلك المناطق لَتَجِد الأثل وأصول جذوع النخيل باقية إلى وقت قريب، أما أسوارها وأبراجها وقلاعها فلا تسأل عنها؛ لأن الأمطار والسيول والرياح والإنسان لها بالمرصاد حتى أُجْهِزَ عليها[٢].

٢- سوق الفَلَج:

تقع هذه السوق على شط وادي أكْمة (الأحمر حالياً) المتجه إلى السيح وهو حدّها جنوباً، أما في الشمال فتحدها الهيصميّة، وغرباً يحدّها الزرنوق الذي يخترقه خط الإسفلت قبيل الوادي للمتجه جنوباً، وشرقاً تحدّها

(١) صفة جزيرة العرب٣٠٥.

(٢) للإيضاح انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

قرية لجعدة اسمها المحطي وهي في الجهة الجنوبية للعمار بمحاذاة الوادي ويملكها بنو جعدة، وللسوق أهمية تأريخية وتجارية كبيرة، حيث يفد إليها أهل اليمن وقبائل نزار للتسوق فيها والبيع والشراء، هذا عن موقعها وتجارتها. أما صفتها فيقول الهمداني: وأما الحاصل من دار جعدة فسوق الفَلَج الذي تسوقه نزار واليمن وهو لبني سمرة من جعدة... وسوق الفَلَج عليها أبواب الحديد وسمك سورها ثلاثون ذراعاً... ومحيط به خندق وهو منطق بالقضاض والحجارة والشاروق قامة وبسطة خوفاً أن يحصر أو يرسل العدو السيوح عليه، وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات يشاكل ماء السماء ولا يغيض، وأربعمائة حانوت[1].

ويقول الأصفهاني: وسوق الفَلَج ببطحاء وادٍ يسمى وادي أكمة واسم الوادي كرز... والسوق مدينة عظيمة[2]. وقد حدثني أحد الإخوان أنه كان مع الماشية يافعاً في تلك المناطق وأنه عرف أصول الحيطان والفوارق بين الغرف ورأى مواضع الحدادين وعرفها بوجود خَبَث الحديد فيها، وبجوارها مواقد صائغي الذهب بلا أثر للحديد وفتاته... إن كل هذا الوصف ليدل على عظمة القوم وشدة بأسهم وحضارتهم الضاربة في عمق التأريخ.

٣- الـزُّرنُوق:

مستقر أمراء بني قشير، ويقع على شط وادي أكمة (الأحمر) من الشمال يخترقه الخط المعبد حالياً وأغلبه عن يمين السائر جنوباً، ويحده من الجنوب الوادي، ومن الشرق سوق الفلج، ولا يجاوره من الغرب ولا من الشمال منازل لأحد وإنما هي نخيل وزروع الأمراء، يجاوره السوق

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ٣٠٥.
(٢) بلاد العرب للأصفهاني ٢٢٤ بتحقيق الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي، منشورات دار اليمامة .الرياض..

والوادي، وبه كثير من الدور ذوات الحيطان والأسورة والأبراج يقول الأصفهاني: ومنازل بني قشير في ناحية السوق على شط الوادي نخيل ودور وحيطان ويسمى منزلهم الزرنوق[(١)].

٤- الجذْول:

من مساكن قشير وموقعه غرب الهيصمية فهي حده من الشرق، وقد قامت قصور النقية والجزء الشرقي من ليلى على أنقاضه، وقد أشرنا إلى الساقية التي تخترق ليلى ووجدت في الصالحية فلعلها كانت للجدول ونخيله ومزارعه، يقول الهمداني: والهيصمية لقشير والجدول أعلى منها لبني قشير[(٢)].

٥- المَحَطّي:

من مساكن بني جعدة وموقعه ما كان عن العمار شرقاً إلى القطين بمحاذاة وادي أكمة فالوادي حده من الجنوب، وسيح الرقادي (السيح الجنوبي والقطين) حده من الشرق، ومن الشمال الهيصمية، ومن الغرب سوق الفلج، وبه كثير من الدور والحيطان والنخيل يقول الأصفهاني: ومنازل جعدة فيما بين الزهدمي وسوق الفلج بمكان يقال له المحطي وهو محطي الفلج به نخيل ودور وحيطان.[(٣)]

٦- سيح الرُّقَادي:

لبني جعدة وموقعه الآن الجزء الغربي من السيح الجنوبي وما كان عنه جنوباً، وهو عبارة عن ساقية كبيرة واسعة يسيح معها الماء إلى النخيل والزروع، يقول عنه الهمداني: ولبني جعدة سيحان يقال لأحدهما

---

(١) بلاد العرب ٢٢٤.
(٢) صفة جزيرة العرب ٣٠٦.
(٣) بلاد العرب ٢٢٣.

الرقادي... فأما الرقادي فإن مخرجه من عين يقال لها عين ابن أبي أصمع ومن عين يقال لها الزَّبَّاء مختلطتين[1]. أما العينان فقد تغير اسمهما في هذا الزمان فأحدهما أم هيب والأخرى عين الباطن... ومازال السيح إلى وقت قريب يشرب منها حتى أنشئ المشروع على عين الرأس، وسنفصل القول عن هذه السواقي وطريقة توزيعها على النخيل في حديثنا عن الزراعة في المنطقة .

٧- سيح أَطْلس:

لبني جعدة أيضاً ويقع شرق سيح الرقادي السابق، أي أنه في الجزء الشرقي من السيح الجنوبي وما كان عنه جنوباً يقول عنه الهمداني: ولبني جعدة سيحان يقال لأحدهما الرقادي وللآخر أطلس... وأما الأطلس فإن مخرجه من عين يقال لها عين الناقة ويقول أهل الفلج في اشتقاق هذا الاسم إن امرأة مرت بها على ناقة لها فتقحمت بها الناقة في جوف العين فخرج بعد زمن سوارها بنهر محلم بهَجَر البحرين[2]. وهَجَر البحرين الآن الاحساء وما حولها، وعين الناقة المذكورة هي عين الرأس الآن أكبر العيون وأجملها قبل أن تغور.

٨- سيح الزُّهْدمي:

لبني جعدة ويقع شرق سيح أطلس ويمتد من الشمال إلى الجنوب ويحده من الشرق صحراء البياض وبه كثير من النخيل والأشجار. يقول الأصفهاني: فأسفل الفلج لجعدة ولهم فيه سيح يقال له الزهدمي وقد بنوا فيه حصناً هو في أسفل الفلج وهو مفضٍ إلى البياض.[3]

---

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٦.

(٢) صفة جزيرة العرب ٣٠٦.

(٣) بلاد العرب ٢٢٣.

قلتُ: اعلم وفقك الله لمعرفة الصواب أن هذه السيوح الثلاثة ليس بينها فوارق وحدود معروفة قديماً فهي كلها لبني جعدة، ولكن هذه التفرقة في الأسماء جاءت من تعدد السواقي القادمة من العيون وإلا فكلها متصلة ببعضها، أولها سيح الرقادي وعنه شرقاً سيح أطلس وعنه شرقاً سيح الزهدمي زد على ذلك كله أن وادي أكمة (الأحمر) يصبّ في هذه السيوح الثلاثة ثم يخرج مع سيح الزهدمي إلى البياض كما قال الأصفهاني... ولقد عرف الناس قصوراً بعضها هامد كالتل وبعضها قائم الجدر ويسمونها قصيرات عاد وموقعها في الجنوب الشرقي من السيح الجنوبي، فارجع إلى تفصيل القول في حديثنا عن قبائل الأفلاج وكيف نقضنا قول من يقول بهذا وأنها في الحقيقة قصور بني جعدة الذين زرعوا هذه السيوح وجعلوها مروجاً وأنهاراً.

٩- سيح إسحاق:

لبني قشير وهو عن سيوح جعدة جنوباً يقول عنه الأصفهاني: وفي ناحية قرن سيح إسحاق الذي اقتتلت فيه جعدة وقشير؛ لأنه كان لقشير ولإسحاق بن فلان فاشترته جعدة فمنعتها قشير فوقعت بينهم فيه حرب وكانت جعدة اشترته بثلاثمائة ألف درهم وهو نهر مخرجه من قناة وهو بطيحة واسعة وعليه من النخل ما لا يُدرى ما مبلغه[١]. وهو الآن منطقة سويدان وما حولها.

١٠- قَرْن:

لبني قشير يقول عنها الأصفهاني: ولبني قشير أيضاً قرية على فرسخ من الزرنوق يقال لها قرن فيها نخيل ودور ومزارع[٢]. تقع هذه القرية

(١) بلاد العرب ٢٢٥.
(٢) بلاد العرب ٢٢٤-٢٢٥

الآن جنوب الصغو المعروف إلى قرب سويدان وليس لجدرانها ودورها الآن أي وجود على سطح الأرض ولعلها منطقة الآثار الموجودة بين الصغو وسويدان والمحاطة بشبك حديدي.

١١- القاع:

قرية لبني قشير يقول الأصفهاني: والقاع أيضاً قرية لبني قشير حذاء قرن.[١] وهي بموقع مروان حالياً وما كان عنها غرباً... وقد غمرتها الرمال وقضى عليها الناس فلم يعد لها باقية اليوم.

١٢- المذَارع:

قرية عظيمة من قرى الأفلاج التأريخية وبها كثير من الحصون والقلاع سنذكرها في مبحث الحصون، وبها كثير من الدور والنخيل والزروع وهي لبني قُشير ونفر من الحريش، يقول الهمداني: وأما قُشير فهي بالمذارع وبه الحصون والنخل والزرع والسيح يجري تحت النخل والآبار أيضاً[٢]. وموقعها الآن البديع الشمالي.

١٣- صدّاء[٣]

قرية عظيمة كبيرة ذات أبراج عالية وجدر حصينة لا يزال بعضها قائم كله إلى اليوم شيدها بنو الحريش بن كعب بن ربيعة ذكر ذلك الهمداني ويقول فيها الأصفهاني: وحذاء قرن قرية أخرى يقال لها صدّاء لبني الحريش وللحريش وادٍ يدفع على صداء يسمى الهدّار.[٤] وإنك لترى

---

(١) بلاد العرب ٢٢٥.

(٢) صفة جزيرة ٤٠٣.

(٣) وقد ذكر بعض المؤرخين ماء في البياض يقال له (صداء) وليس هو المقصود بالمثل الذي يقول: ماء ولا كصداء لما أثبته بعض المحققين كياقوت وغيره من أن المشهور هي صداء الواقعة في منطقة الأفلاج.

(٤) بلاد العرب ٢٢٦.

قصوراً متفرقة وأبنية متساقطة وأكواماً من الطين والأخشاب أسقطتها عوامل التعرية بمساعدة الإنسان، ولو حافظ الناس عليها لرأيت عظمة الأمم في بنائها... تقع هذه القرية شرق ساقية آل ناهض المعروفة بالبديع.

١٤- أَكْمة:

قرية لبني جعدة سميت باسم الوادي الذي بنيت حوله وادي أكمة (الأحمر) يقول الهمداني: وسائر بني جعدة ببلد يقال له أكمة به النخل والزروع والآبار والحصون... وأكمة لبني عبدالله بن جعدة والغيل لعبدالله بن جعدة.[1] ويقول ياقوت: أكمة قرية باليمامة بها منبر وسوق لبني جعدة وقًشير تنزل أعلاها. وأكمة في الأصل اسم للجبل ثم انتقل للوادي وبه سميت القرية... ويسمى الجبل اليوم بفريدة الروقية ويقع شرق الروقية، ويمر به السيل من الجهة الشمالية والشرقية وعنه من الجنوب الخط المعبد، أما القرية ومنبرها وسوقها فقد أذابتها السيول وقضت عليها السواقط المائية من الجبال... وقد قيل فيها وفي قرية صداء كثير من الأشعار سنذكرها عند حديثنا عن المعالم التي تزار في المنطقة.

١٥- الرُّوقية:

قرية بالقرب من أكمة من قرى بني عُقيل بن كعب بن ربيعة محصنة المداخل والمخارج، قوية الجدر منيعة الأسوار، تقع قبل قرية واسط بثمانية أكيال شمال الوادي، ويحدها من الغرب شعب «أبا الهشم»، ومن الشمال الجبل، ولا تزال فيها بقايا حيطان وآبار قديمة قُضي على بعضها، وقد

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٦.

سُمي شعب قريب منها باسم الشاعر العقيلي الشهير (القحيف) ولا يزال الشعب يحمل هذا الاسم إلى اليوم[١].

١٦- الباحة:

قرية من قرى بني جعدة بها الآبار والنخيل والزروع، ويقال إن عليها علامات التقسيم، ثلاثة أقسام، كل قسم فيه قلعة كبيرة فيها أبراج حربية عالية ولاتزال بعض جدرانها قائمة إلى وقت قريب... وقد قامت قرية واسط على أنقاض قرية الباحة الأثرية.[٢]

١٧- القصر العادي:

قصر شامخ لاتزال بعض حيطانه قائمة إلى وقت قريب، يقول عنه الهمداني: والقصر العادي بالأثل من عهد طسم وجديس وصفته أن بانيه بنى حصناً من طين ثلاثين ذراعاً دكة ثم بنى عليه الحصن وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه.

ويقع هذا القصر في قرية السيح، وهو غرب القطين وجنوبي حصن مرغم «قصر العنقري» وهو مليء بالكهوف ويتصل به بناية تابعة له بطريق. بُني بالحجارة وطُلي بالجص ويسمى الآن قصر الحائط، ويقال إن بين حصن مرغم والقصر العادي خندقاً تحت الأرض لاتصال من فيها ببعض عند الحاجة[٣].

١٨- صَعنَبَى:

قرية لبني جعدة، قال ياقوت في معجم البلدان: وتقع في وادي أكمة، وقد ذكرها الأعشى في قوله:

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢٩٥ بتصرف.
(٢) صفة جزيرة العرب٢٩٥.
(٣) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

فما فلج يسقي جداول صعنبى ⁂ له مشرع سهل إلى كل مورد[1]

١٩- اللّعباء:

قرية لبني جعدة بين الباحة (واسط) والفرعة «الأحمر» ولا تزال قائمة الجدر، مع أنها تداعت للسقوط وجزء كبير منها ذهبت به السيول وتسمى الآن «لُعبة». يقول فيها مطير مولى بني جعدة:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ⁂ وصـداء مني والبـيـاض بعيـدُ
بوادٍ من اللعباء أعلاه عوسج ⁂ وأسفـلـه رمـث أحـمّ جهيـدُ

إن هذه المدن والقرى الأثرية السابقة كانت كما عرفت لبني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، جعدة وقشير والحريش وبني عُقيل، وهؤلاء القوم عاشوا في المنطقة في العصر الجاهلي وما بعده إلى عصر الفتوحات الإسلامية حيث رحلوا معها رغبةً في السكن في حواضر الدول الإسلامية، وبناء على ذلك فإن هذه القرى والقصور والأبنية الضخمة قد شيدت في العصر الجاهلي وما بعده عصر مكثهم في الأفلاج، وقد زالت كلها أو معظمها من ذلك الزمن إلى اليوم وكيف تبقى والأمطار والسيول والرياح والرمال لها بالمرصاد! وإني لأدعو قسم الآثار بجامعة الملك سعود أو غيرها من القطاعات المعنية بالآثار بالحضور إلى الأفلاج وحفر تلك القرى والاهتمام بها إظهاراً لحضارة المملكة واعتزازاً بذلك، وزيادة في الثقافة والمعرفة للنشء الجديد.

٢٠- النُّقَيّة:

قرية كبيرة حصينة ذات أبراج عالية تستخدم للحرب والاستطلاع والحماية، تقع شرق مدينة ليلى، حيث قامت ليلى على جزء منها، وقرية

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٩٧.

النقية قامت على الجزء الغربي من مدينة الهيصميّة العظيمة، وقد بنيت هذه القرية في القرن الثامن الهجري، أقامتها قبيلة الشثور المعروفة -سيأتي نسبهم- حصناً لهم وسكناً، حيث حلت هذه القبيلة الأفلاج بعد تفرق بني كعب بن ربيعة، واستمرت فيها إلى قدوم الدواسر -وسيأتي تفصيل ذلك كله- ولا تزال آثار النقية من جهة الشرق سامقة طويلة إلى اليوم، وللشثور قصور في قرية (أُسَيلة) ولكن قرية النقية أكثر شهرة وأعظم تجارة، ودليل ذلك أن رجلاً من أهل الأفلاج يقال له: مرجان الضرغام قد ذهب إلى البصرة لطلب الرزق، ولما قصد مكة للحج مع أهل البصرة وجد هناك رجلاً كبيراً فسأله عن بلدته فلما علم أنها الأفلاج قال: أنت من أهل الأفلاج وتذهب لطلب العيش في البصرة. والله لو تعلمون يا أهل الأفلاج ما في قصور النقيّة من الكنوز والأموال لأغنتكم عن بكرة أبيكم. فهذه القصة -إن صحت- دليل كافٍ على عظمة القوم وحضارتهم العميقة.

وحدود قرية النقية الحالية هي: من الشمال: قصر الدهيمي والبشري وأم سدرة والعَمارة وأرض آل فالح الجذالين. ومن الجنوب: خط السيح المعبد. ومن الغرب: نزهة والنبيطي وأم العضيد والغبشاني والزبني والكليبي والمحسنية وقليب ابن صافي. ومن الشرق: أرض موات والمقبرة الشرقية، أما أم السمِنْ فنصفها في النقية ونصفها خارجها.

٢١- الشُّطبة:

قرية أثرية تقع بجوار وادي الشطبة في الجهة الجنوبية من الأفلاج، بناها الخضران من الدواسر قبل مائتي سنة وسكنوا بها، حاول أهلها الخروج عن طاعة الإمام فيصل بن تركي فأرسل إليهم فرقة من الجيش فهدمت كثيراً من بيوتهم وقلعت نخيلها وذلك عام ١٢٦١هـ، وبعده قلّ

سكّانها وانطفأ نورها إلى أن تركت بالكلية في الزمن القريب ولا تزال إلى اليوم قائمة الجدر.

٢٢- قصر سلمى:

قصر كبير كثير الأسوار المتكررة حماية لساكنيه، سليمة جدره إلى اليوم، ويقع في قرية البديع الشمالي وقد أخطأ من جعله هو حصن العقيدة الذي ذكره الهمداني. أما عرض حائطه فأربعة أمتار وإذا اعتلى قلّ عرضه، وارتفاعه عشرة أمتار أو تزيد، والقلعة مصممة على شكل سداسي كل زاوية لها برج للمراقبة والدفاع، ويحيط بالقصر خندق عرضه عشرة أمتار وعمقه مثلها يُملأها بالماء في حالة الشدة والخوف، وقد بناه حماد الجميلي في منتصف القرن العاشر الهجري حماية لنفسه وقبيلته من هجوم شريف مكة عليه، وقصة بنائه أن حماداً الجميلي كان يرسل إتاوة سنوية لشريف مكة ثم عنّ له أن يتوقف عنها سنة من السنوات لما رأى على طريقه من أن ضباً حمى نفسه من خطر السيل لكيلا يدخل جحره فرجع حماد إلى البديع وبنى القصر وخندق ما حوله وملأه بالماء، ولما علم الشريف بذلك أرسل جيشاً لمحاربته وجاء الجيش ومكث عند القصر أربعين يوماً ولم يستطع اقتحامه، ولما رجع القائد للشريف قال له: وجدنا سلمى أسفلها في الماء وأعلاها في السماء. وفي عام ٩٨٩هـ قدم الشريف إلى الخرج للقضاء على فتنة هناك وبعده توجه للبديع لمقابلة حماد الجميلي بنفسه وتمكّن من القضاء على ثورته وإرغامه دفع الإتاوة، ثم توجه الشريف للحجاز عن طريق الهدّار لأنه منفذ من جبال طويق، ولم يكن يعلم أنه سيقابل رجال الجميلات أمامه ولكنه قابلهم وهم في رؤوس الجبال، وحصل لقاء انتهى بقتل رجال من الطرفين[١].

(١) تأريخ نجد لابن بشر (السوابق) ١٩٥، وانظر ملحق الخرائط والصور.

٢٣- قصر صَبْحا:

هو قصر حصين بناه أجداد فيصل الجميلي الشاعر الشهير وقد عمره بعدهم بالكرم والسخاء، استخدم هذا القصر مركزاً لقبيلته جُميلة في الهدار، ولا زال قائم الجدر إلى اليوم، وبعضهم يسميه هذه الأيام (طفيه)؛ لانطفاء نوره بعد رحيل أهله وهجرهم له عندما رحل فيصل الجميلي إلى الكويت في آخر القرن الثاني عشر الهجري.[1]

٢٤- قصور آل داود:

تقع قصور آل داود في الأحمر حالياً، وهم من الذين يسكنونه قبل الدواسر، ويرجعون إلى الهواجر المعروفين، ولا تزال بعض حيطان القصور موجودة إلى اليوم يعرفها الجميع.

٢٥- قصور الرُّصعَان:

تقع قصورهم في الـمُوَيصل في وادي الأحمر، وكانوا قبل الدواسر في تلك الديار وقصصهم مع الدواسر معروفة ومتناقلة، وينتسب الرصعان إلى قبائل سبيع، وقد هلك بعضهم وبعضهم نزح، ويشترك معهم آل شايقة من العجمان فقد كان لهم ديار ونخيل.

٢٦- قصور آل بازع:

يقع هذا القصر في ليلى في حي المبرز الذي كان يسكنه قبل الدواسر قبيلة الكسالين التي انقرضت، وقد بنى المبرز آل بازع بعد أن قدموا مع الدواسر في أول القرن الحادي عشر الهجري إلى الأفلاج، ومقرّه المدرسة القديمة وما كان عنها شمالاً وشرقاً، ويسمى هذا القصر «بهجة». وتكثر

(١) انظر ترجمته ص١٦٠ من هذا الكتاب.

في الأفلاج قصور القبائل ومساكنها، ومن القصور في ليلى قصر آل بوراس، وقصر العجالين، وقصور آل حمدان في الجفيدرية، وقصر آل جابر، وقصر آل رشود، وقصر آل حجّي في المبرز، وقصر آل دخيل الجذالين شرقي ليلى، وقصر آل مفلح الجذالين لا زال قائم الجدر والأبراج، وقصر الجبارين شرقي ليلى، وقصر البطرة بناه فهاد بن دخيل الله آل حامد وهو موجود على طريق السيح شرقي ليلى، ومن قصور الأفلاج قصور القبابنة في الغيل وستارة وحراضة، وقصور آل حفيظ وآل عرفج وآل رحمة في أسيلة. وقصر آل فهيد في العمار، وقصور الغياثات في الخرفة، وقصر آل مبارك، وقصر آل بشر في الروضة، وقصور الحقبان في الصغو، وقصور آل عمار وآل حامد في السيح، وقصور الشكرة في الأحمر والبديع الجنوبي، وقصور آل لحيان في واسط، وقصور آل مانع في مروان وسويدان والرزيقية، وقصر الصخابرة في البديع الشمالي، وقصور النتيفات في الهدار، وأكثر هذه القصور سقطت حيطانه وأسقفه ولم يبق إلا ترابه، وبعضها وصلته يد المدنية فهُدم وأقيم مقامه الأبنية المسلحة بالإسمنت والحديد، وأما القليل فلا زال قائماً ولكنه يَهمّ بالسقوط ألماً وحسرة على فراق من عمروه بالذكر والتقوى وإطعام الفقير وابن السبيل وإصلاح ذات البين.

ثانياً: الحصون الأثرية:

تكثر الحصون والقلاع الحربية في منطقة الأفلاج، التي شيدها بنو جعدة وقشير والحريش وبنو عقيل لمقابلة أعدائهم والترصد لهم، وستجد أيها القارئ الكريم في فصل تأريخ الأدب في المنطقة ذكر أيام وحروب دارت بين هذه القبائل وغيرها من القبائل العربية المجاورة، وقد قامت هذه الحصون بالكثير من المهام الحربية منها ما نعرف ومنها ما سقط من الرواة فأهملوه، وقد ذكرنا بعض القصور السابقة التي كانت تجمع بين متطلبات حياة القصر ومهام الحرب، حيث توجد بها الأبراج المعدة

للاستطلاع والتحصن الحربي، ومن ذلك: قصر سلمى المعروف بالبديع، والقصر العادي (قصر الحائط) بالسيح، وغيرها من القصور، وأطراف القرى الأثرية حيث بنيت فيها الأبراج، وجُهِّزت للقاء الأعداء.

• حصن مرغم:

حصن عظيم عالي الجدر مرتفع الأبراج الحربية، بناه وسكنه بنو جعدة بن كعب، يقول عنه الهمداني: ثم على إثرها من سيحي جعدة حصن يقال له مرغم، أي يرغم العدو بامتناعه دونه وهو لبني أبي سمرة. ولا تزال جدره باقية سليمة عرضها ثلاثة أمتار، وهو مقسم ثلاثة أقسام معروفة لمن يدخله، ويقع الآن في قرية الفويضلية بالسيح، ويسمى عند الناس (قصر العنقري)[1].

• حصن موسى:

هو حصن موسى بن نمير الحرشي، يقع بالقرب من الهدّار ذكره الهمداني بقوله: «وبالهدّار حصن موسى بن نمير الحرشي وحصن أبي سمرة وحصن زل عني اسمه». ولا يزال هذا الحصن مجدد المعالم قائم الحيطان إلى وقت قريب. وقد وَهِمَ من جعله قصر صبحا المعروف بالهدار؛ لأن حصن موسى يقع عند ماء القطنية التي تبعد عن الهدار بنحو ثلاثين كيلاً.

وقد ذكر الهمداني حصون الهدار خلال حديثه عن الحريش ومساكنهم وأردف ذلك بكثير من الحصون الحربية لبني قشير في المذارع ولجعدة في حراضة ولم يذكر ما للقبيلتين من حصون وقلاع حربية بالقرب من وادي أكمة والسيوح مكتفياً بذكر المدن والقرى لاشتمالها على

---

(١) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

المستلزمات الحربية، وقد عرفنا جميعاً صفة مدينة الهيصمية وقلاعها وسوق الفلج والقصر العادي والمحطي والزرنوق وغيرها من مساكنهم في سهول الأفلاج، يقول في حصون قشير بالمذارع «البديع الشمالي»: وأما قشير فهي بالمذارع وبه الحصون والنخل والزرع، والسيح يجري تحت النخل والآبار أيضاً، فأول حصون بني قشير بالمذارع:

- حصن العقيدة من بني فراش، وأهله جفنة الفلج كرماء وجوه ذوو العدد.
- حصن السّمريين وهم بنو أبي سمرة من جعدة.
- حصن الفراشيين من بني فراش.
- وحصن بني عياض، وعياض من الحريش لصداء من المذارع.
- وحصن بني نُبيت من بني قرة بصدّاء من المذارع.
- وحصن العادية بالصافية لبني سَوَادة من قشير وهم طوالع الأحساب.
- وحصن آل شبل بالصافية أيضاً من بني هريم.
- وحصن بني النجوى من بني هريم.
- وحصن الحجاف بن العنبر الهريمي.
- وحصن آل ضرار من بني هريم.
- وحصن بني ثور.
- وحصن بني صهيب بأكمة.
- وحصن بني قرط من قشير.

وبالمذارع وغيرها من قصب دون الحصون لطاف تسمى الثنية، منها:

- قصبة يقاتل عليها.
- ومنها قصبة الشآمي.
- وقصبة آل ركيز.

- وحصن بني عبدالله من آل حيان.
- وقصبة عميثل.

وهذا كله بالمذارع[1].

وذكر بعد هذا حصن الأحابشة من قشير. وفي بلد عبدالله بن جعدة حراضة يوجد حصن آل لاحم وحصن آل مقرن وغيرها كثير.

ولن نستطيع حصر هذه الحصون والقلاع، وإنه لحري بقبيلة كهذه لها قوتها ومنعتها ورجالها وديارها أنْ لا يحصى لها حصون ولا تحد لها قوة. وستعرف في فصل تأريخ الأدب كيف أن هؤلاء القوم يفتخرون بقبيلتهم ويشيدون بأمجادها ومكانتها بين القبائل العربية. وإن لهم أياماً سجلها التأريخ لهم على القبائل الأخرى منها: يوم وادي حراض، ويوم الرحرحان، ويوم نساح، ويوم الفلج، وغيرها كثير.

ثالثاً: **المعالم الأثرية التي تزار في المنطقة**:

سبق أن قلنا إن المنطقة كثيرة القرى الأثرية والقصور القديمة حتى إنه لا يكاد يخلو وادٍ أو سهلٌ من قصر مشيد أو حصن منيع تجاوره النخيل والأشجار أو قرية متكاملة كبيرة، ولازالت بقية هذه القصور منتشرة في الأودية وعلى رؤوس الجبال كما ذكرنا في مقدمة هذا المبحث.

ونحن في هذا الجزء سنتحدث عن المعالم التي تزار في المنطقة، سواء منها القصر المشيد أو الجبل الشهير أو عيون الماء الكبرى؛ لكي يكون دليلاً لمن يريد التعرف على أمجاد البلاد وتراثها الضارب في أعماق التأريخ بعد أن يقرأ كل ما كتبناه عنها وعن تأريخها القديم.

---

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٤_٣٠٥.

١- عيون الأفلاج:

إنها حقاً بحيرات وسط الصحراء، فعلى بُعد سبعة عشر كيلاً جنوب مدينة ليلى تقع أجمل وأكبر بحيرات في شبه الجزيرة العربية ذات الطابع الصحراوي.

وتقول الدراسات الحديثة إن الرواسب الجصية المحيطة بالعيون والمنتشرة في المنطقة تؤكد أن العيون قديماً كانت بحيرة واحدة تمتد من البديع إلى السيح.

أما عيون الأفلاج فكثيرة متقاربة يعرف منها حالياً سبع عشرة عيناً، وأكبرها بحيرة طولها كيلٌ ومائتا متر وعرضها نصف ذلك، وتسمى الآن عين الرأس، وتعرف سابقاً بعين الناقة... كما ذكر ذلك الهمداني.

وقد كانت سيوح الأفلاج تُسقى من هذه العيون عن طريق جداول معروفة لدى الناس سنذكرها خلال حديثنا عن الزراعة في المنطقة.

ولقد تغيرت العيون في السنوات الأخيرة وغارت مياهها وجف بعضها وتحول منظرها الجميل، وليس هناك ما يزيدها ويعوض نقصها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح البلاد والعباد إنه سميع مجيب.

أيها القارئ الكريم: إليك مخططاً يوضح بعض المعلومات عن العيون وأسمائها:[١]

---

(١) المجلة الزراعية، العدد الأول عام ١٤٠٤، وانظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

اسم العين	عمقها (بالمتر)	أعمق نقطة قيست (بالمتر)	مساحتها (بالمتر المربع)	ملاحظات
١- عين الرأس	٢٨،٤	٤٢	٢٨٠،٠٠٠	أكبر العيون
٢- عين أم درج	١٨	٢٣	٣،٩٠٠	
٣- عين الشقيب	٢٨	٣١،٢	٦،٤٠٠	
٤- عين الفضول	٣٤،٣	٤١،٦	٢،١٠٠	
٥- عين أم برج	٢٧،٥	٣٤،٣	٧،٨٠٠	
٦- عين أم هيب	١٣،٩	٢٢	٢٨،٠٠٠	
٧- عين الباطن	٧،١	٢٠،٥	٣،٤٠٠	
٨- عين الرويس	٢٣،٢	٤٥،٣	٢٧،٠٠٠	
٩- عين	٣،٩	١٢،١	٩،٣٠٠	
١٠- عين	٩،٣	١٠،٤	١،٥٠٠	
١١- عين	١،٤	٣	٢،٥٠٠	
١٢- عين	٤٨،٨	٥٠	٤،٢٠٠	أعمق العيون
١٣- عين	١٤،٨	٣٢،٨	٨٠٠	
١٤- عين	٢٩	٢٩	٦٠٠	
١٥- عين	٢،٥	٢،٨	٧٠٠	
١٦- عين	٧،٤	٨،٩	٥٠٠	

٢- الغيل وجبل التوباد:

الغيل اسم قرية اشتهرت بزراعة النخيل وهي تعرف بهذا الاسم منذ العصر الجاهلي، وتبعد عن ليلى قاعدة الأفلاج بنحو ٣٥ كيلاً من الجهة الشمالية الغربية، ولاتزال معمورة إلى اليوم يقول عنها الهمداني: وباقي بني جعدة ببلدة يقال لها الغيل به الزرع والآبار والحصون. وجاء في بلاد

العرب للأصفهاني: تجتمع في وادي الغيل عدة أودية منها وادي المراء ووادي العرس ووادي حراضة وينحدر على أسيلة.

وقد تغنّى بالغيل كثير من شعراء بني جعدة بن كعب بن ربيعة في غابر الأزمان، يقول البحتري الجعدي:

ألا يا ليلُ قد برح النهار ❁ وهاج الليل حزناً والنهار
كأنا لم نجاور آل ليلى ❁ ولم يوقد لها بالغيل نار

ويقول عثمان بن صمصامة الجعدي:

وقد قلت للقرّى إذا كنت رائحاً ❁ إلى الغيل فاعرض بالسلام على نُعْم

ويقول أبو مدرك مريزيق القشيري:

جعدية بمغاني الغيل محضرها ❁ وبالحمى من أعالي النير مبداها
إني لأغبط جيراناً تجاورهم ❁ بقرب مصبحها منهم وممساها
إني لأغبط والرحمن قيمَها   بنعمة الله إذْ أنطاه إياها

ويقول قيس بن الملوح الجعدي:

أبت ليلة بالغيل يا أم مالك ❁ لكم غيرَ حبٍّ صادق ليس يكذب

وبالغيل جبل التوباد:

وهو جبل خلّد ذكَره قيسُ المجنون وجعله رمزاً لقصته مع ليلى، وكثيراً ما يردده الشعراء ويجعلونه عنواناً للحب العذري العفيف.(١)

وقد قال فيه قيس:

وأجهشت للتوباد حين رأيتُهُ ❁ وكبّر للرحمن حين رآني
وأذرفت دمع العين لما عرفتُه ❁ ونادى بأعلى صوته فدعاني

(١) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

ويقول فيه أمير الشعراء أحمد شوقي على لسان قيس:

جبلَ التوباد حيّاك الحيا ❁ وسقى الله صبانا ورعا
فيك ناغينا الهوى في مهدِهِ ❁ ورضعناه فكنتَ المرضعا
وحدونا الشمس في مغربها ❁ وبكرْنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمناً ❁ ورعينا غنم الأهل معا

وجبل التوباد يتوسط قرية الغيل ويقع شمال الوادي، وفي الجبل غار يقال إن المجنون كان يرتاده، وبالقرب من الجبل شعب فيه بقايات أطلال وآثار ومقبرة قديمة، وحوله الآن كثير من الأشجار والنخيل.

٣- صَدّاء:

هذه قرية أثرية كبيرة جداً تقع شرق ساقية آل ناهض بالبديع ولازال بعض حيطانها قائماً، وهي كثيرة القصور والحصون والأبراج وقد بناها بنو الحريش بن كعب بن ربيعة... تتصف بكثرة المياه وعذوبتها حتى ضرب بها المثل في حلاوة الماء تقول العرب: ماء ولا كصدّاء ونبت ولا كالسعدان.

يقول شاعرها بشّار الحَرِشِي:

فهل أشربنْ من ماء صدّاء شربةً ❁ بدلوينِ لم أشربْ بكوزٍ ولا سَطْلِ[1]

ويقول ضرار بن عمرو السعدي:

وإني وتَهْيامي بزينب كالذي ❁ يطالب من أحواض صدّاء مشربا

وكأنه يشير في هذا البيت إلى حصانة صدّاء ومنعتها وأن فيها رجالاً يذودون عن حياضهم ويحمون مساكنهم.

---

(١) قال ابن منظور: السطل والسيطل إناء صغير له عروة. والجمع: سطول.

ويقول آدم بن شدقم العنبري بعد أن آذته السُّكنى في العراق فرغب عنها وكره ماءها ومرعاها متمنياً دياراً خصبة وماءً قراحا... يقول:

يا ليتنا قد حللنا واديا خصبا ❁ أو حاجزاً لفّنا غض التعاشيب
وحبذا شربة من شنةٍ خَلَق ❁ من ماء صدّاءَ تشفي حرّ مكروبِ

أما أبو الفتح البستي فيقول :

ما كل ماء كصداءَ لشاربِه ❁ نعمْ ولا كل نبتٍ فهو سَعْدان

٤- جبل أَكْـمة:

لقد قامت بجوار الجبل قرية ومنبر وسوق لبني جعدة في عصور خالية ولم يبق من ديارهم هذه شيء إلا الجبل المعروف الآن بالفريدة حيث يمر به الخط المعبد من الجنوب ويمر به الوادي من الجهة الشمالية والشرقية، وقد ذابت الأبنية في مياه السيول ولم يبق إلا بعض حيطان قرية بعيدة عنه تسمى الروقية ويقع الجبل قبل قرية واسط بنحو عشرة أكيال تقريباً.

ويقول فيها القحيف العقيلي:

سلوا فَلَج الأفلاج عنا وعنكمُ ❁ وأَكْمة إذْ سالت سرارتها دما
عشية لو شئنا سبينا نساءكم ❁ ولكن صفحْنا عزةً وتكرما

ويقول عبادة بن البراء الجعدي :

ألا أيها الغادي بأَكْمة أهله ❁ سقى الله مسقي الغيث أرضاً تؤوبها
فأبلغ عني أهل كرْزٍ رسالة ❁ طويل بحجْر حبسُها ونشوبها

وكِرْز المذكور وادٍ لا يزال باسمه هذا إلى اليوم، وهو أكبر روافد وادي الأحمر التي تقع عليه قرية الأحمر بالأفلاج ويقصد بحجر في قوله (طويل بحجر) مدينة الرياض حالياً ويبدو أنه كان سجيناً هناك لا يستطيع الوصول إلى ديار أهله ومعشوقته في أكمة ومرابعها في وادي كرز.

أما مصعب بن الطفيل القشيري فقد تزوج عالية من أهل أكمة ثم طَلَّق فَنَدِمَ فقال:

أمـا تنسيك عالـيـة الليـالـي ❊ وإن بعـدت ولا مـا تستفـيـدُ
إذا ما أهل أَكْمة ذدت عنهم ❊ قـلـوصي ذادهـم مـا لا أذود
قـوافٍ كالـجهـام مشـردات ❊ تطـالع أهـل أكمـة لا بعيـدُ

ويصف حاله وتعلقه بها وكثرة تردده على أهلها في وادي أكمة، ويجعل ذلك مسوغاً له لرؤيتها قائلاً:

كأني لجعـدي إذا كان أهـله ❊ بأَكْمـة من دون الرفاق خليـل
فإن التفاتي نحو أكمـة كلما ❊ غدا الشرق في أعلامها لطويل

٥- حصن مُـرْغِـمْ:

وهو حصن منيع قائم الجدر، يدل على بأس أهله ورباطة جأشهم، عرض جدار سوره أربعة أمتار وقد تأثر أعلاه بعوامل التعرية، وأسفله ردم ردماً بالحجارة والطين حتى ارتفع ثم بُني الحصن عليه ويقع في قرية الفويضلية بالسيح بناه بنو جعدة في عصر صدر الإسلام... وقد اختلفت تسميته في هذا الزمان فهو اليوم عند الناس يسمى قصر العنقري.[١]

٦- القصر العادي:

ويسمى الآن قصر الحائط ويتصل بحصن مرغم عن طريق خندق في جوف الأرض وقد تداعت جدره ولم يبق منه إلا القليل ويقع جنوب حصن مرغم (قصر العنقري).[٢]

(١) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.
(٢) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

٧- قصور جعدة:

عرفها الناس باسم «قصيرات عاد» وسنفصل القول فيها خلال حديثنا عن الأمم البائدة التي سكنت الأفلاج ونظهر بطلان ذلك، وهي قلاع حربية عالية تقع في جنوب السيح وشرق العيون محصّنة جداً، بعضها هامد فتراه كالتل وبعضها سامق مرتفع تداعى ما بداخله للسقوط.[١]

٨- قصر سَلْمى :

يقع في البديع الشمالي، ويسكنه الآن بعض أهالي البديع، وقد فصلنا فيه القول وفي سبب بنائه وقصته خلال حديثنا عن القصور الأثرية، فارجع إلى ذلك إن شئت.[٢]

٩- قصر صَبْحا:

يقع في الهدّار، وقد شيده الجميلات في القرن الحادي عشر الهجري ولا يزال قائم الحيطان إلى اليوم.

وكما قلنا لك في بداية الحديث فلن نستطيع حصر ما يصلح للزيارة والاستفادة من رؤيته لأن ذلك كثير، ولكن هذه أبرز معالم المنطقة الشهيرة وإن أبيت إلا الاستقصاء فاقرأ فصل المعالم الأثرية وتتبعها كلها بالزيارة والمشاهدة حتى يحصل لك ما تريد إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

(٢) انظر ملحق الخرائط والصور في آخر الكتاب.

الفصل الثاني
تأريخ الأفلاج وقبائلها
في القديم والحديث

المبحث الأول: تأريخ الأفلاج السياسي

المبحث الثاني: قبائل الأفلاج من العصور القديمة إلى القرن السادس الهجري

المبحث الثالث: قبائل الأفلاج من القرن السادس الهجري إلى اليوم

المبحث الأول

تأريخ الأفـــلاج السياسي

جدول توضيحي لحكّام اليمامة على سبيل الإجمال والتقريب:

العصور	الحاكمون
١- العصور القديمة	طسم وجديس وبنو هزان قاعدتهم (حجر) (الرياض حالياً) والخضراء (بحجر) والخِضْرمة في جَوّ (الخرج حالياً)
٢- العصر الجاهلي	بنو حنيفة وقاعدتهم بلدة الخِضْرمة في جو (الخرج) ومدينة حجر (الرياض) وبنو كعب بن ربيعة وقاعدتهم الفلج (الأفلاج) .
٣- ٩هـ - ٤٠هـ	عصر صدر الإسلام (عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين).
٤- ٤١هـ- ١٣٢هـ	الأمويون - ومنها عشر سنوات حكمها الخوارج.

٥- ١٣٢هـ - ٢٤٧هـ	العباسيون (العصر العباسي الأول زمن العز والقوة).
٦- ٢٥٣هـ - ٤٥٥هـ	الدولة الأخيضرية وهي دولة علوية شيعيّة (زَيْديّة) قاعدتهم (الخِضْرمة) في جَوّ (الخرج).
٧- ٤٥٥هـ - ٤٧٠هـ	القَرَامطة وهي فرقة إسماعيليّة باطنية ضالة موالية للدولة العبيدية.
٨- ٤٧٠هـ - ٥٢٢هـ	دولة السلاجقة الكبرى «دولة سنيّة».
٩- ٥٢٢هـ - ٥٦٧هـ	الدولة العبيدية عن طريق أشراف الحجاز (بني هاشم).
١٠- ٥٦٩هـ - ٦٤٨هـ	الأيوبيون عن طريق أشراف الحجاز (بني هاشم ثم بني قتادة).
١١- ٦٦٧هـ - ٩٢٢هـ	دولة المماليك عن طريق أشراف الحجاز
١٢- ٩٢٢هـ-١١٥٧هـ	العثمانيون (منذ أن تولى سليم الأول على الحجاز وتبعته اليمامة).

١٣ - ١١٥٧هـ - ...	آل سعود (منذ أن تعاهد الإمامان محمد ابن سعود ومحمد بن عبد الوهاب إلى اليوم).[١]

العصور القديمة:

ظلت الجزيرة العربية قبل الإسلام وخاصة اليمامة بعيدةً عن التدخل الخارجي مستقلة تمام الاستقلال في غالب عصورها؛ إذ كان الحكم القبلي باليمامة هو السائد المهيمن منذ عصور القبائل البائدة (طسم وجديس وبني هزان...) وما بعدها من القبائل العربية كبني حنيفة وبني كعب ابن ربيعة ... إلى أن ظهر الإسلام ودانت قبائل اليمامة للدولة الإسلامية بالمدينة فدمشق فبغداد، إذ يتم تعيين الولاة من قبل الخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين.

وليس لليمامة منفذ على البحر مما أضعف من اهتمام الطامعين والمعتدين على مر العصور والأزمان. إذْ لم يكن لغير أهل اليمامة -في العصور القديمة- سلطة ولا نفوذ على اليمامة.

فالفراعنة بمصر بالرغم من امتداد سيطرتهم ونفوذهم على معظم الأنحاء المجاورة لهم إلا أنهم لم يتمكنوا من إخضاع جزيرة العرب رغم غزوهم لها منذ عهد (مينا الأول مؤسس الحكم الفرعوني) وما بعده، حيث توالت غزوات الفراعنة لجزيرة العرب .. والبابليون والآشوريون قاموا بغزو شمال الجزيرة والحجاز ولم يتوغلوا داخل الجزيرة ولم يصلوا إلى اليمامة؛

(١) ما قرأته من تحديد زمني فإنه يوضح تأريخ اليمامة فقط وليس تأريخاً للدولة ذاتها، ومَنْ حَكَمَ اليمامة فقد حَكَمَ الأفلاج.

لأن هدفهم تأديب القبائل العربية التي كانت في طريق القوافل التجارية.

والإغريق والرومان لم يفكروا في غزو بلاد العرب إلا (إليوس غالوس) والي مصر حين قاد حملة على الجزيرة وصلت إلى أواسط نجد ولم يعرف أكثر المؤرخين آثار هذه الحملة ومصيرها.

ولقد قام اليهود والأحباش بغزو الحجاز والجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة حيث استقر اليهود في هجرتهم الأخيرة قبل الإسلام في المدينة وخيبر وتيماء، وأنشأوا فيها القرى والقلاع وكان لهم نفوذ وسلطة كما كان للأحباش جنوبي الجزيرة إلا أنهم لم يصلوا إلى اليمامة ونجد.

أما (بختنصّر) فقد غزا بلاد العرب وقاتلهم وهزمهم وسار إلى الحجاز ولم يصل اليمامة. وأما سابور الفارسي فقد قتل وأسر كثيراً من العرب وعبر الخليج إلى البحرين ووصل اليمامة.

وكان الحكم باليمامة – قبل الميلاد – لقبيلتي طَسْم وجَديْس البائدتين، إذ كانت حواضرهم (الخضراء والقريّة بحجر والخِضْرمة بجو)[1] وكان لهاتين القبيلتين شأن وتأريخ إلى أن قضى عليهما الملك الحميري (حسّان تُبّع) في أول القرن الخامس للميلاد، وحينئذٍ خضعت اليمامة ومنها الأفلاج إلى تَبَابِعَة اليمن زمناً لا يُعلم قدره .

وممن حكم اليمامة في العصور القديمة (بنو هِزَّان) وبعض المؤرخين يجعلهم أقدم من طسم. قال ابن خلدون: «كانت اليمامة والطائف بيد (بني هزان) بن يعفر بن السّكْسَك إلى أن غلبهم عليها طسم ثم غلبهم عليها (جديس) ومنهم زرقاء اليمامة، ثم استولى عليها بنو حنيفة» ا.هـ.

---

(١) حجر هي: الرياض حالياً، وجو هي: الخرج.

وقد ذكر الهمداني نقلاً عن ابن إسحاق أن بني هِزَّان من العرب البائدة قبل طسم وجديس.

وقد تكونت دولة امرئ القيس بن عمرو فخضعت لها الأفلاج، بل اليمامة بأجمعها إلى أن تكونت دولة كِنْدة. وقيل إن الكِنديين هم الذين ورثوا دولة طسم وجديس وحكموا اليمامة بعدهما، والله أعلم.

وعلى أية حال، فقد كان لهذه الممالك سيادة وسلطة على اليمامة بأجمعها إلى أن سقطت كندة في منتصف القرن السادس الميلادي حين قضى عليهما النعمان بن المنذر بمساعدة كسرى أنوشروان.[1]

العصر الجاهلي:

سكن بنو حنيفة اليمامة قبل الإسلام بقرنين من الزمان، أي في عهد قريب من العهد الذي غزا فيه (حسان بن أسعد بن تبع) قبيلة طسم في أول القرن الخامس الميلادي أي في عام ٢٤٠م كما أثبتت ذلك نقوش صخرية عُثر عليها في نجد واليمن[2]، قال الشيخ حمد الجاسر: وقد ازدهرت مدينة حجر في عهد بني حنيفة في الجاهلية ثم صدر الإسلام فأصبحت قصبة اليمامة ومقر ولاتها واتخذها العرب سوقاً من أسواقهم..ا.هـ[3]، وقد قام الحنفيون ببناء قرية الخِضْرِمة الواقعة في وادي (جَوّ) (الخرج حالياً) وكان زعيم بني حنيفة فيها: هوذة بن علي السحيمي الحنفي الذي امتد سلطانه على معظم اليمامة، وقد كانت الأفلاج بيد بني كعب بن ربيعة وزعيمهم عبد الله بن جعدة، وقد كان لأمراء بني حنيفة شهرة تفوق غيرهم كهوذة بن علي السحيمي،

(١) انظر قلب جزيرة العرب فؤاد حمزة – والعالم الإسلامي – عمر رضا كحّالة.
(٢) انظر مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ – حمد الجاسر ٤١.
(٣) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ٤٢.

والصحابي ثمامة بن أثال الحنفي[1]، قال ابن هشام عنهما (ملكا اليمامة) قال الشيخ حمد الجاسر: (وكان أهل حَجْر من بني حنيفة قد وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة وفيهم مجاعّة بن مرارة والرحال بن عنفوة ومسيلمة بن حبيب الكذاب فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم[2])، أما بنو كعب بن ربيعة وهم حكام الأفلاج في العصر الجاهلي فقد وفدوا على الرسول ﷺ في فترات متفاوتة فأسلموا وحسن إسلامهم، وبهذا يتبين لنا أن الحكم في العصر الجاهلي كان قبلياً باليمامة ينحصر في قبيلتين هما بنو حنيفة وبنو كعب.

عصر صدر الإسلام: (الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون ٩-٤٠هـ):

نستطيع أن نؤرخ دخول اليمامة في الإسلام بسنة الوفود، السنة التاسعة للهجرة حين قدم رجالات اليمامة إلى المدينة لإعلان إسلامهم في أشهر متباعدة، وبعد هذا التأريخ صارت اليمامة تابعة للدولة الإسلامية الأولى بالمدينة النبوية، ولعل من المناسب أن نشير إلى أن اليمامة قد تعددت تبعيتها لعواصم ومدن كثيرة من قبل الخلفاء على مر التأريخ، ففي بداية أمرها كانت تابعة للمدينة وفي عام ١٣هـ التحقت بالبحرين فصار والي البحرين هو والي اليمامة، وفي عهد الأمويين رجعت ولاية اليمامة تابعة لولاية المدينة، وفي عهد العباسيين انضمت ولاية اليمامة والبحرين معاً إلى البصرة، ثم استقلت ولاية اليمامة على يد الأخيضريين وصار العباسيون يحكمونها بالاسم إلى أن جاء القرامطة فأرجعوا ولايتها للبحرين زمناً قصيراً. ثم صارت من بعدهم تابعة لأشراف مكة قروناً مديدة إلى أن قامت الدولة السعودية الأولى بالدرعية.

---

(١) ثمالة بن أثال بن النعمان، صحابي قاتل المرتدين، توفي سنة ١٢هـ رضي الله عنه.
(٢) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.

ولاية اليمامة في عهد الخلفاء الراشدين:

ولّى أبو بكر رضي الله عنه على اليمامة سليط بن قيس، وولى عمر رضي الله عنه على اليمامة حذيفة بن محصن سنة ١٣هـ. ثم صار ولاة البحرين ولاة اليمامة، ثم ولى بعده العلاء بن الحضرمي ثم قدامة بن مظعون الجمحي ثم عثمان بن أبي العاص الثقفي الذي كان والياً على عمان والبحرين واليمامة ثم نفيع بن الحارث بن كلدة ثم جاء بعده أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي سنة ٢١هـ، وولى عثمان بن عفان رضي الله عنه على اليمامة عياش بن أبي ثور، وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على اليمامة عمرو بن أبي سلمة ثم قدامة بن العجلان الزرقي الأنصاري ثم النعمان بن العجلان الزرقي الأنصاري.[١]

الدولة الأموية:

بدأت الدولة الأموية حين بايع الناس معاوية بن أبي سفيان الأموي رضي الله عنه في ربيع الأول سنة ٤١هـ، وكان رضي الله عنه حكيماً حليماً عاقلاً ملكاً قوياً جيد السياسة حسن التدبير يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة.. وقد جعل ولاة المدينة ولاة على اليمامة وتبعه في ذلك ابنه يزيد بن معاوية.

وأشهر من ولي على نجد واليمامة في عهد بني أمية (يزيد الملقب بأبي حفصة) أرسله إليها مروان بن الحكم عندما كان أميراً على المدينة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠هـ، وبعد قتل الحسين بن علي ووفاة يزيد بن معاوية قامت ثورات الخوارج في البحرين والبصرة وفي نجد بزعامة أبي طالوت الخارجي.

(١) انظر تأريخ ابن جرير الطبري، الخلفاء الراشدون .

اليمامة والخوارج:

كوّن أبو طالوت (سالم بن مطر المازني) دولة في اليمامة سنة ٦٤هـ وهي بداية ثورة الخوارج باليمامة على الأمويين، ثم أخذ في التوسع ولم يلبث أن خُلع سنة ٦٦هـ وبويع بعده (نجدة بن عامر الحنفي) وهو من بني بكر بن وائل، وقد أخضع قبائل الأفلاج (بني كعب بن ربيعة) ثم أخذ في التوسع فأدخل البحرين سنة ٦٧هـ بعد حرب بينه وبين بني عبد القيس، ثم اتجه إلى اليمن واستولى على صنعاء سنة ٦٨هـ وكانت الآمال تراود نجدة بن عامر في الاستيلاء على الجزيرة العربية كلها وظروفه مواتية لتحقيق هذه الآمال، إذ كان عبدالله بن الزبير قد تقلص نفوذه وضعف أمره بالحجاز، وكان الأمويون قد أنهكتهم المتاعب من جراء المعارك والحروب، ولكن عقوبة الله أدركت الخوارج من أنفسهم، إذ بدأ التصدع والخلاف بين أتباع نجدة، ثم اتسع نفوذ الأمويين سنة ٧٣هـ فتفرغوا لقتال الخوارج في كل مكان، فأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان جيشاً بقيادة (عمر بن عبد الله بن معمر)، واستطاع هذا الجيش أن يقضي على الخوارج ويستأصل دولتهم باليمامة، وزال بعد هذا خطر كبير على الدولة الإسلامية ولله الحمد.

اليمامة والدولة الأموية (بعد الخوارج)

في عام ٧٣هـ حين قضى عبدالملك بن مروان على دولة الخوارج جعل الحجاج بن يوسف الثقفي - قبل أن يلي العراق - أميراً على مكة واليمن واليمامة، ثم عيّن بدلاً عنه على اليمامة يزيد بن هبيرة المحاربي، ثم عيّن بدلاً عنه إبراهيم بن عربي الكناني الذي ظل والياً على اليمامة في عهد عبدالملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك وجزء من عهد سليمان بن عبدالملك عام ٩٦هـ، وفي السنة نفسها استولى على اليمامة والبحرين

مسعود بن أبي زينب العبدي من بني محارب الذي خرج على الأشعث بن عبدالله بن الجارود، وفي عام ١٠١هـ في أواخر عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز تولى أمر اليمامة زرارة بن عبدالرحمن.

وفي عام ١٠٥هـ في عهد يزيد بن عبدالملك عاد إلى اليمامة إبراهيم ابن عربي الكناني وبقي والياً عليها وضم إليها البحرين حتى عام ١٢٥هـ في أواخر عهد هشام بن عبدالملك الذي ولي عليها المهاجر بن عبدالله، وعندما توفي المهاجر خلفه ابنه علي بن المهاجر على ولاية اليمامة.

وفي عام ١٢٦هـ طمع بنو حنيفة في حكم اليمامة فاستولى عليها المهير ابن سلمي الحنفي، وبعد وفاة المهير تولى الإمارة أحد بني قيس بن ثعلبة وهو (عبدالله بن النعمان)، فاستعمل المندلث بن إدريس الحنفي أميراً على الفَلَج (الأفلاج) فجمع له بنو عامر جيشاً فقُتل المندلث[1] وسمى ذلك اليوم بيوم الفَلَج.[2]

اليمامة والدولة العباسية ١٣٢هـ - ٢٤٧هـ:

بدأت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ودامت أكثر من خمسة قرون، ولي الخلافة فيها سبعة وثلاثون خليفة كان العشرة الأولون منهم -خلفاء العصر العباسي الأول- يمثلون أزهى عصور الخلافة العباسية وأقواها. وهؤلاء العشرة هم:

أبو العباس عبدالله بن محمد (السفّاح)، (أبو جعفر المنصور)، (المهدي)، (الهادي)، (الرشيد)، (الأمين)، (المأمون)، (المعتصم)، (الواثق)، (المتوكل).

(١) انظر تأريخ ابن جرير الطبري، الدولة الأموية.
(٢) انظر فصل الشعر والأدب.

وكانت اليمامة طيلة هذه العصور تحت حكم العباسيين أي منذ عام ١٣٢هـ إلى أن انتهى العصر العباسي الأول حين قُتل الخليفة العاشر (المتوكل) سنة ٢٤٧هـ. وبعدها صار الحكم للعباسيين اسماً لا حقيقة، لوجود دويلات وفرق زاحمت العباسيين على حكم اليمامة وغيرها.

وإليك بعضاً من ولاة اليمامة من قبل العباسيين إلى عام ٢٤٧هـ:

في عام ١٣٢هـ تولى أمر اليمامة السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، وقد دام فيها حتى آخر سنة ١٤٣هـ، ثم ولي عليها قثم بن عباس بن علي بن عبدالله بن عباس عام ١٤٤هـ، ثم عزل عنها عام ١٥٩هـ. وخلفه عليها بشر بن المنذر البجلي، ثم خلفه عليها جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس، ثم جاء بعده عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، ثم جاء بعده سويد بن أبي سويد القائد الخراساني حتى عام ١٧٠هـ، ثم جاء بعده محمد بن سليمان بن علي بن العباس الذي كان والياً على البصرة والبحرين واليمامة وعمان والأحواز وفارس، حيث كانت اليمامة تابعة للبصرة بدلاً من تبعيتها للمدينة، ثم ولي اليمامة طاهر بن الحسين أثناء الخلاف الذي حدث بين الأمين والمأمون ابتداء من عام ١٩٦هـ.

وفي عام ٢٣١هـ عينّ الواثقُ إسحاقَ بن إبراهيم بن أبي حميضة الأضاخي والياً على اليمامة والبحرين. وفي عام ٢٣٦هـ ولى المتوكل على اليمامة والبحرين وطريق مكة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، ثم خلفه على البحرين واليمامة مروان بن أبي الجنوب حتى عام ٢٤٧هـ حين قُتل المتوكل، وبهذا الحدث أرّخ المؤرخون نهاية العصر العباسي الأول وهو عصر العزة والقوة والمنعة. ثم جاء العصر العباسي الثاني وفيه ضعف وتفكك وثورات، وقد خلف مروان على اليمامة ابنه يحيى بن مروان حتى

عام ٢٥٢هـ قبيل قيام الدولة الأخيضرية باليمامة[1]، وقد صارت ولاية العباسيين على اليمامة اسمية؛ لأن السيطرة الفعلية للأخيضريين ثم القرامطة.

الدولة الأخيضرية باليمامة :٢٥٣هـ - ٤٥٥هـ:

في عام ٢٥٣هـ قامت باليمامة دولة شيعية على المذهب الزيدي أسسها الأخيضر فنسبت إليه، وهو محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى «الجون» بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد اتخذوا الخضرمة قاعدة لملكهم (الخرج حالياً)، فبسطوا نفوذهم على كافة اليمامة ومنها الأفلاج، وإن لم يكن لهم على بعض البادية سلطة ولا نفوذ. وقد ظلموا وتعسفوا ونشروا المذهب الزيدي وحاربوا القبليّة حرباً شعواء وشددوا على القبائل العربية، وتحت هذه الضغوط أخفى بعض القبائل قبيلتهم واندمجوا في سواد الناس فضاع نسبهم، وبعضهم رحل من اليمامة إلى جهات عديدة ومنهم قبيلتا جعدة وقشير إذْ رحل كثير منهم في هذا العهد - وهما قبيلتان أفلاجيتان كما سيأتي ذكرهما في فصل القبائل -، وقد ظل الأخيضريون يحكمون اليمامة إلى عام ٤٥٥هـ أو قريباً منه أي دام حكمهم قرنين من الزمان واليمامة يسود فيها المذهب الزيدي وتحكم حكماً مجحفاً، والذي يظهر أن القرامطة هم الذين أسقطوا دولة الأخيضريين والله أعلم.

اليمامة ودولة القرامطة ٤٥٥هـ -٤٧٠هـ:

القرامطة طائفة باطنية إسماعيلية ظهر مذهبهم بالكوفة على يد (حمدان بن الأشعث) الملقب بقرمط فنسبوا إليه سنة ٢٧٨هـ، وقد توسع هذا المذهب وانتشر بالبصرة وما حولها ثم باليمن والأحساء وبالمغرب

(١) انظر تأريخ ابن جرير الطبري، الدولة العباسبة.

العربي حيث كانوا موالين للدولة العبيدية (الفاطمية)، وفي عام ٢٨١هـ قدم إلى البحرين والأحساء (يحيى المهدي) فنشر مذهب القرامطة فتكونت الدولة.

وقد أفسد القرامطة في العالم الإسلامي ونشروا الإباحية والإلحاد وحاربوا السنة وأهلها، وفي عام ٣١٧هـ أباحوا حرمة الحاج وأفسدوا بمكة ونقلوا الحجر الأسود إلى الأحساء اثنتين وعشرين سنة.

والذي يظهر أن الدولة الأخيضرية باليمامة سقطت على أيدي القرامطة في منتصف القرن الخامس الهجري، فحكم القرامطة اليمامة خمس عشرة سنة، ثم أرسل السلاجقة إلى قاعدتهم بالأحساء جيوشاً، فسقطت دولتهم على يد العيونيين سنة ٤٧٠هـ بمساعدة السلاجقة وكفى الله الناس شرهم.

اليمامة ودولة السلاجقة ٤٧٠هـ-٥٢٢هـ:

السلاجقة نسبة إلى (سلجوق بن دقاق) وهم قوم أتراك سنيون قدموا في عهد الدولة العباسية فصار لهم نفوذ كبير حين ضعفت الخلافة العباسية وقلّ سلطانها على المدن والأقاليم، فاستغل السلاجقة هذا الضعف، فاستولوا على مدينة نيسابور ومن ثم زحفوا إلى بغداد وكونوا بها دولة سنة ٤٤٧هـ فاكتفى العباسيون باسم الخلافة فقط واعترفوا بالسلاجقة، بل أخذ الخلفاء يستعينون بالسلاطين السلاجقة لحماية الخلافة العباسية من الفاطميين (العبيديين) الذين نجحوا في نشر مذهبهم الإسماعيلي بالعراق وغيرها، وقد فرح العباسيون بالسلاجقة لأنهم سنيون وقفوا معهم أمام المد الشيعي الزاحف، وصار حكم المسلمين بيد سلاطين السلاجقة حقيقة وخلفاء بني العباس اسماً عقوداً من الزمن، وحصلت بين سلاطين آل سلجوق وخلفاء بني العباس صلات ومصاهرات وتعاون على الحكم.

وفي عام ٤٧٠هـ بسط السلاجقة نفوذهم على معظم أرجاء العالم الإسلامي ومنها اليمامة في قلب جزيرة العرب.

وظل الأمر على هذا الحال إلى أن بدأ النزاع بين الخلفاء والسلاطين، أي بين العباسيين والسلاجقة في عهد الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٢هـ حيث كان لهذا النزاع أثر في تقلص حكم السلاجقة وقد استمر هذا النزاع إلى أن سقطت دولة السلاجقة بالعراق سنة ٥٩٠هـ.

اليمامة والدولة العُبيدية (الفاطمية) ٥٢٢هـ - ٥٦٧هـ

هي دولة باطنية إسماعيلية ضالّة نسبت إلى عبيدالله بن ميمون القداح، حكمت مصر وشمال أفريقيا كله بل امتد ملكها إلى معظم أرجاء العالم الإسلامي، وقد حكمت من سنة ٢٩٦هـ إلى سنة ٥٦٧هـ وكان لها دور كبير في نشر البدع والضلالات بين المسلمين.

وكان بنو هاشم أشراف الحجاز مع استقلالهم الداخلي يوالون الدولة العبيدية (الفاطمية) بمصر منذ أن ضعفت دولة السلاجقة الكبرى سنة ٥٢٢هـ. وقد ظل الحجاز ومعه اليمامة تحت سيطرة العبيديين إلى أن سقطت دولتهم على يد البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ، ولا ريب أن اليمامة وغيرها آنذاك كان يسودها الحكم القبلي، بل في معظم عصور التأريخ، ولم يكن للعبيديين سلطة مباشرة عليها.

اليمامة والأيوبيون ٥٦٩هـ - ٦٤٨هـ

أقام الأيوبيون دولةً سنية بمصر سنة ٥٦٩هـ بعد أن أسقطوا الدولة العبيدية الإسماعيلية وكان المؤسس هو المجاهد (صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب) الذي كان وزيراً على مصر من قِبل الدولة النوريّة[1]

(١) نسبة إلى نور الدين محمود بن المجاهد عماد الدين زنكي.

بدمشق، ثم انفصل صلاح الدين بعد وفاة نور الدين وكوّن الدولة، وكان لصلاح الدين جهود كبيرة في جهاد الصليبيين في حطين وغيرها واسترداد بيت المقدس والقيام على توسيع مملكته السنية التي أعاد تبعيتها للخلافة العباسية.

وفي نهاية حكمه وحّد الشام مع مصر واتخذ دمشق عاصمة له، وقد وافاه الأجل بها عام ٥٨٩هـ، ثم تولى الحكم من بعده أولاده ثم أخوه ثم أولاد أخيه.

أما علاقة الأيوبيين بالحجاز فقد كان يحكمها آنذاك بنو هاشم، وهم من الأشراف وكانوا موالين للدولة العبيدية ولما سقطت والوا الأيوبيين، وفي سنة ٥٩٥هـ استولى على الحكم بمكة (قتادة بن إدريس الحسني) وأقام علاقات مباشرة مع الخلافة العباسية.

وكانت اليمامة آنذاك مع الحجاز وتابعة له في الحكم، ولما قتل قتادة وجاء من بعده أبناؤه ظلموا وتعسفوا، فقررت الدولة الأيوبية إخضاع الحجاز واليمامة وتمكنوا من ذلك سنة ٦٢٠هـ.

وظلت الحجاز واليمامة تحت الحكم الأيوبي إلى أن سقطت الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨هـ.

اليمامة ودولة المماليك ٦٦٧هـ -٩٢٢هـ

لما أحس مماليك الأيوبيين بالخطر من (توران شاه الأيوبي) بادروه بالقتل سنة ٦٤٨هـ، فتولت زوجة والده (شجرة الدّر) عرش الدولة الأيوبية ثمانين يوماً، ثم تزوجت من أحد المماليك وهو (عز الدين أيبك) فتنحت عن العرش لزوجها الجديد الذي يعد المؤسس الأول لدولة المماليك، وقد استلم الحكم في عام ٦٤٨هـ ودام حكمه سبعة أعوام، ثم تولى بعده ابنه نور الدين، وتولى بعده عدد من المماليك من أبرزهم المظفرّ قطْز ثم الظاهر بيبرس ثم الملك المنصور قلاوُن، وكان من أهم منجزاتهم الجهاد ضد الصليبيين والمغول.

أما علاقة المماليك بالحجاز فابتدأت سنة ٦٦٧هـ حينما قبل الأشراف ما طلبه الظاهر بيبرس من ذكر اسمه في الخطب ونقش اسمه على السكة، وبعدما كتب الخليفة العباسي له كتاباً عام ٦٥٩هـ يقول فيه: «وقد قلدتك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية...».

وقد ظل المماليك يحكمون الحجاز واليمامة منذ سنة ٦٦٧هـ إلى أن سقطت دولة المماليك في مصر والشام على يد السلطان العثماني سليم الأول سنة ٩٢٢هـ.

اليمامة والدولة العثمانية ٩٢٢هـ - ١١٥٧هـ:

تنتسب إلى مؤسسها الأول عثمان بن أرطغرل الذي تولى إمارة عشيرته سنة ٦٨٠هـ ثم توسع ملكه، ودانت له البلاد التركية سنة ٧٠٠هـ وقد عد المؤرخون هذا العام هو بداية الدولة العثمانية.

ولقد قام عثمان بجهاد واسع ضد التتار والنصارى البيزنطيين حتى كون دولة واسعة أعادت للمسلمين عزتهم ومجدهم. ولما توفي عثمان سنة ٧٢٦هـ خلفه ابنه (أورخان).

ومن أشهر سلاطين الدولة (محمد الفاتح) وحكمه من أهم فترات الحكم العثماني. وله جهود جهادية في الشرق والغرب، ومن أهمها فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ.

ومن السلاطين المشاهير (سليم الأول) الذي تولى السلطة ٩١٨هـ، وقد ضم الحجاز واليمامة إلى دولته حين قضى على دولة المماليك في الشام ومصر سنة ٩٢٢هـ، إذ أرسل الشريف بركات ابنه أبا نمي إلى مصر فبايع العثمانيين على الولاء والطاعة. وقد خضعت قبائل اليمامة للأشراف، كما قام الأشراف بعدّة حملات على اليمامة كلما رأوا منهم عصياناً لهم، ومنها ما

قام به الشريف حسن بن أبي نمي سنة ٩٨٩هـ حينما وصل إلى البديع بالأفلاج ومعكال (الرياض حالياً) فأدب أهلها، وفي سنة ١٠١١هـ غزا إدريس بن حسن وأبو طالب بن حسن اليمامة فحققا انتصاراً كبيراً. ولا نستطيع أن نحصي حملات الأشراف على اليمامة أو نجد كلها، ولكن لا بد أن نعرف أن الحكم القبلي باليمامة كان هو السائد قبل كل شيء ولم تكن الدولة السابقة إلا صُورية في أغلب أزمانها. وظل حكم العثمانيين عن طريق الأشراف قائماً على اليمامة حتى قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في وجه البدع والضلالات السائدة بنجد ونَاصَره الإمام محمد بن سعود وتعاهدا سنة ١١٥٧هـ ومن هذا التأريخ تكونت الدولة السعودية الأولى، وقبل الحديث عنها إليك نبذة عن إمارة الدرعية.

إمارة الدرعية:

بنو حنيفة هم سكان اليمامة الأصليون منذ العصر الجاهلي كما عرفت ولهم فيها إمارات امتدت قروناً من الزمان، وقد كان للدرعية نصيب أوفى، ففي عام ٨٥٠هـ قدم مانع بن ربيعة المُريدي الحنفي (الجد الأعلى للأسرة السعودية) على ابن درع الحنفي صاحب حجر والجزعة[1]، فأعطاه موضعين بالدرعية وهما المُليبيد وغصيبة فنزلها وعمرهما واتسع العمران بهما ثم عمرهما أبناؤه من بعده. وقد كانوا أمراء بالدرعية وهم ربيعة بن مانع ثم موسى بن ربيعة ثم إبراهيم بن موسى إلى أن تولى الإمارة (سعود بن محمد بن مقرن) واستمر فيها إلى وفاته سنة ١١٣٧هـ، ثم تولى الإمارة زيد بن مرخان وهو من ذرية مانع. وفي عام ١١٣٩هـ تولى إمارة الدرعية الإمام محمد بن سعود الذي ناصر الدعوة السلفية وكوّن الدولة السعودية الأولى، وقد جعل المؤرخون بدايتها عام ١١٥٧هـ حين تعاهد الإمامان

(١) انظر الأخبار النجدية للفاخري ٦٠ وعنوان المجد لابن بشر ٢/ ٢٩.

محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب على نصرة الدين ونشر الدعوة وقمع البدع ومحو الضلالات.

الأفلاج والدولة السعودية في جميع أدوارها:

• الدولة السعودية الأولى:

بعد أن أسس الأمير محمد بن سعود الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ حين تعاهد مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب على مناصرة الدعوة الإصلاحية بدأ في التوسع، وقد ذكر ابن بشر[١] أن الإمام محمد بن سعود قد أخضع أكثر بلدان الوشم وسدير سنة ١١٧٢هـ، ولكن حالت دون التوسع الكبير عقبات منها اشتغال الدولة بمحاربة خصمها العنيد دهّام بن دوّاس - أمير الرياض آنذاك - ومحاربة الجيش النجراني بقيادة رئيسه حسن المكرمي، وقد كان الحكم في الأفلاج آنذاك هو الحكم القبلي للدواسر ولم تصل الدعوة ولا الدولة إلى الأفلاج؛ لبعدهم وعدم تمكن الدولة من وصولهم.

ولما توفي الإمام محمد بن سعود خلفه ابنه عبد العزيز بن محمد منذ عام ١١٧٩هـ وقد كان عالماً تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو إمام شرعي عيّنه الشيخ محمد إماماً للمسلمين فكان نعم الإمام، إذ عزم على توسيع الدولة ونشر الدعوة لتشمل منطقة نجد جميعها، ومما ساعد على ذلك هروب دهام بن دواس من الرياض بأسرته بعد أن عجز عن الصمود أمام آل سعود وذلك عام ١١٨٣هـ، وبهذا انتهت مقاومة هذا الخصم التي استمرت ٢٨عاماً، إلا أنه ظهر خصم آخر وهو أمير الخرج (زيد بن زامل) الذي جمع الأحلاف من بدو وحضر واستنجد بحسن المكرمي وجيشه، وقد وقعت بينهم وبين جيش عبدالعزيز بن محمد موقعة

---

(١) عنوان المجد لابن بشر ١/ ٥٢.

عام ١١٨٩هـ انتصرت فيها الدولة السعودية وأتباع الدعوة، فصار هذا الانتصار تشجيعاً لهم ودحراً لخصومهم.

ولما أراد الله نصرة الدعوة وتوسيع الدولة قام سعود بن عبد العزيز الملقب (بالكبير) بحملة إلى الخرج والدلم فاستولى عليها، وبعدها دخلت حوطة بني تميم والأفلاج ووادي الدواسر في حكم الدولة السعودية.

وفي عام ١١٩٩هـ قدم وفد من أهل الأفلاج إلى الدرعية وقد أرسلهم أميرها راشد بن بازع الفرجاني الدوسري فبايعوا على السمع والطاعة، فأرسل معهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب معلماً وداعية وهو تلميذه الشيخ (دخيل بن جذلان الكثيري)، وبهذه المبايعة دخلت الأفلاج في الحكم السعودي وقد ظلت على هذه البيعة فصارت الدولة ترسل الأمراء والقضاة.

ولا صحة لمن قال: إن الأفلاج قد دخلت تحت ولاية آل عائض بأبها، فلم يذكر ذلك المؤرخون الموثوقون كابن بشر المتوفى ١٢٨٨هـ في كتابه عنوان المجد ولا الفاخري المتوفى ١٢٧٧هـ في كتابه الأخبار النجدية ولا إبراهيم بن صالح بن عيسى في كتابه عقد الدرر، ولا من قبلهم كابن بسام المتوفى ١٠٤٠هـ ولا أحمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥هـ، ولو كانت ولاية آل عائض قد امتدت إلى اليمامة لذكر ذلك من كانت لهم عناية بالتأريخ ونقل إلينا.

وفي عام ١٢١٨هـ قتل الإمام عبدالعزيز بعد حكم دام أربعين سنة، فجاء بعده ابنه سعود بن عبدالعزيز، وقد اتسع الحكم في عهده ورضي به أهل الأفلاج ولم يعارضوا لكونهم قد بايعوا أباه (عبد العزيز) من قبْل، فاستمرت بيعتهم له إلى أن توفي عام ١٢٢٩هـ، وبعد سعود جاء ابنه عبدالله وقد تابع بقدر استطاعته خطوات أبيه وسياسته، إلا أن وفاة أبيه قد أثرت عليه كثيراً، إذْ كان هناك توتر سياسي في حياة أبيه بين العثمانيين

(الأتراك) وواليهم محمد علي في مصر وبين الدولة السعودية، وقد توفي سعود والأمور قد تشابكت على الدولة.

وفي عام ١٢٣٣هـ جاءت حملة تركية مصرية بقيادة ابراهيم باشا فحاصر الدرعية ستة أشهر ودارت معركة بعد الحصار بين قادة الدرعية وبين الأتراك بقيادة إبراهيم باشا، وكانت الغلبة مرة لهؤلاء وأخرى لأولئك، وكان أهل الأفلاج من بين المقاتلين حماية للدولة ونشراً للدعوة السلفية. وفي نهاية الأمر انتصر الأتراك وخُرّبت الدرعية وهُدمت مساكنُها وذلك عام ١٢٣٣ هـ، وكان أهل الأفلاج من أواخر من خرج منها وقد قُتل منهم خلق كثير[١]، وبهذا العام انتهى الدور الأول السعودي الذي شارك أهل الأفلاج في وقائعه وأحداثه منذ مبايعتهم للإمام عبد العزيز بن محمد سنة ١١٩٩هـ إلى آخر الأحداث.

أمراء الأفلاج من قبل الدولة السعودية الأولى :

ذكر ابن بشر أن الإمام عبد العزيز بن محمد قد جعل أميراً على ناحية الخرج وهو إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، وأمّر سعود بن عبدالعزيز على الخرج عبد الله بن سليمان بن عفيصان، والذي يظهر لي أن الأفلاج وحوطة بني تميم تابعتان للخرج في إمارتها في عهد الدولة السعودية الأولى والله أعلم .

- **الدولة السعودية الثانية:**

بدأت الدولة السعودية الثانية وبدأت الفوضى والاضطرابات وعدم الاستقرار، إذ تولى مشاري بن سعود وحصل له خلاف مع محمد بن مشاري بن معمر، وفي عام ١٢٣٥هـ تولى الإمام تركي بن عبد الله الذي حاول أن يعيد للحياة في نجد الاستقرار والأمن، وفي عام ١٢٤٠هـ جعل الرياض عاصمة له[٢]، وقد حارب الأتراك فأقلقهم بل

(١) عنوان المجد لابن بشر ٢٧٧.

(٢) انظر عنوان المجد لابن بشر ٢/ ٢٤.

وأخرجهم من نجد. وفي العام نفسه اتجه تركي بن عبد الله إلى ناحية الخرج ومعه كثير من رجاله ورعاياه من العارض والفرع (الحوطة والحريق) والأفلاج والوشم فنازل أهل نعجان بالخرج فاستولى عليها، ثم اتجه إلى الدلم فحصل بينه وبينهم مناوشات بقيادة زقم بن زامل فانهزم زقم. وما مرت موقعة إلا وأهل الأفلاج يشاركون فيها مع الإمام تركي رحمه الله[1]، إلا أنه في عام ١٢٤٥هـ بلغه عن بعض أهل الأفلاج مخالفة فغزاها[2]، وفي عام ١٢٤٩هـ قُتل الإمام تركي بعد حكم دام أربعة عشر عاماً.

فيصل بن تركي (١٢٥٠هـ - ١٢٥٤هـ)

تولى الإمام فيصل الحكم سنة ١٢٥٠هـ، وكان هدفه التوسع ونشر الأمن في نجد وغيرها، وقد أخضع أكثر البلدان ما عدا الحجاز وفي آخر العام رفضت بعض القبائل في وادي الدواسر والأفلاج وغيرها من المناطق الجنوبية النجدية دفع الزكاة لحكومة فيصل، فقرر تأديبهم فأرسل حملة عسكرية بقيادة حمد بن عياف، وقد أقامت شهراً ثم عادت إلى الرياض بعد أن استجاب زعماء الأقاليم وأمراء القبائل واعتذروا مما حصل[3]، وفي سنة ١٢٥١هـ حاول فيصل التوسع، إلا أن تركيا ومحمد علي بمصر انزعجوا من النهضة التي قام بها فيصل في بلاد نجد، فأرسلوا حملة بقيادة (خورشيد) ومعها خالد بن سعود ليكون أميراً على نجد من قبل الأتراك، وهدفهم ضرب الدعوة بعضها ببعض، ولأنهم يعرفون أن نجداً لا يمكن أن تجتمع إلا على رجل من آل سعود. وقد قبض الأتراك على فيصل سنة ١٢٥٤هـ وأرسلوه إلى مصر. إلا أن أهل نجد لم يرضوا

---

(١) انظر عنوان المجد وقائع الإمام تركي.
(٢) انظر عنوان المجد ٢/ ٥٠.
(٣) انظر عنوان المجد ٢/ ٧٢.

بحكم خالد لأنه موالٍ للأتراك، فثار ضده أغلب أهل العارض والوشم وحوطة بني تميم والحريق والأفلاج .

وقعة المجزرة:

وفي عام ١٢٥٦هـ اتجه الأتراك بقيادة (أبي عوف) إلى الأفلاج؛ لإرغامهم على مبايعة خالد بن سعود، إلا أن الدواسر ومن معهم بقيادة (شبيب بن سعد بن بازع) جهزوا أنفسهم لمحاربة الاتراك. وقد نصب الأتراك مدافعهم على الحزم الطويل الذي يقع في الجنوب الشرقي من الفيصلية (حالياً)، فانقض الدواسر على الأتراك وهزموهم وقتلوهم شر قِتلة، وقد نزل الأتراك من فوق الحزم الطويل إلى السهل فجزرهم الدواسر فبقي هذا المكان يسمى المجزرة نسبة إلى هذه الموقعة.

وقد عاشت نجد فترة مظلمة أيام حكم خالد بن سعود ثم في أيام عبد الله بن ثنيان الذي أرهق الناس بالضرائب، إلى أن فر فيصل بن تركي من مصر وعاد إلى البلاد ليعيد لها عزّها ومجدها.

فيصل بن تركي في حكمه الثاني ١٢٥٩هـ ـ ١٢٨٢هـ :

قدم فيصل من مصر بمساعدة الخديوي عباس الأول، فاستعاد الحكم (مرة ثانية) وأقام العدل ونشر الأمن ودانت له نجد كلها ماعدا الحجاز، وفي عام ١٢٦١هـ وقع خلاف بين أهل الأفلاج فعزم فيصل على غزوهم وتأديبهم وجعل في الرياض أخاه (جلوي) واتجه إلى الأفلاج ومر بالحوطة، قال ابن بشر – رحمه الله –: (ونزل على البلد المعروفة بلد ليلى وأرسل إلى رؤساء البلدان فاجتمعوا عنده فحبس أهل الخلاف وأخذ منهم نكالاً وسلاحاً وغير ذلك وأصلح ما بينهم وكان أهل بلدة الشطبة[1]

(١) الشطبة: قرية قديمة من قرى الأفلاج تقع عن ليلى جنوباً بنحو ١٢٠كيل.

بعيدة عن منزل فيصل وأكثر الخلاف منهم فأرسل إليهم سريةً بقيادة سليمان بن منديل العمري وفرحان بن خير الله[1]). وفي هذا العام ١٢٦١هـ (غزا فيصل «بعضاً» من الدواسر وهم قرب الأفلاج فسبقه النذير إليهم فانهزموا) وفي العام نفسه ١٢٦١هـ قال أيضاً: (وقع اختلاف في بلد سيح آل حامد فأمر الإمام متع الله به بالمغزا يقودهم أخوه جلوي، ثم لحقه ابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بسرية ونزلوا على بلدهم فحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدد من الرجال ثم طلبوا الصلح وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة[2])، وفي أول عام ١٢٦٦هـ سار فيصل بجنود معه إلى الشمال ومعه من أهل العارض والخرج والأفلاج خلق كثير وفي آخر هذا العام سار بهم إلى القويعية والوشم ونزل شقراء، وفي عام ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل ففقدت نجد بموته شخصية عظيمة.

أبناء فيصل بن تركي:

خلّف فيصل أربعة أبناء هم عبد الله وسعود وعبد الرحمن ومحمد. وقد وقع خلاف شديد على الحكم بين عبدالله وسعود استمر سنوات عديدة عاش الناس فيها فترة من الخوف والجوع وضيق العيش، وقد كان أهل الأفلاج مؤيدين لسعود بن فيصل، والسبب في مبايعتهم لسعود ورفضهم عبدالله هو أن والدهما فيصل بن تركي قد ولى في حياته ابنه (سعود) إمارة الخرج والأفلاج وغيرها من مناطق جنوب العارض.[3]

ولقد تحولت الحروب بين أبناء فيصل إلى حروب قبلية وأحلاف، إذ انقسم الناس قسمين، وتجمعت فيها أسباب الحرب من جهة وأحياها

---

(١) عنوان المجد٢/ ١٤٣.

(٢) عنوان المجد ٢/ ١٤٤ بتصرف.

(٣) عنوان المجد ٢/ ١٢٤.

الخلاف من جهة أخرى، وفي عام ١٢٨٥هـ قدم عبدالله بن فيصل إلى الأفلاج ليؤدب أهلها فحاصر ليلى وأقام في مكان حي الخالدية - حالياً- ثم في الحضافة غربي ليلى أياماً، وشاء الله سبحانه أن يتمكن عبدالله من دخول ليلى فأغار على حي المبرز وهو قلب البلد آنذاك فهدمه وغصب الناس إلى الانتقال عنه جنوباً فسمى الناس هذا المكان الجديد «غصيبة»، وفيها بني الجامع وأنشئ السوق، وفي عام ١٢٨٩هـ قدم سعود بن فيصل إلى الأفلاج فقام معه أهلها وأيدوه وجددوا البيعة له.

ولما علم بذلك عبدالله بن فيصل خشي على الدلم فأمر أخاه محمد بن فيصل أن يسير إلى الدلم ليحميها من سعود، ولكن سعود بجنوده الكثيرة من الدواسر والعجمان وغيرهم حاصر الدلم ففتح أهلها الأبواب له ودخلها سعود، ثم اتجه بعدها إلى ضرما ثم حريملاء فبايعوه بعد قتال، ثم اتجه إلى الرياض فحارب أخاه عبدالله ومن معه وأخيراً انهزم عبدالله وفر إلى الكويت، فدخل سعود الرياض وبايعه أهلها على السمع والطاعة.[1] هكذا استمر الشقاق والخلاف بين أبناء فيصل حتى عام ١٣٠٧هـ حيث توفي سعود فتولى عبدالرحمن بن فيصل إمارة نجد كلها، ولكن أخاه عبدالله لم يرض بذلك وعز عليه الأمر فرأى عبدالرحمن أن من المصلحة أن يترك الأمر كله لطول الصراع وأن يتجه إلى الكويت ويترك الرياض بل نجداً كلها، وفي هذه الأثناء تولى آل رشيد نجداً وحكمها اثنان منهم الأول: محمد بن عبدالله بن رشيد إلى أن مات عام ١٣١٥هـ، والثاني: عبدالعزيز بن متعب بن رشيد. ولم تكن هذه الفترة بأقل اضطراباً من الفترة السابقة، وظل الحال مشيناً إلى أن بدأت الدولة السعودية الثالثة.

(١) عقد الدرر ٧٣ وما بعدها.

أمراء الأفلاج من قِبَل الدولة السعودية الثانية (على الترتيب):

١- في عام ١٢٥٣هـ عين الإمام فيصل (محمد بن عبدالله بن جلاجل) أميراً على الأفلاج.[١]

٢- وفي عام ١٢٦٢هـ عين الإمام فيصل (حسن بن مشاري بن عياف) أميراً على الأفلاج.

٣- ثم جاء بعده (محمد بن عثيمين) وهو من أهل حوطة بني تميم.

٤- ثم جاء بعده (عبدالله بن عبدالهادي) من أهل الرياض.

٥- وفي عام ١٣٠٣هـ عين ابن رشيد أول أمير له على الأفلاج وهو إبراهيم بن جبر الفضول.

٦- وفي عام ١٣١٣هـ عين ابن رشيد (فريح بن عبدالله) أميراً على الأفلاج وهو من أهل حائل وظل في الإمارة إلى عام ١٣١٨هـ.

الدولة السعودية الثالثة:

بعد الخلاف والاضطراب الذي عاشته البلاد في أواخر الدولة السعودية الثانية صار الناس ينتظرون المخلص لهم من هذه الفتن والحروب. ولما أراد الله لهذه البلاد العزة والرفعة والأمن والعدل أذن بخروج الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن وهو في ريعان شبابه فاتجه إلى الرياض بأربعين رجلاً ففتحوها عام ١٣١٩هـ، وكان من بينهم أحد رجال الأفلاج وهو حزام بن خزام العجالين. وقد فرح الناس بهذه البداية علّ الله سبحانه أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين على يد هذا الشاب المجاهد البطل، وقد جعل المؤرخون هذا الفتح بداية الدولة السعودية الثالثة.

---

(١) عنوان المجد ٢/ ٩٩.

وبعد فتح الرياض بأشهر، أي في أول عام ١٣٢٠هـ بايع أهل الأفلاج الملك عبدالعزيز رحمه الله على السمع والطاعة، وكان هذا العام بداية تحول لنجد بل للجزيرة العربية جميعها من عصر الفوضى والفتن إلى عصر العدل والأمن والاستقرار.

وفي عام ١٣٢٩هـ حصل من بعض أهل الأفلاج خلاف فيما بينهم فتوجه إليهم الملك عبدالعزيز وبعد زيارته هدأت الأمور، وقد أخذ الملك عبدالعزيز يفتح المدن والديار واحدة تلو الأخرى حتى توسعت الدولة وتوحدت الأمة في الجزيرة على كلمة واحدة، وله الفضل بعد الله عز وجل في توحيد كلمة المسلمين ولمّ الشمل وإعلاء كلمة الله، ولا عجب فإن هذه الدولة قامت على يد أسلافه من أجداده على العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص والإيمان النقي وتحكيم شريعة الله.

وفي عام ١٣٥١هـ أطلق هذا الاسم الشامخ «المملكة العربية السعودية» وأخذت البلاد تنعم بالأمن والرفاهية والاستقرار يوماً بعد يوم، وبعد كفاح طويل استمر عشرات السنين توفي المؤسس الأول للدولة السعودية الثالثة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - سنة ١٣٧٣هـ، فانتقل الحكم لابنه سعود وقد سار على طريقة والده نحو العز والتمكين، وفي شوال من العام نفسه ١٣٧٣هـ زار الملك سعود منطقة الأفلاج والتقى بأعيانها وزار بعض القرى وأكرمهم بالعطايا والهبات.

وفي شهر جمادى الثانية عام ١٣٨٤هـ بايع أهل الحل والعقد الملك فيصل إماماً للمسلمين، فكان نعم القائد لما امتاز به من الحنكة والسياسة والدهاء وحسن التدبير والقيادة.

وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ سمع الناس استشهاد الفيصل -رحمه الله- فتولى الحكم من بعده أخوه خالد وكان سمحاً كريماً مسدداً

في أقواله وأفعاله إلى أن توفي في شعبان ١٤٠٢هـ فتمت البيعة لأخيه خادم الحرمين الشريفين الملك (فهد بن عبد العزيز) أمد الله في عمره، فقد سار بدولته وشعبه بخطا ثابتة نحو الرقي والتقدم والنهوض في جميع مجالات الحياة، العلمية، والعمرانية، والصناعية والصحية والعسكرية، والزراعية والتجارية... وغيرها.

فصار عهده المبارك عهد خير ونهضة وإنجازات عظيمة ومشاريع هائلة جبارة في شتى الميادين، مما جعل المملكة تواكب الحضارات الأخرى بل وتنافسها في نواحٍ كثيرة وكل ذلك بفضل الله ثم بفضل القيادة الحكيمة المسددة والتمسك بالعقيدة وتحكيم الشريعة، وقد ساعد الملك في كل أعبائه أخوه وولي عهده الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نفع الله بهم الأمة وأعز الله بهما الإسلام والمسلمين.

أمراء الأفلاج في عهد الدولة السعودية الثالثة (على الترتيب):

١- أول أمير للملك عبدالعزيز على الأفلاج هو (هذلول بن ناصر آل سعود) وقد مكث في إمارته سنتين تقريباً.
٢- أحمد السديري وقد بقي أميراً على الأفلاج إلى عام ١٣٣٢هـ وهو من البدارين من الدواسر المستوطنين بلدة الغاط.
٣- سعد بن عفيصان وهو من قبيلة عائذ القحطانية وقد بقي أميراً على الأفلاج إلى عام ١٣٣٧هـ.
٤- ابن دغيثر وقد بقي في الإمارة إلى عام ١٣٤٠هـ وهو من آل يزيد من بني حنيفة.
٥- عبدالله بن ناصر آل مبارك من بلاد حريملاء ظل في الإمارة إلى عام ١٣٥٤هـ.
٦- علي بن عبدالله آل مبارك. ظل في الإمارة سنة واحدة.

٧- عبدالله بن محمد بن معمر من بلاد سدوس بقي أميراً على الأفلاج إلى عام ١٣٥٨هـ.
٨- فهد بن زعير من أهل الدرعية وقد طالت فترة إمارته إذ استمرت إلى عام ١٣٧٧هـ.
٩- ناصر بن ثنيان من أهل الرياض وهو من قبيلة عنزة.
١٠- سعود التمامي من بني تميم.
١١- عبدالله بن إبراهيم بن معمر. بقي في الإمارة إلى عام ١٣٩٦هـ.
١٢- حسين بن جريس وهو من قبيلة آل بريك من الدواسر.
١٣- عبدالله بن سعد المسعود، ومكث حتى نهاية عام ١٤١٢هـ.
١٤- وفي مستهل عام ١٤١٣هـ قدم إلى الأفلاج الأمير حمود بن نويم العتيبي.

المبحث الثاني

قبائل الأفلاج من العصور القديمة إلى القرن السادس الهجري

الأفلاج جزء من اليمامة التي عاشت على أرضها أقوام وأمم وشعوب سادت ثم بادت، وقامت عليها حضارات عظيمة قبل الميلاد وبعده، وما كان قبل الميلاد سماه المؤرخون (عهود العرب البائدة) كطسم وجديس وبني هِزان وأُميم وعاد وأصحاب الرس وغيرهم من الأمم والشعوب التي وصلنا جزء من أخبارها.

ولاريب أن المؤرخين عرفوا كثيراً من تأريخ جزيرة العرب من ذلك (اليمامة ونجد)، ولكنها غابت عنهم حقائق كثيرة غمرها النسيان وطواها التأريخ وفي أحقاب لا تدوين فيها إلا ما قصه الله علينا من أحوال الأمم الغابرة للعظة والذكرى.

وفَلَج اليمامة (الأفلاج) يرجع تأريخها إلى هذه القبائل التي سكنت اليمامة وعاشت على أرضها حيث كانت مأهولة في تلك العصور.

وسنتحدث في هذا المبحث عن قبائل الأفلاج في القديم البعيد والماضي القريب، أي ما كان منها معاصراً لعصر صدر الإسلام الأول وما بعده إلى العصر الحديث، ثم القبائل في العصر الحاضر، ثم ملحق القبائل التي هاجرت أو هاجر أكثرها وأسباب الهجرة، والقبائل التي انقرضت، وسنأخذ ذلك بشيء من البيان والتفصيل بما يحقق الهدف ولا يخل بالمقصود في غير إيجاز مخل ولا إسهاب ممل.

أولاً: القبائل البائدة:

ذكر بعض المؤرخين أن العرب البائدة عاشت قبل الميلاد بألفي سنة تقريباً[1] وانقرضت في القرن الخامس الميلادي، وقد رتبتهم حسب تحقق سكناهم لليمامة عامة والأفلاج خاصة.

١- طسْم وجَديس:

ذكر النسابون أنه طسْم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام كانت ديارهم اليمامة وما حولها إلى البحرين[2]، وقد كانت تجاورهم قبيلة جديس بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح[3]، وقيل طسم أخو جديس، قال ابن رشيق في العمدة: طسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم[4]، وقال ابن منظور صاحب لسان العرب: جديس حي من عاد وهم إخوة طسم، وفي التهذيب: جديس حي من أحياء العرب كانوا يناسبون عاداً الأولى وكانت منازلهم اليمامة.

وفيهم يقول الشاعر رؤبة: (بوار طسم بيدَيْ جديسِ)

قال الجوهري: جديس قبيلة كانت في الدهر الأول فانقرضت[5].

وقال ابن كثير: إن طسماً وجديساً من العرب العاربة وإنها قبل إسماعيل عليه السلام[6]. قال ياقوت: (وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر وتسمى اليمامة جواً والعَروض بفتح

(١) التأريخ العربي وجغرافيته ٢١١ وقلب جزيرة العرب، ٢١٦.
(٢) معجم قبائل العرب ١/ ١٧٢- ٢/ ٦٨٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٩٨.
(٤) العمدة ٢/ ١٩٠ .
(٥) لسان العرب ٦/ ٣٥ .
(٦) البداية والنهاية ١/ ١٢٠ .

العين، وكان اسمها قديماً جواً، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم) وقد حصل بين القبيلتين نزاع وحروب كان الانتصار فيها لجديس، ولم يطل تمتع جديس بسلطانها بعد قضائها على طسم فقد استنصر من بقي من طسم بالملك الحِمْيريّ حسان بن تبع فنهض في حِمْيَر وقضى على القبيلتين معاً واستولى على بلادهم، وكان ذلك في القرن الميلادي الخامس[1]، وقيل إن سيادة طسم وجديس زالت على يد: (امرئ القيس بن عمرو) الذي كوّن دولة امتدت من اليمامة إلى نجران وإلى تخوم الشام شمالاً. وقيل زالت طسم وجديس على يد كندة والله أعلم.

٢- كِنْدة:

كانت مملكة «حجر الكِنْدي» أشهر دول نجد التي تحدث عنها التأريخ، وقد اتفق المؤرخون أنها بعد طسم وجديس، يقول ابن الكلبي إن الكنديين ورثوا دولة طسم وجديس، وبعضهم يرى أن الكنديين ورثوا دولة امرئ القيس بن عمرو، وقد انتهت مملكة كندة في منتصف القرن السادس الميلادي إذ لم تعش سوى قرن من الزمان حيث قضى عليها (النعمان بن المنذر) في عهد (أنو شروان) كسرى فارس.

٣-بنو هِزَّان:

أما بنو هِزَّان فقبيلة عربية بائدة كانت باليمامة قيل: إنها عاصرت قبيلتي «طسم وجديس» قاعدتهم المجازة (حوطة بني تميم وما حولها) ومن منازلهم عُلية (ما كان عن الحوطة شمالاً إلى نساح) ووادي نعام ووادي برك ووادي بريك، وقد جاورهم بالحلف بطون من قبائل أخرى كبني جَرْم من قضاعة وبني الحارث من لؤي من قريش، كما جاورهم (عنزة ابن أسد) وغيرها.

---

(١) قلب جزيرة العرب ٢٣٠ .

٤- أصحاب الرس:

اختلف المفسرون في المراد بأصحاب الرس الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾[(١)]، قال ابن جريج: قال عكرمة: أصحاب الرس بفَلَج وهم أصحاب يس، وقال قتادة: فلج من قرى اليمامة، وقيل هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله في سورة البروج وهذا اختيار ابن جرير الطبري.[(٢)]

وذكر الرازي في تفسيره أن الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان قتلوه فأهلكوا[(٣)]، قال محمد بن هشام الكلبي في تحديد موقع الرس: هو ما بين نجران واليمن من حضرموت إلى اليمامة وكان يسكنها «الأقيون بن قحطان» وهم رهط النبي حنظلة بن صفوان، وقيل: الرس رسان رسٌّ بقرى ثمود وقد أهلكهم الله، ورس بفَلَج اليمامة، وقيل رس بحضرموت ورس بفلج اليمامة رحل إليه بعض من ثمود.[(٤)]

وللأستاذ حمد الجاسر بحث عن الرس في القرآن نُشر في مجلة العرب في شهر رجب سنة ١٣٩٠هـ وقد ذكر أن جملة الأقوال أن موقع الرس يطلق على البلاد المعروفة الآن باسم «الأفلاج» وكان هذا الرأي معروفاً إلى منتصف القرن الخامس الهجري. والله أعلم.

٥- أُمَيْم:

قيل إنها قبيلة عربية بائدة، وقيل بل هاجرت من البلاد العربية إلى بلاد

---

(١) سورة الفرقان ٣٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٧٤.
(٣) التفسير الكبير للرازي ٢٤/ ٨٢ .
(٤) انظر مدائن صالح ٥٤- ١٦١.

فارس فضاعت سيرتها فيما ضاع من سير الأقدمين، قال الطبري: «ولحقت أميم بأرض آبار فهلكوا بها وهي بين اليمامة والشحر ولا يصل إليها اليوم أحد»[1]، قال ابن خلدون: إنهم أول من بنى البنيان واتخذ البيوت والآطام من الحجارة وسقفوا بالخشب[2]، والذي يظهر حيث دلت عليه المصادر أنها اليمامة. والله أعلم .

٦-قوم عاد:

ذكر الله تعالى عاداً في القرآن في مواضع كثيرة وأن منازلهم بالأحقاف وأنه تعالى قد أهلكهم بريح صرصر عاتية عقيم. قال تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ وقال تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى﴾. فمن عاد الأولى؟ ومن عاد الثانية؟ وأين مساكنهم؟ والذي جعلنا نتساءل هو أن ياقوت الحموي في معجم البلدان – وهو من علماء القرن السابع الهجري – قال: إن الأفلاج من مساكن عاد القديمة[3]، كما أن الناس يطلقون اسم (قصيرات عاد) على قصيرات قديمة تقع بجانب السيح في الجنوب الشرقي، فهل هي كما قالوا؟ ذكر المفسرون والمؤرخون أن عاداً قبل ثمود وقبل إسماعيل عليه السلام قال ابن كثير: (يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر واسم واديهم مغيث[4]). وقال الشوكاني: وصف عاداً بالأولى لكونهم كانوا من قبل ثمود، قال ابن زيد قيل لها «عاداً» الأولى لأنهم أول أمة أهلكت بعد نوح.

---

(١) الطبري ١، ص١٠٦ .
(٢) قلب جزيرة العرب ٢٣٢ .
(٣) معجم البلدان٤/ ٢٧٢.
(٤) البداية والنهاية ١/ ١٢٠ وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٩٥.

وقال ابن إسحاق: هما عادان فالأولى أهلكت بالصرصر والأخرى أهلكت بالصيحة، وقيل عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم[1]. قال الرازي: وصفها بالأولى لتميزها من قوم كانوا بمكة هم عاد الآخرة[2]، أما ابن جرير الطبري: فقد ذكر أن عاداً الأولى هي عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ومنازلهم بالأحقاف وأن عاداً الآخرة كانت تسكن مكة وهم بنو لقيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صد بن عاد الأكبر كانوا مجاورين لإخوانهم العمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح أما الأولى فقد أهلكهم الله بالريح وأما الثانية فقد هلكوا ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل فيما بينهم[3].

قلتُ: ليس في كلام المفسرين والمؤرخين ما يدل على أن عاداً كانت باليمامة في قلب جزيرة العرب، ولم يشر لذلك أحد إلا صاحب لسان العرب حين قال: (وجديس حي من عاد) وقد مر معك أنهما يلتقيان في إرم، وليس في هذه دلالة على أن عاداً باليمامة، وما ذكره ياقوت الحموي[4] من أن الأفلاج من مساكن عاد فليس كما قال، والأقرب للصواب عندي ما ذكره ابن جرير الطبري ولعل هذه القصيرات - التي زعم الناس أنها لعاد - من مساكن جعدة بسيح الزهدمي، وقد ظن الناس أنها لعاد لما رأوا من قِدَمِها - بالنسبة لعصرنا هذا - والله أعلم.

---

(١) فتح القدير ٥/ ١١٧

(٢) التفسير الكبير ٢٩/ ٢٣.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، مجلد ١١ ص٤٦، في سورة النجم.

(٤) ياقوت الحموي من علماء القرن السابع الهجري، قال في كتابه معجم البلدان ٤/ ٢٧٢: (وكان فَلَج هذا من مساكن عاد القديمة).

ثانياً: قبائل الأفلاج في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وما بعده إلى القرن السادس الهجري:

يطلق المحققون (العصر الجاهلي) على ما كان قبل الإسلام بقرنين من الزمان تقريباً، وهو نسبة إلى الجهل والسفه والطيش، إذ كان لهذا العصر خصائص عدة ومميزات تميز بها عن غيره. منها «العصبية القبلية» التي هي الصلة الحميمة التي تجمع القبيلة ببعضها فهم لا يعيشون إلا بها ولها، والواحد منهم يضحي بنفسه وماله في سبيلها، حتى قال شاعرهم وهو دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غَزِّية إن غوتْ ❁ غويتُ وإن ترشد غزية أرشـدِ

فغيه ورشده مرتبطان بعشيرته فإن ضلت ضل معها وإن اهتدت صار معها من المهتدين، وهذه العصبية هي التي جعلت الجاهليين يُعنون بالأنساب عناية كبيرة يحفظونها ويرددونها ويتفاضلون بها ويفاخرون ويعلمونها أبناءهم، فرض ذلك عليهم طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية من الاعتزاز بالقبيلة وأمجادها وطلب الثأر والحلف والجوار وغير ذلك.

ومن سمات الجاهليين الشجاعة والفروسية فقد كان لهم منزلة ليست فوقها منزلة بحكم حروبهم الدائرة التي لا تني ولا تفتر، ومن سمات الجاهليين الكرم حيث بعثته فيهم الحياة الصحراوية القاسية وما فيها من إجداب وإمحال، ومن سمات هذا المجتمع أيضاً العزة والوفاء فهم يمتدحون بإغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة والأنفة وإباء الضيم، ومن سمات المجتمع الجاهلي حب الصيد والرعي والغزو، وهذه أهم وسائل عيشهم وحياتهم، ومن سماتهم القمار والميسر واستباحة النساء والخمر والسلب والنهب والظلم فشعارهم «من لا يظلم الناس

يظلم». وقول الشاعر:

وأحيـانـاً عـلى بكـر أخينـا ❁ إذا مـالـم نجـد إلا أخـانـا

ولما أراد الله إنقاذ المجتمع الجاهلي من فجوره وطيشه وسفهه، بعث محمداً ﷺ بالإسلام الذي أخرج الله به الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور القرآن وعدل الإسلام، إذ جعل للإنسان كرامته فمحا من حياة الجاهلية ما فيه شقاؤهم وتعاستهم كالظلم والسلب والنهب والخمر وغير ذلك، وأقرّ أموراً أخرى كالكرم والشجاعة والوفاء... ومما أزاله الإسلام ومحاه (العصبية القبلية) حيث جعل الله الكرامة عنده بالتقوى فلا تفاخر بنسب ولا تعاظم بحسب وإنما التفاضل بالتقوى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. إلا أنه أقرّ حفظ النسب ومعرفته أصولاً وفروعاً لما يترتب على ذلك من أمور شرعية كثيرة، وفي الحديث «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»[1]، ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة ملمين بأنساب العرب وأخبارهم وأشعارهم.

ولذي النسب القريب والبعيد حقه من الصلة كما بيّن ذلك الإسلام، فأما القريب فقد قال تعالى ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ وبمعرفة القريب تحصل الصلة ويُعرف الإرث والنفقة وأحكام النكاح وغيرها، وأما البعيد فله حق أيضاً فقد قال ﷺ عن أهل مصر: «استوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً أو قال صهرا»[2]، كما أثنى على وفد مصر وبين أن لهم نسباً مع أصحابه، وانطلاقاً من ذلك ولكي نعرف القبائل الحديثة لا بد من معرفة أنساب القبائل العربية القديمة ومساكنها في الأفلاج في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وما بعدهما.

(١) أخرجه الحاكم على شرط مسلم.
(٢) رواه مسلم. قال ذلك ﷺ لأنهم أخوال أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

بنو كعب بن ربيعة:

أجمع الباحثون وأكدت المصادر الموثوقة أن قبائل الأفلاج في العصر الجاهلي وما بعده هم (بنو كعب بن ربيعة بن عامر) وهم: (جعدة وقشير والحريش وبنو عُقيل).

نسبهم:

هم بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، قال الهمداني: «الفَلَج بلد أربابه جعدة وقشير والحريش بنو كعب»، قال ياقوت: «وفَلَج مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفلج مدينة قيس عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان وبها منبر ووالٍ.. قال: ويقال لها فَلَج الأفلاج»[1].

وقد كان بنو كعب بادية وحاضرة كما ذكر البكري: «إن قبائل بني عامر بن صعصعة كثيرو الترحال فقد كانوا يصيفون في الطائف لطيب هوائها وثمارها ويشتون في بلادهم من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها وإمراء كلئها»[2].

وبطون بني كعب كغيرهم من القبائل العربية الجاهلية التي تخضع للعادات والأعراف الجاهلية من سلب ونهب وظلم وهتك للأعراض، إلى أن منّ الله عليهم بالإسلام حيث وفدوا على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة التاسعة للهجرة فأسلموا وصار لهم نفوذ وسلطة وشهرة وشاركوا في الفتوحات الإسلامية للمشرق والمغرب.

(١) معجم البلدان ٤: ٢٧١.

(٢) معجم ما استعجم للبكري١/ ٧٧.

وفادة بعض بني كعب على الرسول ﷺ وإسلامهم:

وفد بعض من بني كعب على الرسول ﷺ - في فترات متفاوتة - فأسلموا وحسن إسلامهم، وكان يُقطِعُهم الرسول ﷺ شيئاً من الأرض أو المال أو نحو ذلك ترغيباً وتشجيعاً لهم وإحساناً إليهم فيرجعون دعاة إلى الإسلام وهداة إلى القرآن، فعمّ الإسلام بني كعب ودخلوا في دين الله أفواجا.

وكان ممن وفد على رسول الله ﷺ من بني جعدة: الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة فأسلم - فأعطاه الرسول ﷺ ضيعة بالفَلَج وكتب له كتاباً وبقي الكتاب عند بني جعدة[1].

كما وفد النابغة الجعدي الشاعر المشهور وقال أبياتاً منها:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى * ويتلوا كتاباً كالمجرّة نيّرا
وجاهدتُ حتى ما أحسّ ومن معي * سهيلاً إذا ما لاح ثمتَ غوّرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها * وكنتُ من النار المخوفة أوجرا

أما قشير فقد وفد بعضهم بعد غزوة حنين وقبل حجة الوداع، وكان أبرز من في الوفد ثور بن غزرة بن عبدالله بن سلمة بن قشير، وقد أعلن إسلامه فأقطعه الرسول ﷺ قطيعة وكتب له كتاباً، وكان مع ثور في وفد قشير حيدة بن معاوية بن قشير وقرة بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير، وقد كسا النبي ﷺ قرة بُرداً وولاه على صدقات قومه[2]، وعندما رجع قرة بعد وفادته على الرسول ﷺ وقال:

حباها رسولُ الله إذ نزلتُ به * وأمكنها عن نائلِ غير منفذِ
فمرت بروضِ الخضر وهي حثيثة * وقد أنجحت حاجاتها من محمدِ[3]

(1) نهاية الأرب ١٨/ ٤٧.
(2) نهاية الأرب ١٨/ ٤٧.
(3) معجم البلدان ٣/ ٨٩.

كما وفد بنو عُقيل على الرسول ﷺ وهم ربيع بن معاوية العقيلي ومطرف بن عبدالله وأنس بن قيس بن المنتفق، فبايعوا وأسلموا وقد أعطاهم الرسول ﷺ العقيق، عقيق بني عقيل (وادي الدواسر حالياً) وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحمر ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعاً ومطرفاً وأَنَساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ولم يعطهم حقاً لمسلم» وقد بقي هذا الكتاب عند مطرف، ثم وفد على الرسول ﷺ لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل فأعطاه الرسول ﷺ ماء يقال له النظيم، ثم وفد بعد ذلك الحصين بن المعلّى العقيلي وذو الجوشن الضبابي فأسلما، ولقد كثر بنو عقيل بوادي العقيق إذ هو مسكنهم الأصلي منذ أن وهبه لهم الرسول ﷺ ولم يستقر منهم في الأفلاج إلا القليل فيما نعلم، وبقيت لبني كعب عامة منزلتهم وقوتهم في الأفلاج إلى القرن السادس الهجري حيث اختلفوا وضعفوا فرحلوا وتفرقوا في الأمصار - كما رحل كثير منهم أيام الفتوحات - ودالت عليهم الأيام دولتها فلم يبق منهم في الأفلاج اليوم إلا أقل من القليل كما سيتبين لك ذلك إن شاء الله.

وقد رأى بعض الباحثين أنه من المستبعد أن تنزح قبائل بني كعب كلها ولكن ليس بعيداً أن تكون قد اندمجت مع غيرها من القبائل القحطانية أو العدنانية، لأن القبائل الضعيفة القليلة العدد غالباً ما تنضوي تحت سيطرة القبائل القوية التي تجاورها أو تحل ديارها وهذا كثير في العادة، ونحن لا ننفي هذا القول ولكن نقول: إن حصل هذا لبني كعب في الأفلاج فهو على نطاق ضيق جداً لما أثبته المؤرخون من هجرتهم وتفرقهم في البلاد الإسلامية وعزوا ذلك إلى أسباب منها: وجود الدولة

الأخيضرية في الخرج ومحاربتها للقبلية[1].

هجرة بني كعب:

هاجر كثير من بني كعب – أيام الفتوحات الإسلامية – في القرن الأول إلى كثير من البلدان فاتحين مجاهدين في جيوش المسلمين، فطاب مقامهم هناك واستقروا بها وتولى بعضهم أعمالاً إسلامية كبيرة فصار منهم الولاة والعلماء والقادة والشعراء.. كما سيأتي بيان ذلك عند ذكر بعض رجال هذه القبيلة بفروعها جعدة وقشير والحريش وبني عقيل وما لهم من مكانة وأعمال في المشرق والمغرب. كما أن بعضهم رحل طلباً للعلم وبعضهم طلباً للعيش والكسب أو فراراً من الخلافات القائمة فيما بينهم أو بينهم وبين المجاورين لهم كبني حنيفة الذين كانوا مستقرين بقلب اليمامة حجر (الرياض حالياً) وما حولها حيث وقعت بينهم أيام حاسمة كيوم الفلج عام ١٢٦هـ وغيره.

وأما أهم الأماكن التي رحل إليها بنو كعب بن ربيعة فهي:

١- جعدة قد وصلت إلى بلدان متفرقة أهمها: خراسان وأَصبهان وكرمان والشام ومصر[2].

٢- قشير وقد رحل كثير منها إلى البصرة وخراسان ونيسابور، كما ذكر ابن حزم الأندلسي أن قشيراً رحلت إلى جيّان والبيرة بالأندلس[3].

٣- الحريش ذكر الهمداني أن معظمهم رحل إلى اليمن[4]، وذكر ابن حزم أرمينية، وذكر غيره خراسان والبصرة.

---

(١) انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب.
(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ٢٨٩.
(٣) انظر جمهرة أنساب العرب ٢٨٩.
(٤) صفة جزيرة العرب ٣٠٤.

٤- بنو عُقيل رحلت إلى بغداد، وذكر ابن حزم أنها رحلت إلى قرطبة وجيّان ووادي ياش بالأندلس[١].

١- قبيلة جعدة مساكنها وبعض رجالها :

هي من أكثر بطون كعب وأقواها، وهي نسبة إلى جعدة بن كعب بن ربيعة أخو قشير لأبيه وأمه، إذ إن أمهما ريطة بنت قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثه بن سليم بن منصور- ومنصور هذا هو أبو هوازن الذي تنتمي إليه قبائل جعدة وقشير والحريش وبني عُقيل.

ولم تذكر المراجع من أفخاذ جعدة إلا بني سمرة وبني عبدالله وبني عدس، ولقد حظيت كعب بمكانة رفيعة وجناب مرهوب بين القبائل البعيدة والقريبة، فنال الشهرة كثير من رجالها كعبدالله بن جعدة إذ كان سيداً مطاعاً في قبائل بني جعدة بل بطون بني عامر بأجمعها وغيره من الرجال.

وبنو جعدة يقيمون حيث وجد الماء الكافي لزروعهم وأنعامهم فنجد من أهم مساكنهم الأسياح الثلاثة لقربها من العيون حيث يخرج منها الماء في جداول على سطح الأرض فيسقي نخيلهم وما زرعوا، حتى قيل إنه يخرج من عين (الزباء) وحدها سبعة عشر نهراً ومساكنهم في سهل الأفلاج وجبالها، وهم في الجبال أكثر وإليك بيانها بالتفصيل:

١- **سيح أطلس**: وهو يسقى من عين الناقة «عين الرأس حالياً» وسيح الرقادي ويسقى من عين يقال لها: «عين ابن أصمع» «وعين الزباء» قال الهمداني: «ولبني جعدة سيحان يقال لأحدهما الرقادي والآخر الأطلس، فأما الرقادي فإن مخرجه من عين يقال لها عين ابن

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ٢٩٢.

أصمع ومن عين يقال لها عين الزباء مختلطتين وأما أطلس فإن مخرجه من عين يقال لها عين الناقة[1]، وتحديده حالياً السيح الجنوبي وما جاوره جنوباً.

٢- **سيح الزهدمي:** جاء في بلاد العرب للأصفهاني: «فأسفل الفلج لجعدة ولهم فيه سيح يقال له الزهدمي وقد بنوا فيه حصناً وهو في أسفل الفلج وهو مفضٍ إلى البياض... والبياض صحراء لقشير وجعدة مسيرة عشرين يوماً وهو فلاة بين الفلج ويبرين ليس بها ماء حتى ترد يبرين».

٣- **سوق الفلج:** قال الهمداني: «وأما الحاصل من دار جعدة فسوق الفلج الذي تسوقه نزار واليمن وهو لبني أبي سمرة من جعدة[2]»، وقال الأصفهاني: «سوق الفلج ببطحاء وادٍ يسمى وادي أكمة واسم الوادي كرز والسوق مدينة عظيمة). ا.هـ، وقد وصفها الهمداني بأن عليها أبواب الحديد وسمك سورها ثلاثون ذراعاً ومحيط به خندق.. وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات يشاكل ماء السماء ولا يغيض وأربعمائة حانوت[3]. قلت: وهي في الجهة الجنوبية للعمار بمحاذاة الوادي.

٤- **المحطي:** قال الأصفهاني: «ومنازل جعدة فيما بين الزهدمي وسوق الفلج بمكان يقال له المحطي وهو محطي الفلج به نخيل ودور وحيطان». وهو عن الهيصمية جنوباً وتحديده حالياً ما كان عن العمار شرقاً إلى القطين بمحاذاة وادي الأحمر حالياً.

٥- **أكمة:** قال ياقوت: "أكمة قرية باليمامة بها منبر وسوق لبني

(١) انظر صفة جزيرة العرب ٣٠٥.
(٢) انظر صفة جزيرة العرب ٣٠٥.
(٣) انظر صفة جزيرة العرب ٣٠٥.

جعدة، وقشير تنزل أعلاها» قلت: وهي بين جبال طويق بوادي الأحمر حالياً سميت أكمة باسم الجبل القريب منها ويسمى حالياً (فريدة الروقية) وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق لها أثر.

٦- **الباحة:** وتسمى واسط حالياً قامت على أنقاض حاضرة بني جعدة.

٧- **الغيل:** وهو لبني عبدالله بن جعدة، وبأعلاه نفر من قشير ولا يزال يعرف بهذا الاسم، قال الهمداني: «وباقي جعدة ببلد يقال لها الغيل به الزروع والآبار والحصون».

٨- **الصدارة:** قال ياقوت: «الصدارة قرية بأرض اليمامة لبني جعدة»[1]، واسمها حالياً (ستارة).

٩- **حراضة:** ذكرها الأصفهاني لجعدة فقال «ولهم حراضة وفيها مياه وماشية ونخل» وذكرها الهمداني وهو يعدد بلاد جعدة، ولا تزال تعرف بهذا الاسم وهي من أكبر مساكن بني عبدالله بن جعدة.

١٠- **وادي غلغل ووادي الدريعي:** وهما في أعلى واد شطاب، عن حراضة شمالاً.

ومن مياه جعدة:

١- **الحيّانيّة:** تقع في الشمال الغربي لحراضة بين جبال العارض وبين نفود الدبيل - نفود الدحي - ولا تزال الحيانية تعرف بهذا الاسم.

٢- **أوّان:** وهو ما يسمى الآن بـ(ماوان) يقع عن الحيّانية جنوباً نسبة إلى جبل يدعى (خشم ماوان).

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٩٧.

٣- **الوره:** وتسمى الورهية حالياً غربي وادي شطاب، وكذلك ماء يقال له دلاميس.

٤- **مَلَح:** وهو غربي الحيانية .

٥- **وَحَاة:** وهو عن جبل العارض غرباً في ما سمي(بالجويفا) حالياً.

ويقول الأصفهاني في بلاد العرب: «وما بين المجازة – وهي منطقة الحوطة وما حولها إلى الفَلَج – لجعدة مياه وماشية ومن تلك المياه النضح بئر لهم بوادٍ يقال له العرجون.. ولهم أطلحاء وهو ماء بوداي يقال له وادي الأطلحاء وبلادهم هذه أودية وقفاف وجبال» ا.هـ.

قلت: أطلحاء ماء لجعدة يسمى واديه اليوم وادي طلحا ويرفده شعب يسمى طلوح.

من رجال جعدة:

عاش على أرض الأفلاج كثير من رجال جعدة ومشاهيرها، وقد سبق أن بينا أن أكثرهم هاجر إلى المشرق أو المغرب وصار لهم دور مشهود وذكر وشهرة، وتوالت أنسال جعدة هناك وإليك بعضاً من رجالها:

١- **عبدالله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد الجعدي:** والٍ من سادات قيس وفارس مشهور وأحد الأجواد المعدودين ولي أكثر أعمال خراسان وبعض أعمال فارس وكرمان في أيام عبدالملك بن مروان، وكان محمد بن مروان صديقاً له معجباً بأخلاقه وكرمه – توفي سنة ٩٠هـ[١].

٢- **زياد بن الأشهب:** هو عم عبدالله بن الحشرج، كان رجلاً شجاعاً مغواراً له جهود في الدعوة والإصلاح، وقد ذكر ابن حزم أن زياداً

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨٩.

هذا وفد على علي بن أبي طالب ليصلح بينه وبين معاوية رضي الله عنهما[1].

٣- **أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم الجعدي:** فقيه الديار المصرية في عهده كان صاحب الإمام مالك. قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه. وقيل اسمه مسكين وكنيته أبو عمرو وأشهب لقبه، مات بمصر سنة ٢٠٤هـ[2].

٤- **عبد الله بن جعدة:** كان سيداً مطاعاً في قبائل بني جعدة بل بطون بني عامر بأجمعها.

ومن شعراء جعدة (وسيأتي بيانهم في الشعراء):

١- **النابغة الجعدي:** واسمه قيس كان شاعراً مفلقاً أسلم وحسن إسلامه وكان له صحبة مات بأصبهان رضي الله عنه.

٢- **قيس بن الملوح بن مزاحم الجعدي:** لقب بالمجنون، وهو شاعر مشهور.

٣- **مالك بن الصمصامة بن سعد الجعدي:** فارس جواد[3].

٢- قبيلة بني قشير، مساكنها وبعض رجالها:

قشير بن كعب بن ربيعة إحدى قبائل الأفلاج ذات العدَد والعُدد في العصر الجاهلي والقرون الهجرية الأولى، وقد كان لها فضائل متعددة منها: إسهامها في الفتوحات الإسلامية مساهمة فعالة، كما برز منهم قادة

(١) انظر جمهرة أنساب العرب٢٨٩.
(٢) الأعلام١/ ٣٣٣.
(٣) الأعلام٥/ ٢٦٢.

وعلماء نفع الله الأمة بهم - وسيأتي بيان بعضهم - ولقُشير عدة أفخاذ هي:

بنو صهيب - بنو قرط - بنو سوادة - بنو هريم - وبنو فراش - بنو النجوى - آل شبل - آل ضرار - آل ركيز - الأحابشة.

مساكنهم:

سهل الأفلاج هو المقر الأصلي لقشير وأكثرهم بدو رُحّل يظعنون طلباً للكلأ والعشب حيث وجد، ولقد حددت بعض المراجع أماكن استقرارهم وإليك بيانها:

١- **الهيصمية:** وهي مدينة عظيمة لبني صهيب بن قشير يحدها شمالاً وادي سحاب وجنوباً العمار (حالياً) وشرقاً السيح وغرباً ليلى. قال الهمداني: «والهيصمية لبني صهيب من بني قشير وهي مدينة حصينة يركض على جدرها أربع من الخيل»[١].

٢- **الجدول:** قال الهمداني: «والجدول أعلى منها (يعني الهيصمية) لبني قشير»، وقد قامت ليلى على جزء منه.

٣- **الزرنوق:** ذكر الأصفهاني أنه لقشير وأنه على شط وادي أكمة، قلت: هو غربي سوق الفلج يخترقه الطريق المعبد حالياً أغلبه عن يمين السائر جنوباً.

٤- **قرن:** هي قرية تبعد عن الزرنوق جنوباً مسافة فرسخ (ستة أكيال) جنوب قرية الصغو حالياً إلى قرب سويدان، ذكرها الهمداني. وقال أبو عبيدالله السكوني: (قرن قرية بين فلج وبين مهب الجنوب من أرض اليمامة فيها نخل وأطواء وليس وراءها من قرى اليمامة ولا مياهها

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٥.

شيء وهي لبني قشير[1]). قلت ولعلها منطقة الآثار الموجودة بين الصغو وسويدان والمحاطة بشبك حديدي، وقد صدق أبو عبيدالله فهي لقشير ولكن وراء قرن قرى ومياه كثيرة كالمذارع وصداء والقاع والشطبتين وغيرها من قرى الأفلاج ومياهها من أرض اليمامة.

٥- **سيح إسحاق:** قال الأصفهاني: «وفي ناحية قرن سيح إسحاق الذي اقتتلت فيه جعدة وقشير لأنه كان لقشير ولإسحاق بن فلان فاشترته جعدة فمنعتها قشير فوقعت بينهم حرب، وكانت جعدة اشترته بثلاثمائة ألف درهم وهو نهر مخرجه من قناة وهو بطيحة واسعة وعليه من النخل ما لا يدرى ما مبلغه»، وهو الآن منطقة سويدان وما حولها.

٦- **القاع:** وهي قرية لبني قشير حذاء قرن، وهي بموقع مروان حالياً وما كان عنها غرباً.

٧- **المذارع:** وهي البديع الشمالي حالياً، وقد عدد الهمداني حصون قشير وأثنى على أهلها، ويشاركهم بالمذارع نفر من الحريش.

٨- **الشطبتان:** وهما عن وادي الهدّار جنوباً لقشير والحريش معاً وهما الشطبة والضبعية حالياً.

٩- **البياض:** وهو صحراء شرقي الفلج لقشير وجعدة.

١٠- **أهوى:** وتسمى الهوة حالياً، قال الحفصي: أهوى بأرض اليمامة ثم من بلاد قشير وقد ذكر غيره أنها ليست لقشير، والصواب أنها لقشير لأنها في ديارهم. قال ابن بليهد: ونحن نتبع فيها رواية الحفصي حين قال: ثم من بلاد قشير[2]. ولبني قشير أماكن أخرى في غير الأفلاج

(١) معجم البلدان٤/ ٣٣٣.
(٢) معجم اليمامة ١/ ١١٩.

حيث تختلط مع غيرها من القبائل كبني حمان من تميم وكلاب ونمير وبني قيس من ثعلبة وغيرها، ومنها:

١- الريب وهو الرين حالياً ذكر ياقوت أنه ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع لبني قشير وغيرهم[(١)].

٢- شعبعَب وهو موضع باليمامة قرب وادي نساح وتبراك ونفود قنيفذة.

٣- سُعد قرية لبني قشير بقرقرى غربي اليمامة، ولعلها ضرما أو ما حولها.

٤- قرقرى وتعرف الآن باسم الحمادة قاله ابن خميس.

٥- المروت وهو حالياً تبراك والغزير ومنبه وما حولها.

٦- الحمى ولعله حمى ضرية.

٧- واسط وهي قرية صغيرة، قال الجاسر تقع في الجنوب الشرقي من بلدة الدوادمي، وهي من توابعها. قلت: وليست هي واسط التي في جبال طويق.

٨- الحاجز والنقر والشبيكة.

٩- حلبان ماء لقشير ولا يزال يعرف بهذا الاسم[(٢)].

١٠- ومن مياه قشير البترة وهي قرب تبراك حالياً[(٣)].

وخلاصة القول في مساكن قشير أنها ثلاثة أقسام:

١- بلاد الاستقرار: وهي قلب الأفلاج كالهيصمية والجدول والزرنوق وقرن والقاع وسيح إسحاق والمذارع... وغيرها.

٢- بلاد التنقل والترحال: وهي أطراف الأفلاج كصحراء البياض شرقاً ووادي الشطبة وما جاورها من جهة الشمال وما وراء العارض

---

(١) معجم البلدان ٣/ ١١١.
(٢) مع الشعراء ٦٨٠.
(٣) معجم اليمامة ١/ ٥٢

إلى نفود الدحي غرباً إذ لهم فيها مياه كثيرة كالجاذبة والخصرة والصحبية والصبيغاء والقشيرة والرابغة والجناديات وغيرها.

٣- قرى ومياه خارج الأفلاج في الجهة الغربية والشمالية الغربية كما مر معك، حيث يشاركهم فيها قبائل أخرى.

من رجال قُشير:

١- **مسلم بن الحجاج القشيري:** الذي يعد مؤلفه في الحديث «صحيح مسلم» في الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري، ولا ريب ففي هذا شرف عظيم ومنقبة تمتاز بها قشير دون غيرها، فقد خدم الإمام مسلم الأمة الإسلامية خدمة جلى بجمع أحاديث الرسول ﷺ والتثبت منها حتى أصبح صحيحه الكتاب الثاني في الحديث، وقد رحل أجداده إلى نيسابور أيام الفتوحات الإسلامية حيث ولد هناك سنة ٢٠٤هـ وطلب العلم منذ الصغر ثم رحل إلى حواضر العالم الإسلامي وأخذ عن شيوخها كالعراق والحجاز والشام ومصر، أشهر كتبه صحيح مسلم، وله كتب أخرى تزيد على العشرة كالجامع والمسند الكبير والطبقات وأوهام المحدثين وغيرها، توفي بنيسابور سنة ٢٦١هـ[١].

٢- **كلثوم بن عياض القشيري:** أحد الأشراف القادة الشجعان، ولاه هشام بن عبد الملك دمشق، وسيره قائداً لجيش كبير لقتال الخوارج بالمغرب سنة ١٢٣هـ فقتل في معركة مع البربر في وادي (سبو) من أعمال طنجة[٢].

٣- **عبد الرحمن بن عبد الله بن هبيرة القشيري:** ولاه عمر بن عبد العزيز خراسان[٣].

---

(١) الأعلام ٧/ ٢٢١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٩٠.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٩٠.

٤- **جياش بن قيس القشيري:** شهد اليرموك، فقتل بيده ألف رجل نصراني، وكان يقول:

أنا القشيري أخو المهاجره * أضرب بالسيف رؤوس الكافره

٥- **بلْج بن بشر بن عياض القشيري:** قال ابن حزم وقد ولي الأندلس.

٦- **حيدة بن معاوية بن حيدة بن قشير:** قال ابن حزم (وله صحبة) رضي الله عنه.

٧- **قرة بن هبيرة:** وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه.

٨- **ثمامة بن حزن القشيري:** اشتهر برواية الحديث حيث روى عن عائشة رضي الله عنها.

٩- **أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري:** فقيه شافعي مشهور، أتقن كثيراً من العلوم كالفقه والحديث والتفسير والأصول والأدب، وهو من قشير الذين استقروا بخراسان.

١٠- **زرارة بن عقبة:** ولي خراسان وقد صار لجميع أبناء زرارة منزلة وقدر وشرف.

١١- **عروة بن شنوءة بن سلمة الخير بن قشير:** قاضٍ على المذهب المالكي.

ومن شعراء قشير (وسيأتي بسط الحديث عنهم):

١- **يزيد بن الطثرية:** وهو يزيد بن سلمة والطثرية أمه، شاعر من الفحول قتله بنو حنيفة يوم الفلج ١٢٦هـ.

٢- **الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري:** شاعر مجيد امتلأت حياته بالأحداث، اتسم بالحكمة وكان أكثر شعره في الوصف والحنين إلى الوطن.

٣- **المختار بن وهب:** كان رجلاً نابهاً في قومه وكثيراً ما يفتخر بمكانتهم.

٤- **الأقرع بن معاذ القشيري:** وهو من أجود شعراء بني قشير، عاش في زمن هشام بن عبدالملك.

٥- **خليفة بن عاصم القشيري:** كان من فرسان بني قشير، وكل شعره في الحماسة.

٦- **مصعب بن الطفيل القشيري.**

٧- **سوار بن أوفى القشيري.**

٣- قبيلة الحريش، مساكنها، وبعض رجالها:

الحريش بن كعب اسمه (معاوية) وقد نسبت القبيلة إلى لقبه فقيل الحريش، أفخاذها هم: بنو خلدة، وبنو خالد، وبنو ربيعة، وبنو المجر، وآل عياض، وهم أقل من جعدة وقشير.

مساكنهم:

١- **وادي الهدّار وفروعه:** ولم يشاركهم فيه أحد، قال الهمداني: «والحريش في وادٍ من الفلج يقال له الهدّار فيه نخل وزرع على آبار وسوانٍ من الإِبل. وقد قلّت الحريش به وتفرقت وجاور كثير منها باليمن»[1]، وقد ذكر الهمداني منازل أفخاذ الحريش في وادي الهدار وما

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٤.

حوله حين قال: «هدّار بني الحريش أول جزء فيه القطنية لبني جعدة من الحريش ثم الأقطان لبني خالد ثم الفرعة لبني ربيعة والحشرج لبني المجر»[1].

٢- **الشطبتان:** وهما الشطبة والضبعية حالياً يقول الهمداني: «ثم الشطبتان وهما نخل ومياه لبني الحريش»[2] والذي يترجح أن معها فيه قشير كما ذكر ذلك الأصفهاني في روايته عن أبي الأزهري الجعدي، وأهل مكة أدرى بشعابها.

٣- **صدّاء:** (وتحديدها حالياً شرق ساقية آل ناهض بالبديع) ولا تزال تعرف اليوم بهذا الاسم، فيها أطلال وقصور وهي لبني عياض من الحريش.

٤- **المذارع «البديع حالياً»:** للحريش فيه موضع وأغلبه لقشير كما مر معك ولا تزال به حصون كثيرة تدل على حضارة عظيمة.

من رجال الحريش:

١- **مطرف بن عبد الله بن الشخّير الحرشي:** كان أبوه صحابياً له رواية، أما هو فزاهد من كبار التابعين وفقيه فاضل له كلمات في الحكمة مأثورة وأخبار كثيرة، وثقة فيما رواه من الحديث، وولد في حياة النبي ﷺ ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة[3].

٢- **سعيد بن عمرو بن أسود الحرشي:** قائد من الولاة الشجعان، رحل أجداده إلى الشام أيام الفتوحات، ولاه ابن هبيرة خراسان سنة

(١) صفة جزيرة العرب ٢٩٦.
(٢) صفة الجزيرة العرب ٢٩٧.
(٣) انظر قاموس الأعلام ٧/ ٢٥٠ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨٨.

١٠٣هـ، كان تقياً بطلاً وصفه ابن هبيرة بفارس قيس، قال ابن حزم: وولده بأرمينية[1].

٣- **أبو العلاء بن عبد الله بن الشخير:** كان شريفاً فقيهاً تؤخذ عنه الآثار[2].

٤- **موسى بن نمير الحرشي:** وهو من سكان الهدّار بالأفلاج ولا تزال آثار قصره قبل قرية الهدار بخمسة عشر كيلاً، ولعله من بني خلدة من الحريش التي كانت تسكن القطنية ولا تزال تعرف بهذا الاسم.

ومن شعراء الحريش :

١- **بشار الحرشي:** وهو من سكان صدّاء وكثيراً ما يتغنى بطيب هوائها وعذوبة مائها. يقول بشار:

فهل أشربن من ماء صداء شربة ⁂ بدلوين لم أشرب بكوزٍ ولا سطْل

٤- بنو عقيل بن كعب:

وهم أفخاذ كثيرة: بنو عامر، وبنو ربيعة، وبنو عبادة، وبنو خويلد وغيرها.

أكثرهم يسكنون وادي العقيق (وادي الدواسر حالياً) ولا يوجد منهم بالأفلاج إلا القليل وأهم مساكنهم: (الرّوقّية) وهي قرية عظيمة تقع بوادي أكمة (وادي الأحمر) تبعد عن ليلى ٣٥ كيلاً تقريباً، ولا تزال بها بعض الأطلال وهي مأهولة حالياً.

ولقد رحلت بنو عقيل إلى جهات عديدة منها بغداد والشام وقرطبة

---

(١) انظر قاموس الأعلام ٣/ ٩٩ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم.
(٢) انظر أنساب العرب للكلبي ٣٥٧ .

وجيّان ووادي ياش بالأندلس وغيرها كما ذكر ابن حزم الأندلسي ولم يبق منهم في الأفلاج إلا آل طلحاب ويسكنون البديع.

ومن رجال بني عُقيل:

١- **جراد بن المنتفق العقيلي:** قال ابن حزم (له صُحبة)[1].

٢- **أبو رزين لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي:** قال ابن حزم: (له صُحبة ورواية)[2].

٣- **معاوية بن عبادة بن عقيل:** أدرك الإسلام ووفد على رسول الله ﷺ وأسلم.

٤- بكار بن مسلم وإخوته (الحارث وعبد العزيز): قال ابن حزم (كلهم أشراف سادة وأعقابهم بالجزيرة)[3] يعني جزيرة العرب.

ومن شعراء بني عُقيل:

١- القحيف بن حمير العقيلي.

٢- توبة بن الحميِّر بن ربيعة بن كعب الخفاجي العقيلي، صاحب ليلى الأخيلية[4].

٣- ليلى الأخيلية العقيلية.

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٩١.
(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٩١.
(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٩٢.
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٩١.

المبحث الثالث

قبائل الأفلاج من القرن السادس الهجري إلى اليوم[1]

لقد أجمعت المصادر[2] على أن الأفلاج في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وما بعدهما كانت موطناً لبني كعب بن ربيعة، وهم: بنو جعدة وبنو قشير والحريش وبنو عُقيل كما مر معك في المبحث السابق.

وقد ظلت هذه القبائل في هجرة مستمرة أيام الفتوحات الإسلامية فتفرقوا في الأمصار. ولا نستطيع أن نحدد زمن هجرتهم وانتقالهم من الأفلاج، إلا أن القرن السادس الهجري قد يكون حريّاً أنه القرن الذي تكاملت فيه هجرة بني كعب، كما ذكر ذلك الهمداني وابن حزم، ومَنْ بقي منهم - وهم قلة قليلة - دخلوا في غيرهم.

وقد وفد إلى الأفلاج من بعدهم قبائل كثيرة شتى استوطنت واستقرت بها، ولا يزال كثيرٌ منها إلى الآن، وإليك بيان هذه القبائل وزمن وفودها إلى الأفلاج على سبيل التقريب في القرن التاسع وما قبله، وأما قبائل القرن العاشر وما بعده فمجزوم بزمن قدومها:

١- في القرن السابع الهجري: قدم الشثور إلى الأفلاج.

٢- في القرن الثامن الهجري: قدم الجُميلات وبنو زعب وبنو لام إذ كانت لهم السيادة والزعامة في نجد[3].

---

(١) تحدثنا في ص١١٩ عن أهمية علم النسب في الإسلام وأنه حذر في المقابل من العصبيّة.
(٢) صفة جزيرة العرب ٣٠٤. معجم البلدان: ٤: ٢٧١. نهاية الأرب ١٨: ٤٧ وغيرها.
(٣) انظر كنز الأنساب ١٨٣.

٣- في القرن التاسع الهجري: قدم آل لحيان والرصعان وآل داود وآل شايقه.

٤- في القرن العاشر الهجري: قدم القبابنة والأشراف.

٥- في القرن الحادي عشر قدم الدواسر «القحطانيون منهم والعدنانيون».

ثم قدمت بعدهم قبائل كثيرة كآل رشود وهم من سبيع، والجذالين وهم من الكثران، وآل بشر وآل فهيد من آل مغيرة، وآل عاتي من العجمان، والهواجر وهم من بني شريف من قحطان، وغيرهم من القبائل التي اتخذت الأفلاج موطناً لها إلى اليوم. وسنتحدث في هذا المبحث بشيء من التفصيل عن قبائل الأفلاج من الدواسر ومن قبلهم - ممن مر معك ذكرهم- وعن القبائل التي وفدت في القرن الحادي عشر الهجري وما بعده إلى زماننا هذا، لا سيما القبائل التي نشأت في الأفلاج، وإن كان بعضها أو كثير منها انتقل إلى أماكن أخرى كالخرج والرياض والمنطقة الشرقية وغيرها. وعند ذكر أفخاذ كل قبيلة قد نذكر الفرع بجانب الأصل إذا تسمّى الفخذُ بالفرع للحاجة لمعرفة ذلك فلا يلتبس الأمر على القارئ، وسنبدأ بذكر الدواسر لكثرتهم في البلاد.

١- الدواسر:

قبيلة عربية كبيرة مشهورة مؤلفة من بطون وفروع كثيرة لا يجمعها جدٌّ واحد، وإنما يرجعون إلى أصول قحطانية وعدنانية، جمعهم (حلف) مشهور في القرن التاسع الهجري عقدوه ضد بني لام لإضعاف قوتهم وتقليص نفوذهم، حيث كانت لبني لام السيطرة على نجد، وقد عُرف الدواسر بهذا الحلف فصار لهم بعده شأن في التأريخ، وكان مقرهم الأصلي وادي الدواسر «العقيق» قديماً، وقد وفد كثير منهم إلى الأفلاج في أول القرن الحادي عشر الهجري، وانتشروا بعده داخل الجزيرة العربية وخارجها.

نسب الدواسر:

أما قبائل الدواسر القحطانية فهم أبناء زايد بن سالم من بني وداعة[1] ابن عمرو بن عامر، من الأزد من كهلان بن سبأ من قحطان، وقبائل الدواسر القحطانية في الأفلاج، هي:

١- آل حسن بن صهيب[2] بن زايد وهم الفرجان وآل عمار والشكرة.

٢- الغياثات وهم من الصهبة من بني موسى بن صهيب بن زايد الدواسر.

٣- الوداعين وهم أبناء ودعان بن سالم بن زايد الدواسر .

أما قبائل الدواسر العدنانية فهم التغالبة (من تغلب بن وائل)[3] ويسكن الأفلاج منهم حالياً قبيلتان هما:

١- الحقبان. ٢- المصارير.

قدوم الدواسر:

تعددت الروايات في قصة قدوم الدواسر إلى الأفلاج في أول القرن الحادي عشر الهجري، بعضها قد يميل إلى الحقيقة وبعضها خرافي بعيد عن الصواب.

وجملة القول أنها تهيّأت عدة ظروف واجتمعت أمور ساعدت على انتقال بعض من الدواسر إلى الأفلاج منها: أن خلافاً قوياً حصل بين الشثور أنفسهم – وهم أشهر سكان الأفلاج وخاصة ليلى قبل الدواسر–

(١) عمرو بن عامر المَلْطُوم، وقد لَطَمه ابنُه الأصغر (وداعة) في قصة لا يتسع المقام لذكرها، وقيل غير ذلك. علماً بأن بعض الباحثين يرى أن اسمه (وادعة) ولكن غلب عليه التحريف.

(٢، ٣) ويرى الشيخ حمد الجاسر أن بني صهيب (الصهبة) البطن المعروف في الدواسر هم بنو صهيب البطن الشهير في بني قشير الذين سكنوا الأفلاج قديماً كما مر معك. وأن بني تغلب (الدواسر) ليسوا من تغلب وائل وإنما هم من تغلب قضاعة من حمير من قحطان.

مما جعل شثور أسيلة يغيرون على شثور النقية[1] حاضرة الشثور آنذاك فقتلوهم ولم يبق من شثور النقية إلا القليل، وبهذا الاعتداء ضعفت قبيلة الشثور وانكسرت شوكتها.

ومن طرف آخر كان الخلاف محتدماً بين الشثور في ليلى وبين آل حامد أهل السيح، سببه أن رعيان الشثور يعتدون على مزارع القطين بالسيح مما أغاض آل حامد على الشثور فذهب أحد رجال آل حامد إلى وادي الدواسر يستنجد بأهلها.

ولم تكن قبائل الدواسر في الوادي بأقل خلافاً عن قبائل الأفلاج، فقد كان آل حسن بن صهيب قد اختلفوا مع غيرهم من الدواسر، كل هذه الأسباب والخلافات دعت بعضاً من الدواسر إلى الرحيل من الوادي إلى الأفلاج؛ فراراً من الخلاف القائم بينهم واستغلالاً للفرصة السانحة في ضعف سكان الأفلاج الأصليين وهم الشثور، وكان أول من قدم من الدواسر «آل حسن» تحت قيادة آل بازع فتقاسموا الأفلاج وبعدها تتابع مجيء الدواسر سنة بعد أخرى حتى تكاملت أفخاذ الدواسر (القحطانية والعدنانية) التي تقطن الأفلاج حالياً على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

(١) النقّية: قرية كبيرة شرقي ليلى كانت آهلة بالشثور قبل القرن الحادي عشر.

أفخاذ الدواسر بالأفلاج:

١- آل حسن بن صهيب بن زايد وهم: الفرجان وآل عمار والشكَرة.

أ) **الفرجان:** أبناء فرج[١] بن حسن بن صهيب وهم ثلاثة أفخاذ: آل منيف وآل محمد والوبارين.

[١] آل منيف وهم:

١) آل بازع وأبناء عمومتهم آل أبو راس[٢]. وقد كان لآل بازع تأريخ ومجد إذ كانوا أهل نجدة وشجاعة وكانوا أمراء آل حسن من قبل القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري. ولم يبق منهم اليوم إلا القليل.

٢) آل حسين[٣] وهم العجالين وآل حمدان. أما العجالين فهم أمراء ليلى بعد آل بازع وأفخاذهم:

• آل عبدالله • وآل سعد • وآل حمود • وآل محمد.

وأما آل حمدان فهم:

• آل راشد وهم (آل حبشان، وآل شجاع)

• آل ردعان • آل جار الله.

٣) آل حجي: وهم الفخذ الثالث من آل منيف. ويسكنون ليلى ولم يبق منهم إلا القليل.

---

(١) ويقال: إن الفرجان أبناء فرج بن فرج بن حسن وأن آل عمار أبناء فرج بن حسن، والشواهد على عدم صحة هذا القول كثيرة.

(٢) يجتمع آل بازع وآل أبو راس في جد قبل منيف غاب عني اسمه.

(٣) آل حسين والجبارين هم أبناء علي بن منيف بن فرج. ولم يبق من الجبارين إلا رجل واحد منجب.

[٢] آل محمد من الفرجان وهم الهواملة ويسكنون الفيصلية بليلى وأفخاذهم:

- آل هويدي، • وآل بدره، • وآل خضير،
- وآل رميان، • والفوارين.

ومن آل محمد الصخابرة سكان البديع بالأفلاج وأفخاذهم:

١) آل صويان (وفيهم الإمارة).
٢) آل عفيص.
٣) آل شاهر.
٤) آل مفرج.
٥) آل يحيى.
٦) آل سعود.
٧) آل فرّاس.

[٣] الوبارين من الفرجان: ومنهم الخضران سكان المقرن بالأفلاج ومن أفخاذ الخضران:

١) آل حرمل ومنهم آل سجوان ومن آل سجوان آل عبلان في ليلى.
٢) آل هديان في العجليّة والشطبة والشبيكة والمقرن[١] وهم:
   - آل علي ومنهم آل نايف (وفيهم الإمارة).
   - آل شمال.

---

(١) المقرن: موضع عن البديع جنوباً بـ ٨٠ كيلًا.
- الشطبة: قرية قديمة في وادي الشطبة عن البديع جنوبا ب٩٠كيلاً.
- الشبيكة :قرية قديمة في الجنوب الغربي من البديع.
- العجلية: هي في الأصل ماء للخضران وقد غلب اسمها على وادي الشطبة.

٣) آل لمعان من الخضران في هجرة لهم بالقرب من الغيل .

وقد رحل كثير من الوبارين عن الأفلاج في أزمان متفرقة.

من مشاهير الفرجان:

كثيرون أولئك الرجال المشاهير الذين حفل بهم التأريخ، ولا نستطيع أن نحصي مشاهير القبائل ورجالها الذين كان لهم دور كبير في المجتمع، ولكننا سنكتفي بذكر بعض من مشاهير الدواسر وغيرهم ممن قبلهم أو بعدهم ممن اشتهر بالإصلاح والشجاعة والكرم والبذل والنجدة.. وشهد له بالخير والصلاح.

وسنبدأ بذكر مشاهير الفرجان:

١- راشد بن بازع الفرجان: الرجل الكريم الشجاع والقائد الحكيم المطاع الذي تولى إمارة قبائل مدينة ليلى إلى أن توفي عام ١٢٢٢هـ.

٢- مبارك بن راشد بن بازع: وهو كأبيه شجاعة وقيادة وكرماً، تولى إمارة القبائل في ليلى بعد والده إلى أن مات سنة ١٢٤٠هـ.

٣- سعد بن بازع: تولى إمارة القبائل بعد ابن أخيه عام ١٢٤٠هـ إلى عام ١٢٥٠هـ، وكان رجلاً كريماً ذا سخاء وبذل وفروسية.

٤- شبيب بن سعد بن بازع: تولى إمارة القبائل بعد والده إلى أن مات سنة ١٢٨٥هـ، وكان كأبيه في الكرم والشجاعة.

٥- مرضي بن حمود بن عجلان: اشتهر بالشجاعة، وقد تولى إمارة قبائل ليلى من عام ١٢٨٥هـ إلى أن مات سنة ١٢٩١هـ.

٦- سعد بن فهد آل أبو راس الفرجان: تولى إمارة قبائل مدينة ليلى من عام ١٢٩١هـ إلى أن مات سنة ١٢٩٩هـ وكان رجلاً مهيباً

شجاعاً يحب أهل الخير والصلاح.

٧- معجب بن تركي بن عبدالله بن عجلان: كان رجلاً شجاعاً مقداماً تولى إمارة القبائل في مدينة ليلى من عام ١٢٩٩هـ إلى أن مات سنة الرحمة[1] عام ١٣٣٧هـ.

٨- حزام بن خزّام العجالين: الرجل الحكيم والقائد المدبر كان ذا رأي سديد وتفكير صائب يعرف زمن الإقدام، شارك مع الملك عبد العزيز آل سعود في فتح الرياض ١٣١٩هـ وكان كريماً مساعداً للآخرين، تولى إمارة القبائل في مدينة ليلى بعد معجب بن تركي إلى أن توفي سنة ١٣٦٥هـ.

٩- سودان بن راشد آل حمدان: وقد اشتهر بالكرم والشجاعة ومساعدة الآخرين، توفي سنة ١٢٢٣هـ وهو الجد الأعلى لآل شجاع من آل حمدان.

١٠- فهد بن راشد بن ناصر آل حبشان: كان جواداً، توفي سنة ١٣٦٠هـ.

١١- مرضي بن عبد الله آل حبشان: اشتهر بجوده وكرمه لجميع الناس ومحبته لأهل الخير والصلاح، توفي سنة ١٣٩٨هـ.

١٢- منصور بن ناصر آل ردعان: اشتهر بالشجاعة، توفي سنة ١٣١٨هـ.

١٣- مسلّم بن منصور آل ردعان: اشتهر بالشجاعة كأبيه، توفي سنة ١٣٨٩هـ.

١٤- دغش بن شاهر الصخابرة: كان رجلاً كريماً، توفي سنة ١٣٦٧هـ.

---

(١) سميت سنة الرحمة (تفاؤلًا) وقد حصلت فيها وفيات كثيرة.

١٥- سعود بن عوّاد الصخابرة: اشتهر بالشجاعة، توفي سنة ١٣٨٢هـ.

١٦- سُحمي الهواملة: رجل شجاع مشهور، توفي سنة ١٣٦٨هـ.

ب) آل عمار: من آل حسن: أفخاذهم أربعة هي:

١- آل حامد (وهم غير آل حامد الأشراف).

٢- آل سعد.

٣- آل مانع.

٤- آل مبارك، وتفصيلهم كالتالي:-

١) آل حامد من آل عمار هم:

- آل نشير (وهم: آل جويعد وآل تميم).
- آل قَيْنان.
- آل غانم وهم يسكنون سيح الأفلاج.

٢) آل سعد وهم: الشواهين وآل واسط وآل بتير وهم من سكّان السيح.

٣) آل مانع وهم: الدغمة والسواحلة أبناء مانع بن عمار ويسكنون مروان وسويدان بالأفلاج.

أما الدغمة فهم:

- آل عمرة وهم: آل كليب وآل هادي.
- الطبابخة وهم: آل جفنان وآل رينان وآل نامي.
- اللواما وهم: آل يحيى وآل سعيّد.
- الكبشة وهم: آل حمد وآل سعد.

وأما السواحلة فهم:

• آل وتيد • وآل راشد • وآل مسيفر.

٤) آل مبارك من آل عمار من آل حسن ويسكنون الروضة بالأفلاج ومنهم:

• آل مشنان (وفيهم الإِمارة). • آل ناجي.

من مشاهير آل عمار:

١- ناجي بن كليب آل مانع: اشتهر بجوده وإنفاقه، توفي سنة ١٣٣٧هـ.

٢- محمد بن ناصر آل مانع: رجل كريم منفق على المحتاجين، توفي سنة ١٣٦٠هـ.

٣- مسعود بن فرحان آل جويعد: اشتهر بالكرم والبذل، توفي سنة ١٣٦٢هـ.

٤- سيف بن قينان آل عمار: تولى إمارة آل عمار إلى أن توفي سنة ١٣٧٠هـ.

٥- محمد بن درمان آل تميم: اشتهر بالشجاعة والكرم الفياض، توفي سنة ١٣٧١هـ.

٦- محمد بن خليفة بن مشنان آل مبارك: اشتهر بالشجاعة والكرم، وشارك مع الملك عبد العزيز في عدة مواقع، توفي سنة ١٣٩٨هـ.

جـ) الشكرة: من آل حسن: وهم أربعة أفخاذ:

١- البردة.

٢- الحنابْجة.

٣- الجعاثنة.

٤- آل أبو علي.

أفخاذ البردة:

١- آل مسفر: ومنهم آل هذال وآل وقيان وآل هشام.

٢- آل فرّاج: ومنهم آل مهنّا وآل حفيظ سكان أسيلة.
٣- ومن أفخاذ البردة آل دحيم وآل ظافر وآل تركي وآل فرحان وآل ظفر.
٤- ومن البردة آل راجح ومنهم آل عون.

أفخاذ الحنابجة هي:

١- آل عجيمة: وهم آل حسين وآل بشير.
٢- آل زهير: ومنهم آل بيشان وآل نافع.
٣- آل جدّوع وهم آل سمحان وآل سريحة.
٤- آل مثيب.

أفخاذ الجعاثنة:

نزح كثير من أفخاذ الجعاثنة إلى الخرج والمنطقة الشرقية وغيرها ولم يبق في الأحمر إلا فخذان هما: آل هديب، وآل طهيف.

أفخاذ آل أبو علي:

١- آل عفدين ومنهم آل حفيظ أمراء بادية الشكرة وليسوا آل حفيظ أهل أسيلة.
٢- الهراثمة ومنهم آل محسن وآل كليب سكان واسط .
٣- آل سفر.
٤- آل شنار.

ومساكن الشكرة (الأحمر والبديع الجنوبي وأسيلة).

من مشاهير الشكرة:

١- إدريس بن حسن الشكرة: اشتهر بالشجاعة والإِقدام، توفي في أول القرن الثاني عشر الهجري.

٢- هذال بن زيد بن وقيان: كان كريماً جواداً يسعى لإصلاح ذات البين ويحب أهل الخير والتقى، وهو من أشهر الناس في زمانه بالعارض. تولى إمارة قبيلة البردة بالأحمر بعد وفاة أبيه إلى أن توفي سنة ١٣٦٠هـ.
٣- فرحان بن حفيظ آل أبو علي الشكرة: اشتهر بالشعر والكرم، توفي سنة ١٢٩٨هـ.
٤- محمد بن فرج بن حفيظ آل أبو علي الشكرة: اشتهر بالشعر والكرم والشجاعة، وتوفي عام ١٣٤٥هـ.
٥- سند بن محمد بن فرج آل أبو علي: كان شاعراً شجاعاً كريماً كأبيه، توفي عام ١٣٣٤هـ.
٦- منيف بن حَمْدان آل أبو علي الشكرة: اشتهر بالبذل والسخاء، توفي عام ١٣٢٥هـ.
٧- سعود بن علي بن فرحان بن حفيظ آل فرّاج: اشتهر بالجود والبذل والشهامة، تولى إمارة أسيلة عدة سنوات إلى أن توفي سنة ١٣٤٦هـ وليس له ذرية.

الغياثات:

وهم من الصهبة أبناء غياث من بني موسى بن صهيب بن زايد فرع كبير من الدواسر حاضرة وبادية، ومن بطونهم، آل نابت سكّان الخرفة بالأفلاج نسبة إلى نابت بن علي بن راشد بن عنّاز بن منير الغياثات، قدموا إلى الأفلاج في القرن الحادي عشر الهجري.

أفخاذ آل نابت هي:

١- آل مطلق.
٢- آل درع.
٣- آل دايل وهم آل سلطان (وفيهم الإمارة) وآل جزا.

٤- آل عامر.
٥- آل مخيزيم ومنهم آل غيث وآل هزاع.

من مشاهير الغياثات بالأفلاج:

١- عبد العزيز بن مفلح بن درع بن نابت الغياثات: اشتهر بالشجاعة والفروسية والكرم، وقد لقب (بالدحّام) لإقدامه وشهامته، توفي بالخرفة عام ١٢٩٨هـ.
٢- سلطان بن خزيّم بن دايل الغياثات: اشتهر بالكرم والجود، توفي عام ١٣٠٢هـ.
٣- مطلق بن عبد الله بن مطلق بن محمس: اشتهر بالشجاعة وذات اليد، توفي عام ١٣٥٠هـ.

الوداعين:

وهم أبناء ودعان بن سالم بن زايد الدواسر، ولا يوجد منهم في الأفلاج إلا فخذان هما:
١- آل خليّف: ويسكنون الهدّار، وقد انتقل كثير منهم إلى الجوبة بين وادي الدواسر والسليّل.
٢- آل عبد الله من آل ضويان من الوداعين، ويسكنون الخرفة بالأفلاج.

قبائل الدواسر العدنانية:

١- الحقبان:

وهم من بني تغلب بن وائل من بني ربيعة من عدنان، قدم بعضهم من كمَدة بوادي الدواسر في القرن الحادي عشر وبعضهم من الخرج.
وأفخاذ الحقبان الذين في الأفلاج ستة:
١- آل جريس. ٢- آل خلف. ٣- آل هزاع. ٤- آل ذيخان.

وهذه الأفخاذ الأربعة يسكنون الصغو بالأفلاج.

٥- آل جابر من الهدايا من الحقبان ويسكنون ليلى.

٦- آل مسعود من الهدايا من الحقبان ويسكنون واسط.

ومن مشاهير الحقبان في الأفلاج:

١- محمد بن جريس بن عمار الحقباني: رجل اشتهر بكرمه وإنفاقه على الفقراء واستقباله للمحتاجين، توفي عام ١٣٦٥هـ.

٢- عمار بن سعد بن عمار الحقباني: اشتهر بالجود والسخاء.

المصارير:

وهم من بني تغلب بن وائل من بني ربيعة من عدنان ويسكن بعضهم الهدّار وبعضهم يسكن الحيّانية[1]. وأفخاذهم هي:

١- آل ناهض. ٢- آل جعشان. ٣- آل فهيد.

٤- آل ضيف الله. ٥- الجوازية. ٦- آل ثلاب.

ولا يوجد في الأفلاج من الدواسر غير من ذكرنا وقد وَهِمَ صاحب معجم قبائل العرب حينما جعل الرجبان والعمور يقطنون الأفلاج، وإنما من سكنة وادي الدواسر.

٢- قبائل سبيع:

وهي قبائل ذات نجدة وشهامة، يوجد في الأفلاج منها (القبابنة وآل رشود وآل زريّر) وإليك الحديث عنهم مفصلاً:

١- القبابنة:

وهم من الشميسات من الزكور من سبيع من عامر بن صعصعة. وكان موطنهم الأصلي في رنية بلاد قبائل سبيع، ثم انتقلوا من رنية إلى

(١) الحيّانية: هجرة تقع في الشمال الغربي من حراضة، وهي تتبع حوطة بني تميم إدارياً.

القويعية وما جاورها، وتحالف كثير منهم مع السهول، وبعدها انتقلوا إلى الأفلاج في أواخر القرن العاشر الهجري وسكنوا الغيل وستارة وحراضة من قرى الأفلاج وأفخاذهم كالتالي:

١- آل جلَال: ويسكنون الغيل وهم: آل ثلاب (وفيهم الإمارة)، وآل راشد، والخبشة، وآل صيّاح.

٢- آل ذيب: ويسكنون ستارة وهم: آل عبد الله، وآل سعد.

٣- آل غليّظ: ويسكنون حراضة وهم: آل تركي، وآل فايز.

٤- الحوازمة: ومنهم آل نغيمش وفي الأفلاج منهم آل مقعد وآل شنار ومن الحوازمة أيضاً آل عريج، وفي الأفلاج منهم آل حقلان، وآل محمد.

٥- السواقين: وفي الأفلاج منهم آل سرحان في ستاره.

من مشاهير القبابنة:

١- سلطان بن ذيب: الذي اشتهر بالكرم والبذل والسخاء حتى ذاع صيته بين الناس، توفي عام ١٣٤٥هـ في طريق الحج.

٢- عبدالله بن سلطان بن ذيب: سار على نهج والده في ستاره بذلاً وجوداً وإنفاقاً على الناس في ليالي الجوع، توفي عام ١٣٦٠هـ.

٣- عبدالله بن راشد آل جلال: كان رجلاً كريماً ذا بذل وإنفاق اشتهر بالشجاعة وسداد الرأي، عاش في الغيل وبها توفي سنة ١٣٦٨هـ.

٤- حمد بن ثلاب آل جلال: اشتهر بكرمه وشجاعته، عاش بالغيل، توفي عام ١٣٤٠هـ.

٥- حسن بن هتلان آل غليّظ: اشتهر بالكرم والعطاء، عاش في حراضة، وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ.

٢- آل رشود:

وهم من النبطة من سبيع. وأفخاذهم ثلاثة هي:

- آل راشد «الأول»
- وآل سعيد.
- وآل رشود بن رشود الذي سمي باسم والده.

١- آل راشد الأول، وهم: آل منصور، ويسكنون السيح. وآل عبدالعزيز، ويسكنون ليلى.

٢- آل سعيد، وهم: آل فوّاز في ليلى، وآل مساعد.

٣- آل رشود بن رشود، وهم: آل راشد الثاني، وآل دخيل، وآل زيد، وآل علي.

من مشاهير آل رشود:

١- علي بن رشود بن رشود: اشتهر بالكرم والبذل. توفي سنة ١٣٠٧هـ.

٢- عبدالعزيز بن راشد (الثاني) بن رشود: كان رجلاً شجاعاً كريماً. توفي سنة ١٣٠٩هـ.

٣- الشيخ العلاّمة: سعود بن محمد بن عبدالعزيز بن راشد (الثاني) اشتهر بحسن القضاء والتقى والورع والشجاعة والكرم. توفي عام ١٣٧٣هـ.[١]

٣-آل زرير:

وهم من آل عامر من سبيع. ولا يوجد منهم في الأفلاج إلا عدد قليل كانوا يسكنون البديع، ومنهم آل ثويني ويسكنون الصغو بالأفلاج.

---

(١) انظر ترجمته في فصل (علماء الأفلاج).

٣- بنو لام :

وهم بطون وأفخاذ يرجع نسبهم إلى لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة «جديلة»[١] بن سعد بن فطرة بن طيء. وطيء قبيلة عربية مشهورة من كهلان بن قحطان[٢]، وبنو لام من أكبر القبائل العربية كانت لهم صولة وجولة في نجد وغيرها منذ القرن السادس الهجري حتى صارت لهم السيادة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. قال الحيدري في كتابه (عنوان المجد في أخبار البصرة ونجد): (من العشائر العظيمة بنو لام من أكابر الناس كرماً ونجابة وبأساً) قال علي بن موسى بن سعيد عن عام ٦٨٥هـ (أشهر الحجازيين الآن بنو لام وبنو نبهان والصولة بالحجاز لبني لام بين المدينة والعراق)[٣].

وقال لقيط بن وداعة:

إذا ما بنى الناسُ الحصونَ فإنما ❁ حصون بني لام مثقفةٌ سمرُ
وأرض فضاء ليس فيها معاقل ❁ ولا وَزَرٌ إلا الصوارمُ والصبرُ

وقال أبو الطمحان - واسمه حنظلة - يمدح بني لام:

إذا قيل أيُّ الناس خيرُ قبيلة ❁ وأصبر يوماً لا توارى كواكبُه
فإن بني لام بن عمرو أرومة ❁ سمت فوق صعب لا تنال مراقبُه
أضاءت لهم أحسابهم وجدودهم ❁ دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبُه[٤]

---

(١) جديلة: هي أم (خارجة) وقد غلب اسمها على ولدها فقيل «بنو جديلة».
(٢) المنتخب للمغيري ٢٧٢.
(٣) انظر حاشية علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢، ص٤٣٨.
(٤) انظر المنتخب للمغيري، ص٢٧٥.

ومن أشهر رجال بني لام في عصر النبوة: أوس بن حارثة. ذكر ابن الأثير في كتابه (أُسْد الغابة): أن أوس بن حارثة وفد على النبي ﷺ في سبعين راكباً من قومه فبايعوه على الإسلام.

ولقد حفل التأريخ برجال مشاهير من بني لام زمن سيادتهم وعلو شأنهم في قرون خلت إلى أن تفرقوا فرحل بعضهم إلى العراق وبعضهم إلى الشام مع تفرقهم داخل الجزيرة العربية.

ولا ريب أن قبيلة بهذا الانتشار وبتلك الكثرة في نجد أن تصل إلى الأفلاج وهي التي في قلب نجد. وقد وُجِدت صخرة في الغيل مكتوب عليها «مزرعة ...... بن زيد المغيري ٨٦٤هـ» وهذا من أوضح الدلائل على وجودهم في الأفلاج إلا أننا لا نعرف العشائر والأفخاذ التي من بني لام في الأفلاج قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومن فيها اليوم من بني لام إنما وفدوا إليها بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله-.

ومن أشهر بطون بني لام :

١- الفضول «آل فضل» ٢- الكثران «آل كثير»

٣- آل مغيرة.

وقيل: إن فضلاً وكثيراً ومغيراً إخوة - وهذا ما نُرجّحه - وقيل غير ذلك، وفي الأفلاج حالياً من هذه البطون الثلاثة أفخاذ وأسر كثيرة سيأتي ذكرهم.

ومن بطون بني لام الظفير، وقيل: إن الظفير من آل مغيرة. وقيل: الظفير حلف وقد ذكرهم السويدي فقال: الظفير بطن من بني لام والله أعلم.

وفي الأفلاج حالياً من بني لام أفخاذ سبعة تفصيلهم كما يلي:

١- **الجذالين:** وهم من الكثران من بني لام من طيء نسبة إلى جذلان ابن محمد بن ناصر بن علي الكثيري، وقد انتقلوا من الحريق[1] إلى ليلى بالأفلاج في عام ١١٩٩هـ. وكان أول من انتقل منهم دخيل ابن جذلان بعد أن أرسله والده إلى الدرعية لطلب العلم على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله - ثم أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١٩٩هـ إلى الأفلاج مع وفد منهم معلماً لهم وداعية إلى التوحيد.

والجذالين أربعة آفخاذ (آل مفلح، وآل فالح، وآل دخيل، وآل ناصر)[2].

٢- **آل فهيد:** وهم أبناء فهيد بن صالح بن فهيد بن محمد بن عبدالله ابن حمود المغيري من «آل مغيرة» من بني لام من طيء. سكنوا العمار بالأفلاج منذ عام ١٢٨٢هـ وبعضهم يسكن ليلى. وأفخاذهم خمسة وهي: (آل شبيب، وآل حبيب، وآل تميم، وآل صالح، وآل عبد الله).

٣- **آل بشر:** وهم من آل مغيرة من بني لام بن طيء. ويسكنون الروضة وليلى بالأفلاج. وأفخاذهم: (آل سفر، وآل مسفر، وآل سفران).

٤- **آل كليب:** وهم من آل مغيرة من بني لام من طيء. ويسكنون ليلى.

٥- **آل تركي:** وهم من آل مغيرة من بني لام من طيء. ويسكنون ليلى.

---

(١) الحريق: غربي حوطة بني تميم، بناه وزرعه الهزَازنة سنة ١٠٤٠هـ.

(٢) للاستزادة، ارجع إلى كتابنا: (الجذالين نسبُهُم وموجز تاريخهم).

٦- **آل رحمه:** وهم من الفضول (آل فضل) من بني لام من طيء وهم: (آل نمشان وآل محمد ويسكنون ليلى، وآل مفلح ويسكنون أسيلة بالأفلاج).

٧- **الخراسين:** وهم من الفضول (آل فضل) من بني لام من طيء وهم: (آل ماضي، وآل فالح ويسكنون أسيلة).

من مشاهير بني لام في منطقة الأفلاج:

نشأ على أرض الأفلاج من بني لام مشاهير كثيرون منهم:

١- دخيل بن جذلان الكثيري : الذي أرسله الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الأفلاج معلماً وداعية سنة ١١٩٩هـ، توفي عام ١٢٣٣هـ[١].

٢- سعود بن مفلح الجذالين الكثيري: أحد علماء الأفلاج، اشتهر بالعلم والكرم والإنفاق على الفقراء والمحتاجين، توفي عام ١٣٣٥هـ[٢].

٣- سعد بن سعود الجذالين الكثيري: اشتهر بالعلم وحسن القضاء وكرم الضيافة، تولى القضاء في الأفلاج عام ١٣٣٧هـ ثم في وادي الدواسر عام ١٣٤٤هـ، كثيراً ما يطمئن الناس لفتواه. توفي عام ١٣٧٩هـ[٣].

٤- عبد الرحمن بن شبيب آل فهيد المغيري: اشتهر بكرمه وإنفاقه ومساعدته للفقراء والمحتاجين. توفي عام ١٣٦٧هـ.

٥- إبراهيم بن مسفر آل بشر المغيري: ولد بالروضة وبها نشأ، ثم ارتحل إلى الرياض فينبع. شارك في جيش الملك عبد العزيز في الحجاز، وقد اشتهر بالشعر والأدب.

(١، ٢، ٣) انظر فصل العلماء.

٦- حمد بن مفلح بن حمود آل رحمه الفضلي: اشتهر بالكرم والبذل، توفي عام ١٢٦٨هـ.

٤- الجميلات:

وهم من البجايدة من العمارات من عنزة و(عنزة) قبيلة عدنانية كبيرة فيها أمراء وأعيان وفرسان وشجعان وأدباء وشعراء أفذاذ.

قيل نسبة إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقيل نسبة إلى عنّاز بن وائل وقيل عنز بن وائل وقيل غير ذلك[١].

بلاد عنزة:

قال ابن عبّار العَنَزي: (ومع مرور الزمن وتكاثر القبيلة توسعت في الأماكن حتى انتشرت عنزة من خيبر إلى منطقة القصيم واليمامة وبلاد الأفلاج)[٢].

وقال: (والمؤكد أن ديار عنزة في عام ألف للهجرة تمتد من الحناكية إلى الهدّار...).

وقال: (ويدل واقع عنزة في العصور الأخيرة أنها كانت منتشرة من خيبر إلى الأفلاج). قلت: والذي يظهر لي أن الجميلات وهم بطن كبير من عنزة كانوا يسكنون الأفلاج منذ القرن الثامن الهجري وخاصة الهدّار والبديع وما حولها. وقد كان للجميلات في الهدّار والبديع وما جاورهما شأن وتأريخ في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الهجري إذ كان فيهم مشاهير لهم صولة وجولة - سيأتي ذكر بعضهم -.

---

(١) ويرى الشيخ حمد الجاسر أن الجميلات من تغلب قضاعة من حمير من قحطان وليسوا من عنزة.

(٢) أصدق الدلائل في أنساب بني وائل ٩٨.

وفي الأفلاج حديثاً من الجميلات ثلاثة بطون هي:

١-النتيفات. ٢-الكبرا.

٣-آل عرفج[1]، أما آل عبود وآل عمران فهم من عنزة وليسوا من جميلة.

وإليك بيان هذه القبائل بأفخاذها على التفصيل:

١- النتيفات:

وهم فخذ كبير من جميلة من عنزة يسكنون الهدّار وبعضهم يرجع نسبه إلى الرجل الشهير الشاعر (فيصل الجميلي) وهم خمسة أفخاذ:

١- الهبعان: ومنهم آل نمشان (وفيهم الإمارة).

٢- آل عرفج «وليسوا آل عرفج أهل أسيلة».

٣- آل مرشد. ٤- آل فاضل. ٥- آل سويلم.

٢- الكُبَرَا:

وهم فخذ كبير من جميلة من عنزة كانوا في القرن العاشر والحادي عشر يسكنون البديع وما جاورها فنزحوا إلى جهات عديدة وتفرقوا، ومنهم اليوم مَن يقيم في الخالدية والحضافة وغيرها. وأشهر أفخاذهم في الأفلاج آل محمد وآل طلة.

١- آل محمد وهم: آل ذيب وآل حسن.

٢- آل طلة وهم: آل المرّي، وآل زرقا، وآل مكمي، وآل مهدي، وآل سرحان.

ومن الكبرا آل صويلح، وفي الأفلاج منهم أسر قليلة.

---

(١) القديهات: اسم قديم لآل عرفج. وقد أورده صاحب معجم قبائل العرب ١/ ١٧٥ بلفظ (الجذيهات) وليس كما ذَكَر.

٣- آل عرفج:

وهم من جميلة من عنزة ويسكنون أسيلة وهم آل حماد، وآل هتلان.

٤- آل عبود في الخرفة، وآل عمران في ليلى:

وهم من عنزة وليسوا من جميلة.

من مشاهير الجميلات:

١- **حمّاد الجميلي:** عاش حمّاد الجميلي في القرن العاشر الهجري، كان رجلاً كريماً شجاعاً محنّكاً أميراً في قبيلة الجميلات على البديع. ولما أثقلته الإتاوة التي كان يدفعها للشريف حسن بن أبي نُمي بنى قصر سلمى بالبديع حماية لنفسه من هجوم شريف مكة، ولما جاء الجيش عجز عن اقتحام القصر وقال الجند للشريف: «وجدنا سلمى أسفلها في الماء وأعلاها في السماء» وشاء الله سبحانه أن يخرج الشريف بنفسه للقضاء على فتنة بالخرج فمر على البديع وتمكّن من القضاء على جيش حماد، فهُزم حماد وجنده وأرغم على دفع الإتاوة، وكان ذلك عام ٩٨٩هـ[١] ولا نستطيع تحديد وفاة حماد إلا أنه لم يعشْ طويلاً بعد هزيمة الشريف له.

٢- **فيصل الجميلي:** هو شاعر شهير عاش في القرن الثاني عشر الهجري، حيث سكن قصر أجداده في الهدار «قصر صبحا» وعَمَرَه بالكرم والخصال الفاضلة، ولا عجب فقد كان رجلاً شجاعاً شاعراً ذاع صيته في بوادي نجد كلها وبين قبائلها، وقد رحل في آخر حياته إلى الكويت فسُمَي قصره بـ (طفية) بعد الهجران. وقد وفد على

(١) السوابق لابن بشر، أحداث عام ٩٨٩هـ، ورد فيه قدوم الشريف إلى البديع.

عبدالله بن صباح بن جابر العتبي[1] الجميلي الذي تولى إمارة العتوب في الكويت من عام ١١٧١هـ إلى ١٢٢٩هـ فأكرمه وأحسن وفادته وأبقاه عنده إلى أن توفي بالكويت[2]، وقد أرسل فيصل الجميلي إلى أقاربه في الهدّار قصيدة (نبطية) مشهورة يبكي فيها نفسه وحياته ويذكر أنه عاش في الهدار خمسة وتسعين عاماً كلها مليئة بالذكريات الجميلة والحياة الرفيعة الكريمة، وإلى فيصل ينتسب بعض من النتيفات سكان الهدّار حالياً.

٣- **جعيثن بن فردوس من آل عرفج من النتيفات**: كان رجل شجاعةٍ وكرم، توفي عام ١٢٢٠هـ.

٤- **هضيبان بن شافي آل مرشد النتيفات**: رجل الجود والعطاء المعروف، سكن قصر صبحا في الهدّار، وكان يحب أهل الخير والصلاح، توفي عام ١٣٤٠هـ.

٥- **راشد بن ظافي بن نمشان من الهبعان**: تولى إمارة قبيلة النتيفات، وكان مثلاً للبذل والكرم، توفي عام ١٣٩٤هـ.

٦- **معجب بن مفلح بن ذيب الكبرا الجميلي:** كان قائداً شجاعاً، شارك مع الملك عبد العزيز في بعض حروبه، توفي عام ١٤٠١هـ.

٧- **محمد بن علي آل عرفج الجميلي (من آل عرفج سكان أسيلة)**: اشتهر بالتقى والصلاح والكرم، توفي عام ١٣٠٥هـ.

(١) العتبي نسبة إلى حلف العتوب من جميلة وغيرها عام ١٠٨٥هـ تقريباً.
(٢) وفاته بالكويت (سماعاً) تناقلها أحفاده.

٥- الشثور:

وهم من أقدم القبائل التي سكنت الأفلاج، إذ يرجع تأريخهم إلى القرن السابع الهجري.

نسبهم:

المنقول عنهم والمشهور في نسبهم أنهم من الحرقان من عبيدة من جنب من مذحج من قحطان. قال صاحب المنتخب: ومن بطون جنب الحرقان البطن المعروف في عبيدة منهم الشثور أهل الحوطة[1]، وقيل في نسب شثر إنه (شثر بن محمد بن مزحل بن زيد بن علي بن عليش بن عادي بن جمعان بن هادي بن مسعود بن مبارك بن فالح[2]، وفالح فرع من آل سرب بن سالم بن راجح (السربة)، وهم بطن من بني جحيش بن زايد أحد بطون آل سليمان بن زيدان أحد عشائر حرق بن زارب (الحرقان)، وحرق بن زارب بن أثير بن طلق من بطون بني قيس بن دعّاس بن عاصم بن ربيع، من بني مرمض من زبيد من بني الحارث بن كعب المذحجي).

وقد بين الشيخ إبراهيم بن حمد الشثري المتوفى عام ١٢٥٥هـ نسب الشثور في قصيدة له - إن صحت نسبتها إليه - أنهم من آل حرق (الحرقان) حين قال:

إليك من الشثري نظماً تضوّعت ❊ أزاهيره عطراً وطابت مسابك

إلى أن يقول:

على متنها من آل حَرْق تقدموا ❊ إلى الحارث الكعبي غُرٌّ شوابك

خؤولتهم زعب سليم أصولها ❊ جدود بها عزّت وباهت أرائك[3]

---

(١) المنتخب للمغيري ٣٠٥.

(٢) في فالح يلتقي آل لحيان مع الشثور.

(٣) إتحاف اللبيب.

أما الشيخ العلامة حمد الجاسر فقد نسب الشثور إلى آل زياد من بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان من مضر[1]، وقد اعتمد في ذلك على ورقة بخط الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قاضي قطر كتبها عام ١٣٦٦هـ نقلها من مخطوطة لجده لأمه الشيخ صالح الشثري[2] المتوفى عام ١٣٠٩هـ، وقد نقل الشيخ صالح هذا النسب من كتابة الشيخ ناصر بن غانم الشثري الذي قيل عنه: إنه مفتي ديار فلج اليمامة.

كما نَسَبَ أحد الشثور – وهو الأستاذ محمد بن ناصر الشثري – أجداده إلى بني زياد في كتابه: «إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبد العزيز أبو حبيب» اعتماداً على هذه النسخة، والذي يترجّح عندي أنهم من الحرقان من عبيدة من جنب من مذحج من قحطان نسباً، وأنهم من بني زياد من قيس عيلان حلفاً – والله أعلم.

تأريخهم:

قدم الشثور إلى الأفلاج من جهات جنوب الجزيرة (تثليث والصبيخة وطريب وما حولها) في القرن السابع الهجري فتحالفوا مع بقية باقية من بني كعب بن ربيعة، مما جعل بعض النسابين يرجعهم إلى بني زياد من قيس عيلان من مضر. وحواضرهم في الأفلاج موضعان هما أسيلة والنقية.

١- **أسيلة:** سكنها الشثور في القرن السابع وما بعده وصار لهم فيها تأريخ طويل، وهي تقع عن ليلى شمالاً ولا تزال تعرف بهذا الاسم.

٢- **النقيّة**: هي قرية عريقة سكنها فخذ كبير من الشثور تقع شرق مدينة ليلى ولا تزال بعض حيطانها قائمة[3]، وقد شهد هذان

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤٠٥.
(٢) الشيخ ابن محمود من الأشراف وهو يمّت إلى الشثور بصلة الخؤولة.
(٣) انظر فصل المعالم الأثرية.

الموضعان حضارة ومجداً قبل القرن الحادي عشر الهجري، ولا ريب أن قبيلة عاشت هذه الحقبة من الزمن وبهذه الكثرة أن يكون فيها علماء أفاضل وشعراء نبلاء ورجال لهم تأريخ ولكن التأريخ لم يدون شيئاً من أخبارهم وآثارهم فقد كان ضنيناً علينا بذلك. ولا نعرف من علمائهم قبل القرن الثالث عشر إلا الشيخ ناصر بن غانم الشثري الذي قيل عنه: إنه مفتي ديار فَلَج اليمامة - ولم نعثر على ترجمة له[1].

أما بعد رحيل الكثير من الشثور إلى حوطة بني تميم فقد نشأ فيهم علماء، وعرفنا العديد منهم مما يدل على أنها قبيلة ذات تأريخ، ومن علماء الشثور بعد رحيلهم إلى حوطة بني تميم من يلي:

١- عيسى بن محمد بن سهل الشثري، المتوفى سنة ١٢٢١هـ في حوطة بني تميم.

٢- إبراهيم بن حمد الشثري، المتوفى سنة ١٢٥٥هـ.

٣- عيسى بن إبراهيم بن حمد الشثري، المتوفى سنة ١٢٩٤هـ.

٤- صالح بن محمد بن حمد الشثري، المتوفى سنة ١٣٠٩هـ.

٥- عبد العزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب)، المتوفى سنة ١٣٨٧هـ[2].

وعلماء الشثور ورجالاتهم كثيرون نكتفي بمن ذكرنا وكلهم من علماء الدعوة السلفية في نجد.

وبعد رحيل الشثور إلى حوطة بني تميم وإلى غيرها من المدن والديار لم يبق في الأفلاج منهم إلا فخذان هما:

---

(١) قيل: إنه من علماء القرن الحادي عشر الهجري، انظر إتحاف اللبيب ٤١.

(٢) إتحاف اللبيب ٤١ – ٤٥ – ٦٦.

١- آل حمود: وهم من آل سهل من الشثور من الحرقان من عبيدة من جنب من مذحج من قحطان ويسكنون ليلى.
٢- آل فارس: وهم من آل سهل من الشثور من الحرقان من عبيدة من جنب من مذحج من قحطان ويسكنون ليلى وهم فرعان:
١- آل بُصَيِّص.
٢- آل مفْرِس (أبناء سالم بن حسن بن مفرس).

٦- آل لحيَان:

هم بنو لحيان بن سفر بن عازب من آل سرب (السربة) من آل سليمان من الحرقان من عبيدة من جنب من مذحج من قحطان، وآل لحيان أبناء عم للشثور إذ يلتقون في فالح أحد فروع السربة، وبعض النسّابين يعدهم من الشثور. وقد عُرفوا في الأفلاج منذ القرن التاسع الهجري ويسكنون واسط التي كانت تسمى قديماً (الباحة) سكنها بنو جعدة في العصر الجاهلي والقرون الأولى في الإسلام، وآل لحيان بطون وأفخاذ متفرقة فيهم مشاهير ورجال لهم تأريخ ومن مشاهيرهم:

• عبد الله بن فلاح آل لحيان، اشتهر بالشجاعة والكرم، كان أميراً في واسط وله مواقف كثيرة، توفي عام ١٣٤٥هـ تقريباً.

أفخاذ آل لحيان ثلاثة هي:
١- آل فلاح (وفيهم الإمارة)، وهم آل عبدالله وآل فالح.
٢- آل عمر، ومنهم آل زيد وآل فواز.
٣- آل محسن.

٧- الأشـراف:

سكن الأفلاج قبائل من الأشراف يرجع تأريخهم إلى القرن العاشر الهجري وهم آل حامد وآل شيبان، ولا يزالون بها إلى اليوم. وقد سكنها

معهم من الأشراف في القرن الرابع عشر الهجري آل عبد الرحمن بن بشر. وإليك بيان هذه القبائل بالتفصيل:

١- آل حامد:

كان شريف مكة حسن بن أبي نُمي قد توسع ملكه وكان ذلك في القرن العاشر الهجري[١] مما جعله يحكم وادي الدواسر، وقد أمّر عليها علي بن حامد بن ياسين الشريف وبقي في إمارته عليها إلى أن توفي في القرن العاشر الهجري، ولما زار أحد أبنائه الأفلاج وهو (محمد) أعجب بخصوبة أرضها ووفرة مائها فانتقل إليها وسكن السيح، وكانت الأفلاج إذ ذاك تحت إمرة الشثور، واستمرت الإمارة إلى أن حصل الخلاف بين آل حامد والشثور في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وقدم الدواسر إلى الأفلاج كما مر معك، والأشراف ذرية محمد بن علي: هم آل حامد سكان سيح الأفلاج وآل محمود سكان حوطة بني تميم الذين انتقلوا إليها من الأفلاج في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، ويلتقي آل حامد وآل محمود في عبد القادر بن محمد بن علي بن حامد بن ياسين بن حمد بن ناصر بن عبد اللطيف بن إلياس بن عبد الوهاب الشريف[٢].

أفخاذ آل حامد هي:

١- آل إبراهيم وهم: آل جويرش، وآل سعيد، وآل خليفة.
٢- آل شرف وهم: آل يوسف، وآل دخيل الله، وآل عبيد.
٣- آل خلف وهم: آل محمد، وآل الحميدي.

---

(١) السوابق لابن بشر ١٩٥.
(٢) للاستزادة انظر:
- تحفة الودود للشيخ عمر المحمود.
- علماء نجد خلال ستة قرون (ترجمة الشيخ محمد آل محمود).
- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد٢/ ٧٢٨.

وهذه الأفخاذ الثلاثة تسكن السيح بالأفلاج، وقد انتقل كثير منهم إلى الرياض وغيرها.

٤- آل درعان بن محمد: ويسكنون الروضة وهم: آل درعان بن سالم، وآل مسفر، وآل عبدالله.

ومن مشاهير آل حامد:

١- فهد بن جويرش آل حامد: اشتهر بالنخوة والشهامة والشجاعة، كان أميراً في قبيلته إلى أن توفي عام ١٣٠٢هـ.

٢- فهاد بن دخيل الله آل حامد: رجل كريم بنى قصر البطرة بين ليلى والسيح، توفي سنة ١٣٠٦هـ.

٣- محمد بن فهاد آل حامد: اشتهر بكرمه وسخائه، توفي عام ١٣٤٥هـ.

٢- آل شيبان من الأشراف:

وهم آل يحيى بن إدريس بن يحيى، ومنهم آل معجب، قدم جدهم الأول يحيى إلى الأفلاج في مطلع القرن الحادي عشر الهجري (قبيل مجيء الدواسر) وسكن سويدان وأحيا ابنه إدريس ساقيتها، إلى أن قدم آل مانع من آل عمار من الدواسر فاشتروا نصفها منه ثم باع ابنه (يحيى) النصف الباقي عليهم وانتقل إلى السلمية شرقي ليلى ثم انتقل بعض أبنائه من بعده إلى السيح.

ومن مشاهيرهم: عبد الله بن معجب آل يحيى من آل شيبان، كان كريماً جواداً، توفي عام ١٣٥٢هـ.

٣- آل عبد الرحمن بن بشر:

وهم من آل حسين من الأشراف جدهم الشيخ عبد العزيز بن بشر

من علماء الرياض المتوفى في عام ١٣٥٩هـ.

٨- الجحادر:

هم مجموعة من القبائل العربية القحطانية، قدموا إلى الأفلاج في أزمنة متفرقة من جهات تثليث وما حولها وسكنوا الأفلاج واستوطنوها وهم:

١- **آل فاران:** وهم من آل طرخم من آل مُرَيتع من آل الجَمَل من الجحادر من مذحج من قحطان ويسكنون الأحمر بالأفلاج.

٢- **آل مفرّح:** وهم آل زيد، وآل محمد أبناء مفرح بن محمد بن حسن وهم من آل وهَطَة من آل شِرِيم من آل عاطف من آل دُهيم من آل سليمان من الجحادر قدموا إلى الأفلاج في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وهم يسكنون حراضة.

٣- **آل ناصر:** وهم من آل مسعود من آل الجمل من الجحادر من مذحج من قحطان ويسكنون ليلى.

٤- **آل كلثم:** وهم من آل محثِلة من آل سعد من الجحادر من مذحج من قحطان ويسكنون العجلية والشطبة وما جاورهما.

٥- **آل خزيّم:** وهم من آل شِرِيم من آل عاطف من آل دُهيم من آل سليمان من الجحادر من مذحج من قحطان ويسكنون الأحمر وواسط.

٦- **آل مقوّي**: وهم :

أ) آل عُكروم.

ب) آل عريج وهم (آل ناحي، وآل رقمان).

وآل مقوي يسكنون الغيل وهم من الضورة من آل عاطف من آل دهيم من آل سليمان من الجحادر من مذحج من قحطان.

٧- آل عايض: وهم من آل سلعان من آل سعد من الجحادر من مذحج من قحطان.
٨- آل معّاز: وهم من آل سعد من الجحادر من مذحج من قحطان.

٩- **قبائل يام:**

أ- **العجمان:** وهم من يام من همدان بن كهلان بن سبأ بن قحطان وفي الأفلاج منهم فخذان (آل عاتي وآل عبدان).
١- **آل عاتي**: وهم من آل زميكان من آل شامر من العجمان من يام[1] قدموا من الحائر إلى الأفلاج في القرن الثاني عشر الهجري وسكنوا ليلى.
٢- **آل عبدان**: وهم من آل سليمان من العجمان من يام ويسكنون هجرة «الفريشة» في الشمال الغربي من ليلى.
ب- **آل مطرة**: وهم من آل العرجا من يام وهِجَرُهُم بين ليلى والغيل، وهي «الرقاشية والنايفية والمودنية»
جـ- **آل هيف:** وهم من آل فهاد من يام، ويسكن الأفلاج منهم أسر قليلة.

١٠- **بنو هاجر:**

وهم من شريف من جنب من مذحج من قحطان وفي الأفلاج منهم أسر قليلة من أفخاذ متباعدة بعضهم نزح إلى الرياض وغيرها.

وأفخاذهم:

١- **آل محمد:** وهم من الكدادات من بني هاجر ويسكنون ليلى.

---

(١) قال إبراهيم بن صالح بن عيسى في عقد الدرر: (العجمان ينتسبون إلى مذكر بن يام بن أصبأ ابن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان) ٢٦.

٢-**اللّهامين:** وهم من بني هاجر وقد سكنوا أسيلة وهم: آل شايع، وآل زهير.

٣- **آل مبْهل**: وهم من آل حثيث من بني هاجر وقد سكنوا ليلى.

٤- **آل عقيل**: وهم من بني هاجر ويسكنون سويدان.

ومن مشاهير الهواجر:

١- سعود بن شايع اللهامين كان رجلاً سخياً كريماً منفقاً سكن أسيلة وتوفي بعدما قدم من الحج في شهر محرم عام ١٣٦١هـ.

٢- سعود بن محمد بن سعود بن مبهل كان رجلاً تقياً ورعاً.

١١- بنو زعب:

وهم أحد بطون بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من مضر، وقد كان بنو زعب مع الشثور في ليلى منذ القرن الثامن الهجري أما اليوم ففي الأفلاج منهم أسر قليلة وهم:

١- **آل عسل**: ويسكنون الهدّار.

٢- **آل عبدالله**: ويسكنون ليلى.

١٢-الزهرة:

وهم أبناء زهير بن زيد بن جميل بن مسلم من الحُباب من سنحان جنب من مذحج من قحطان ويسكنون في هجرة سميت باسمهم غربي الروضة والصغو.

١٣-آل ناصر:

ومنهم آل وافية وآل فارع، وهم من الحباب من مذحج من قحطان، ويسكن بعضهم مدينة ليلى.

١٤-آل موسى:

وهم من الحميدات من عَبْدَل[1] من تميم ويسكنون ليلى.

١٥-آل طلحاب:

وهم من بني عقيل «العقيلات» من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ويسكنون البديع.

القبائل النازحة:

كثيرة هي القبائل المنقرضة أو النازحة من الأفلاج على مر التأريخ، ومنها كما مر معك هجرة قبائل الأفلاج الأولى كجعدة وقشير... وكثيرة هي القبائل التي نزح كثير منها إلى ديار أخرى وبقيت منهم أفخاذ قليلة، وهكذا فالتأريخ عبر والدنيا نزول وارتحال، وقد لا تخلو قبيلة من القبائل في هذا الزمن من نزوح كثير منها إلى جهات عديدة ومتفرقة في أرجاء هذه المملكة الآمنة زادها الله أمناً وإيماناً.

ومن القبائل النازحة:

١-آل صباح حكام الكويت.
٢-آل خليفة حكام البحرين.
٣-الجلاهمة.

نسب هذه القبائل ورحلتها:

يرجع نسب هذه القبائل الثلاث إلى الجميلات من البجايدة من العمارات من عنزة، قبيلة عدنانية كبيرة مشهورة. كانوا يقيمون بالهدّار في الأفلاج حيث كانت تسكن قبيلة الجميلات وإليك قصة رحيل هذه القبائل:

---

(١) قيل نسبةً إلى عبدالله بن دارم التميمي.

١- آل صباح:

هاجرت بعض من أفخاذ قبيلة (جميلة) من الهدّار إلى الخليج العربي على إثر خلاف ونزاع قبلي بينهم وهناك كوّنوا حلفاً[١] مع قبائل من تميم وسليم سموا بعده «بالعتوب»، وكان رحيلهم من الأفلاج إلى الخليج في العقد التاسع من القرن الحادي عشر الهجري واستقروا في قطر قرابة ثلاثين سنة ثم هاجروا إلى البصرة إثر هزيمتهم في معركة بحرية في رأس تنورة من قبل الهُوَلة وكان ذلك في عام ١١١٣هـ تقريباً[٢].

وبعدها بقليل استقروا في القرين «الكويت حالياً» وكان فيه حصن لابن عريعر الخالدي حاكم الأحساء يسمى (الكوت) فاستأذن العتوب حاكم الأحساء في البقاء في القرين فأذن لهم وأعطاهم الكوت، ومع الزمن زال اسم القرين وانتشر اسم الكويت، وبقي العتوب في القرين يعملون بالتجارة والغوص ونصّبوا «صباح بن جابر العتبي الجميلي» أميراً عليهم وإليه انتسب آل صباح (حكام الكويت حالياً)

٢- آل خليفة:

هاجر أجداد آل خليفة مع مَنْ هاجر من قبيلة جميلة إلى قطر ودخلوا في حلف العتوب، وساروا معهم إلى البصرة إلى أن استقروا في القرين (الكويت حالياً) بعد عام ١١١٣هـ بقليل، وعاشوا تحت إمارة صباح بن جابر أمير العتوب آنذاك ثم ابنه من بعده عبد الله بن صباح بن جابر الذي تولى إمارة العتوب في القرين بعد أبيه واستمرت إمارته قرابة ستين

---

(١) حلف العتوب تكوّن في الخليج العربي على خلاف من يقول بأنه في الأفلاج إذ لم يكن في الأفلاج ذكر للعتوب على الإطلاق.

(٢) الهُوَلة: قبائل عربية كانت تسكن الساحل الشرقي في الخليج، واسمهم الحولة ولكن الفرس قلبوا الحاء هاء، ولما تنافسوا مع العتوب على البحر والنقل والغوص حصلت معركة بحرية بين الهُوَلة والعُتُوب انهزم فيها العتوب.

سنة من عام ١١٧١هـ إلى عام ١٢٢٩هـ وفي أثناء إمارته حدثت بعض الأسباب التي أدّت إلى هجرة (محمد بن خليفة بن محمد) الجد الأعلى لآل خليفة من القرين إلى الزبارة بقطر وذلك عام ١١٧٦هـ تقريباً، وبقي آل خليفة ومن هاجر معهم من العتوب في الزبارة وعملوا على بنائها ورفعتها تجارياً وبشرياً فكان لهم ذلك، وفي عام ١١٩٦هـ حدثت معركة[١] الزبارة التي مهدت لدخول جزيرة البحرين، إذْ استقروا بها فملكوها وكان ذلك في شهر صفر عام ١١٩٧هـ[٢].

٣- الجلاهمة:

هاجر أجداد الجلاهمة من الهدّار إلى قطر مع من هاجر من قبيلة (جميلة) ودخلوا في حلف العتوب واستقروا معهم في القرين زمناً، وبعد أن هاجر محمد بن خليفة من القرين إلى الزبارة رغب الجلاهمة في الهجرة من القرين فاتجهوا إلى الساحل الغربي من الخليج العربي (منطقة الدمام وما حولها) ورضوا به مسكناً فاستقروا فيه. ومن مشاهير الجلاهمة: رحمة بن جابر الجلهمي العتبي الجميلي، كان مناصراً ومؤيداً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وناشراً لها بين الناس.

٤- آل بازع وآل أبو راس: (انقرضوا ولم يبق منهم إلا القليل)

---

(١) حدثت معركة الزبارة بين آل خليفة وأعوانهم من العتوب وسكان قطر وبين قبيلة الهُوَلة بقيادة أميرهم نصر بن مذكور ومن ساعدهم من الفرس. وقد قام ابن مذكور بحصار الزبارة بحراً ثم دخل قطر بطلب من آل خليفة لقصد النزال فهزم جيشه وفرّ هارباً إلى مدينة «بو شهر» حاضرة الهولة آنذاك على الساحل الشرقي للخليج العربي، وترك البحرين دون جيش يحميها وكان ذلك في شهر ذي الحجة ١١٩٦هـ وفي شهر صفر من عام ١١٩٧هـ دخل الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة جزيرة البحرين فاتحاً وسمي بالفاتح بعدها في التأريخ البحريني واستقر آل خليفة في هذه الجزيرة فحكموها إلى هذا التأريخ.

(٢) للاستزادة من أخبار آل صباح وآل خليفة، انظر: مجلة الوثيقة، العدد الأول ١٤٠٢، والعدد الرابع ١٤٠٤هـ الصادر عن مركز الوثائق التأريخية بالبحرين.

وهم من آل منيف من الفرجان من آل حسن من الدواسر.
٥-**المقابلة:** (نزحوا وبقي منهم قليل) وهم من آل منيف من الفرجان من الدواسر.
٦-**الجبارين:** (انقرضوا وبقي منهم رجل واحد منجب) وهم من أبناء علي بن منيف من الفرجان من الدواسر.
٧-**الهواشلة:** (نزحوا) وهم من الوبارين من الفرجان من الدواسر.
٨-**الدبالين:** (نزحوا) وهم من الوبارين من الفرجان من الدواسر.
٩-**الشواهين:** (نزحوا) وهم من آل سعد من آل عمار من آل حسن من الدواسر.
١٠-**الخرفان:** (نزحوا) وهم من آل عمار من آل حسن من الدواسر.
١١-**آل أبو علي:** (نزح منهم كثير وبقي منهم في البديع الجنوبي أسر كذلك) وهم من الشكرة من آل حسن من الدواسر.
١٢-**الجعاثنة:** (نزح منهم كثير وبقي منهم في الأحمر آل هديب وآل طهيف) وهم من الشكرة من آل حسن من الدواسر.
١٣-**آل جاسر:** (نزحوا) وهم من العمور من تغلب من الدواسر العدنانيين كان بعضهم يسكن الأحمر.
١٤-**الحراجين:** (نزحوا) وهم من بادية الصهبة من الدواسر.
١٥-**آل داود:** (نزحوا) وهم من بني هاجر من بني شريف من قحطان كانوا يقيمون بالأحمر قبل الدواسر.
١٦-**الرصعان:** (نزحوا) وهم من سبيع كانوا يسكنون المويصل بالأحمر قبل الدواسر.
١٧-**آل شايقة:** (نزحوا) وهم من آل شامر من العجمان من يام كانوا يقيمون بالأحمر قبل الدواسر.
١٨-**الغررة:** (نزحوا وبقي منهم قليل في البادية) وهم من الجميلات من عنزة.

١٩-آل صويلح: (نزحوا وبقي منهم قليل) وهم من الكبرا من الجميلات من عنزة.

٢٠-المهازعة: (نزحوا) وهم من الكبرا من الجميلات من عنزة.

٢١-القبابنة: (نزح منهم كثير وبقيت منهم أفخاذ في الغيل وستارة وحراضة) وهم من الشميسات من الزكور من سبيع.

٢٢-آل سحيم: (نزحوا) وهم من آل طالب من الفضول من بني لام من طيء.

٢٣-الكسالين: (انقرضوا) وهم من بني عائذ من قحطان كانوا يسكنون ليلى.

٢٤-آل دخيل وآل ناصر: (نزحوا) وهم من الجذالين من الكثران من بني لام من طيء.

٢٥-اللهامين وآل مبهل: (نزحوا) وهم من بني هاجر من بني شريف من قحطان.

٢٦-آل محمود من الأشراف: (نزحوا) إلى حوطة بني تميم في منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

٢٧-آل هتلان: (نزحوا) وهم من آل عرفج من الجميلات من عنزة.

٢٨-آل عبدالله وآل مرضي: (انقرضوا) وهم من الجذالين من الكثران من بني لام من طيء.

٢٩-آل دخيل وآل مساعد: (نزحوا) وهم من آل رشود من النبطة من سبيع.

٣٠-آل جديع وآل جبران وآل نمشان وآل حمامة وآل عواد: (نزحوا) وهم من آل مبارك من آل عمار من آل حسن من الدواسر.

الفصل الثالث
الحيـاة العلمـية والاجتماعـية

المبحث الأول: التعليم والعلماء

المبحث الثاني: الشعر والأدب

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والتجارية

المبحث الأول

التعليم والعلماء

توافد الناس إلى المدينة المنورة في السنة التاسعة من الهجرة لإعلان إسلامهم أمام رسول الله ﷺ، فسميت بسنة الوفود، وقد ارتحل كثير من بني كعب بن ربيعة من الأفلاج إلى المدينة المنورة واستحبوا المكث هناك حيث تعلم الدين الجديد، وكل من رغب في الدين ودخله مطمئناً نسي بلاده وأهلها، فقد كان مجلس رسول الله ﷺ وصحابته الكرام مدرسة عظمى يتعلم فيها الناس تعاليم الإسلام، فلم يكن لبني كعب في بداية إسلامهم عالمٌ منهم في هذه المنطقة بل من أراد العلم والتعليم ارتحل له وأخذه من مصادره، واكتفى بنو كعب - كغيرهم من العرب - بالأخذ من مناهل العلم الأصيلة من رسول الله ﷺ وصحابته الفضلاء من بعده ثم من كبار التابعين من بعدهم واستمروا على ذلك ردحاً من الزمن.

وسارت بهم الأيام وتفرق بنو كعب في بلاد الفتوحات الإسلامية، ورغب بعض من بني كعب في طلب العلم وتحصيله فنبغ منهم علماء أجلاء أشهرهم على الإطلاق مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الصحيح المشهور في علم الحديث.

ودالت الدول وسارت الأزمان ولم تذكر مصادر التأريخ أن هناك رجلاً في منطقة الأفلاج نبغ بعلمه وأفاد البلاد والعباد، بل كان الناس ينظرون إلى الحواضر الإسلامية المدينة ثم دمشق ثم بغداد ويضربون إليها أكباد الإبل بحثاً عن عالم هناك أو متعلم يفتيهم فيما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم.

وأول من أذكر من العلماء في هذه الديار الشيخ ناصر بن غانم الشثري الذي قيل عنه إنه مفتي ديار فلج اليمامة في القرن الحادي عشر الهجري، حيث ورد ذكره في مخطوطات عند أحفاده ولا نعرف عن حياته ولا عن علمه وتعليمه شيئاً.

وقد كان هناك دور كبير يقوم به العالم في منطقة الأفلاج، حيث يقوم بحل مشكلات الناس والسعي للإصلاح بينهم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرشد البداة ويبعث بطلبة العلم إليهم لتعليمهم، ويجلس العالم أو القاضي لطلبة العلم - وغالباً ما كان العلماء قضاة - ويقيم لهم الحلقات في المسجد أو في بيته حيث يعلمهم القرآن والتوحيد والتفسير والفقه والحديث ويفصل بين الناس في أمورهم الخاصة والعامة، وكان مصدر استشارة وقيادة في البلاد وكذا كان حال العلماء والقضاة في الجزيرة العربية.

وقبل الحديث عن علماء الأفلاج وقضاتها نورد طرفاً من التعليم في الزمن القديم، إذ كان وسط الكتاتيب يجتمع بها عدد من الفتيان في منزل المعلم أو المقرئ أو في المسجد يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة على ألواح أمامهم ويتعلمون شيئاً من القرآن، حيث يبدؤون بالفاتحة حفظاً وتجويداً ثم يعودون إلى قصار السور لسهولتها تعليماً وحفظاً وبعضهم يكتفي بجزء (عم) وبعضهم يواصل تعليمه إلى نهاية المصحف قراءة وقد يحفظونه غيباً، وأشهر المقرئين في منطقة الأفلاج:

١- عبد العزيز بن يحيى البواردي في ليلى
٢- عبد الله بن ثاري في ليلى
٣- عبد العزيز بن إبراهيم المواش في ليلى
٤- مرضي بن عبد الله آل حبشان في ليلى وتوفي عام ١٣٩٨هـ رحمه الله تعالى

٥- عبد الله بن مبارك آل رشود	في ليلى
٦- راشد بن مبارك بن سعيد آل رشود	في ليلى
٧- سعود بن محمد آل مفلح الجذالين	في ليلى وتوفي عام ١٣٩٣هـ رحمه الله تعالى
٨- محمد بن فالح بن مفلح الجذالين	في واسط وليلى والخرفة وتوفي عام ١٣٩٤هـ رحمه الله تعالى
٩- إبراهيم بن فالح بن مفلح الجذالين	في الخرفة
١٠-محمد بن عبد العزيز آل سحمان	في العمار
١١-عبد العزيز بن محمد آل سحمان	في العمار
١٢-مبارك بن شبيب	في البديع
١٣-سعود بن مسحان	في البديع
١٤-راشد بن إبراهيم المجادعة	في السيح
١٥-صالح بن راشد المجادعة	في السيح
١٦-بتلاء بنت محمد بن سرهيد (سرهيدة)	في ليلى توفيت عام ١٣٥٧هـ.

وقد تولى مهمة القضاء بين الناس وتعليمهم وإرشادهم في منطقة الأفلاج علماء من البلاد ومن خارجها، وبعضهم لم يمكث غير مدة قصيرة، وجدير أن نذكر لك أيها القارئ الكريم قضاة الأفلاج خلال القرنين الماضيين على الترتيب:

ففي عام ١٢١١هـ تقريباً أرسل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قاضياً إلى منطقة الأفلاج وهو الشيخ سعيد بن حجي، وقد كان رحمه الله يمكث في الأفلاج ستة أشهر ويقضي بقية السنة في حوطة بني تميم، واستمر في القضاء في البلدين إلى أن توفي سنة ١٢٢٩هـ، ثم جاء بعده

الشيخ إبراهيم بن عبيد وهو من أهالي الدرعية، ثم جاء بعده الشيخ سعيد بن عيد الذي ينتسب لآل سبيت المعروفين في حوطة بني تميم، ثم جاء بعده الشيخ الفاضل رشيد بن عبدالله آل عوين من أهل حوطة بني تميم واستمر حتى مجيء الشيخ حمد بن علي آل عتيق علاّمة زمانه عام ١٢٧٥هـ وكان آنذاك في مدينة ليلى، وفي عام ١٢٨٧هـ انتقل إلى العمار وظل في القضاء إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٠١هـ.

وفي عام ١٣٠٣هـ جاء أول قاض لابن رشيد في الأفلاج وهو الشيخ حمد الوهيبي وظل في القضاء سنتين، وفي عام ١٣٠٥هـ جاء الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ ومكث خمس سنوات تقريباً، ثم جاء بعده الشيخ سعد بن حمد آل عتيق ابن المذكور سابقاً.. أما أول قاضٍ أرسله الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الأفلاج فهو الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل بشر من آل حسين سكان المفيجر جاء عام ١٣٢٠هـ وبقي حتى مجيء الشيخ عبد العزيز بن حمد بن علي آل عتيق عام ١٣٢٧هـ، وفي عام ١٣٣٧هـ عُيّن الشيخ سعد بن سعود بن مفلح الجذالين قاضياً في الأفلاج حيث ذهب الشيخ عبد العزيز بن حمد آل عتيق إلى وادي الدواسر، وفي عام ١٣٤٤هـ انتقل الشيخ سعد بن سعود ابن مفلح الجذالين إلى وادي الدواسر، وجاء مكانه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل عتيق، الذي ظل في قضاء الأفلاج حتى عام ١٣٥٨هـ حيث جاء بعده في العام نفسه الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل الشيخ واستمر قاضياً في الأفلاج حتى عام ١٣٧٥هـ، العام الذي جاء فيه الشيخ صالح بن هليل وقد بقي حتى سنة ١٣٧٩هـ، ثم جاء بعده الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سحمان وبقي في القضاء إلى عام ١٣٩٣هـ وكان مساعده الشيخ ناصر بن عمر آل مواش المدرس بالمعهد العلمي في الأفلاج حالياً، ثم جاء بعد الشيخ ابن سحمان الشيخ ناصر بن إبراهيم

الحبيب وقد اشتهر عند أهل الأفلاج بالعدل وحسن القضاء، وكان مساعده الشيخ عبد الله بن سعد بن راشد من أهل حريملاء، وفي عام ١٣٩٧هـ انتقل الشيخ ناصر الحبيب إلى الرياض وجاء مكانه الشيخ حمود بن عبد العزيز بن سبيل ومساعده الشيخ حسين بن فرّاج الحقباني الذي جاء في نهاية زمن الشيخ الحبيب.

وقد افتتحت ثلاث محاكم فرعية تخفيفاً على رئاسة محاكم المنطقة الموجودة في مدينة ليلى، ففي بلدة الأحمر محكمة قضى فيها الشيخ عبد الله بن ناجي الحقباني ثم الشيخ سعد بن عبد الله آل كليب ولا يزال بها، وفي الهدّار محكمة قضى فيها الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين، ثم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل فهيد ولا يزال بها، وفي البديع محكمة قضى فيها الشيخ عبد الرزاق ثم الشيخ عبد الله بن راشد بن عبد الله آل زنان ثم الشيخ محمد بن عبد العزيز التويجري ولا يزال بها.

وفي عام ١٤٠٥هـ انتقل الشيخ حمود بن سبيل وشغل القضاء من بعده ثلاثة مشايخ هم: الشيخ حسين بن فراج الحقباني، والشيخ عبد الرحمن بن عتي، والشيخ إبراهيم العسكر، ثم انتقل الشيخ حسين الحقباني إلى السليل، وجاء الشيخ حمود بن عبد الله الشثري من بعده، ولا زال المشايخ الثلاثة في المحكمة إلى اليوم.

ولكي تكتمل صورة الحياة العلمية في الأفلاج ويتضح كل ما أُبْهِم من حديثنا السابق من نشاطات وأعمال للعلماء والقضاة، إليك أيها القارئ الحصيف شيئاً عن حياة علماء الأفلاج الذين خدموها إما عن طريق تولي مهمة القضاء، أو إقامة حلقات العلم وتعليم الناس، ومكثوا على ذلك زمناً يسمح بتخريج الأجيال على أيديهم في أنواع من العلوم.

١- حمد بن علي آل عتيق:

هو الشيخ المحقق علاّمة زمانه حمد بن علي بن محمد بن عتيق، ولد في مدينة الزلفي سنة ١٢٢٧هـ ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ولعلو همته سمت نفسه إلى معالي الأمور فوجد طريق عز الدنيا والآخرة في العلم، فسافر إلى الرياض وتعلم على مشايخها، وأبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد الرحمن بن عَدوان، وجدّ واجتهد حتى أدرك العلم الجم وصار من العلماء ومشاهير الفقهاء، وكان في مرتبة عليا في التقى والصلاح، ولما رأى مشايخه ما هو عليه من العلم والذكاء أشاروا على الإمام فيصل أن يعينه قاضياً في الخرج فتم ذلك ثم نقل بعدها إلى حوطة بني تميم، وفي عام ١٢٧٥هـ نقل إلى الأفلاج وسكن مدينة ليلى ثم انتقل منها إلى العمار عام ١٢٨٧هـ، واستقر في الأفلاج وعد من علمائها وأعد نفسه للإفتاء بها، وأقبل عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب فنفع الله بعلمه وتخرج على يده كثير من العلماء، ومن أشهر تلامذته: ابنه الشيخ سعد بن حمد، وابنه الشيخ عبد العزيز بن حمد، وكذا أبناؤه عبد اللطيف وعبد الله وإسحاق، فكلهم طلبة علم، وكذا الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٠١هـ في بلدة العمار بالأفلاج، وقد خلف عشرة أبناء وترك لنا مجموعة من رسائله طبع منها عشرون رسالة تحت عنوان: «هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق» وله كتاب بعنوان: «إبطال التنديد في شرح كتاب التوحيد» فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[١].

(١) للاستزادة من ترجمة الشيخ حمد انظر:
• مشاهير علماء نجد٢٤٤.
• علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٢٨.

٢- سعد بن حمد بن علي آل عتيق:

هو العلامة الورع الزاهد الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن علي آل عتيق ولد في مدينة ليلى في المبرز قاعدة الأفلاج عام ١٢٧٩هـ ونشأ في كنف والده الشيخ حمد وقرأ عليه جملة من المتون في التوحيد والفقه والحديث والنحو، ثم سافر إلى الهند طلباً للعلم سنة ١٢٩٩هـ وقرأ على علمائها وأشهرهم صدّيق حسن خان الذي كان صديقاً لوالده الشيخ حمد وبينهما مراسلات والشيخ نذير حسين الدهلوي والشيخ شريف حسين والشيخ محمد السندي والشيخ سلامة الله الهندي، وبعد أن مكث في الهند تسع سنين، توجه إلى مكة لقصد الحج فالتقى بعلماء الحجاز ومنهم المحدث الشيخ شعيب بن عبدالرحمن المغربي والشيخ أحمد بن إبراهيم النجدي وغيرهم، تولى القضاء في منطقة الأفلاج في عهد ابن رشيد، ثم القضاء في مدينة الرياض في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، ومن أشهر تلامذته: الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سعود بن محمد آل رشود، والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ سعد بن سعود آل مفلح الجذالين وغيرهم كثير. امتاز رحمه الله بغزارة العلم وسعة الاطلاع والتقى والصلاح والحرص على نشر الدعوة السلفية، توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٤٩هـ بالرياض، وقد جمعت فتاويه ورسائله تحت عنوان المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق كما تم طبع كتابه: «نيل المراد بنظم متن الزاد»، وقد رثاه كثير من الشعراء أبرزهم شاعر نجد الشهير محمد بن عثيمين الذي كان معاصراً له ومن قصيدته قوله:

أهكذا البدرُ تخفي نورَه الحفرُ ❊ ويفقدُ العلم لا عين ولا أثرُ

خبتْ مصابيح كنا نستضيء بها ❁ وطوّحت للمغيب الأنجمُ الزّهُرُ
واستحكمت غربةُ الإسلام وانكسفت ❁ شمسُ العلوم التي يُهدى بها البشرُ
تُخُرِّم الصالحون المقتدى بهم ❁ وقام منهم مقام المبتدا الخبرُ

إلى أن قال:

طوتك يا سعد أيامٌ طوت أمماً ❁ كانوا فبانوا وفي الماضين معتَبرُ
إن كان شخصك قد واراه ملحدُهُ ❁ فعلمك الجمُّ في الآفاق منتشرُ
بنى لكم حمد آل العتيق علا ❁ لم يبنها لكم مالٌ ولا خطرُ
لكنه العلم يسمو من يقوم به ❁ على الجهول ولو من جدُّه مضرُ

فرحم الله الراثي والمرثي وجزاهما أحسن الجزاء[1].

٣- عبدالعزيز بن حمد بن علي آل عتيق

هو العالم الزاهد العابد الشيخ عبد العزيز بن حمد بن علي آل عتيق، ولد سنة ١٢٧٧هـ ونشأ في بيت والده العالم المشهور، وقرأ القرآن الكريم وحفظه وطلب العلم على يد والده الشيخ حمد إلى أن توفي سنة ١٣٠١هـ رحمه الله، بعد ذلك سافر إلى الرياض ومكث فيه سنين طويلة جاداً مجتهداً في طلب العلم على مشايخ نجد من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم، ثم سافر إلى الهند طلباً لعلم الحديث فأخذه على يد إمام المحدثين وقتذاك الشيخ نذير حسين الدهلوي، ولقد كان رحمه الله تقياً ورعاً عابداً أخذ عنه العلم عدد من علماء الأفلاج وغيرهم ومنهم الشيخ سعد بن سعود بن مفلح الجذالين والشيخ سعود بن محمد آل رشود

(١) للاستزادة من ترجمة الشيخ سعد بن حمد انظر:
• مشاهير علماء نجد ٢٢٣.
• علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٦٦ والقصيدة في العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ٤٧٤.

والشيخ محمد بن إسحاق. وقد تولى الشيخ عبد العزيز بن حمد القضاء في الأفلاج ثم نقل إلى وادي الدواسر عام ١٣٣٧هـ ثم أعيد إلى الأفلاج مرة أخرى عام ١٣٤٤هـ وبقي في قضاء الأفلاج حتى سنة ١٣٥٨هـ، وتوفي عام ١٣٥٩هـ رحمه الله تعالى وأحسن مثواه(١).

٤- عبدالله بن حمد بن علي آل عتيق

هو الشيخ العالم عبد الله بن حمد بن علي آل عتيق، ولد في ليلى عام ١٢٨٠هـ تقريباً، طلب العلم على أخويه العالميْن الشيخ سعد والشيخ عبدالعزيز بعد أن قرأ القرآن على يد والده الشيخ حمد رحمهم الله جميعاً، سافر إلى الرياض وقرأ على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ وعلى غيره من علماء الرياض، عينه الملك عبد العزيز مرشداً وواعظاً وإماماً للجمعة في هجرة الغطغط وتوفي رحمه الله عام ١٣٤٢هـ(٢).

٥- عبداللطيف بن حمد بن علي آل عتيق

هو الشيخ عبداللطيف بن حمد بن علي آل عتيق ولد عام ١٢٨٢هـ، نشأ وتربى في حضانة والديه في مدينة ليلى بالأفلاج، وبعد أن حفظ القرآن أقبل على طلب العلم من والده ثم من أخيه الشيخ سعد بن حمد، وكان رحمه الله على جانب كبير من العبادة والورع والزهد، كما كان غزير العلم واسع المعرفة، ولورعه رفض تولي القضاء إلا أن الملك عبد العزيز ألحّ عليه بأن يكون قاضياً في بلدة رنية فلم يسعه إلا الموافقة والقبول، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٥٠هـ.

٦- إسحاق بن حمد بن علي آل عتيق

هو العالم الشيخ إسحاق بن حمد بن علي آل عتيق، ولد سنة ١٢٨٧هـ

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ٢/ ٤٥١.
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ٢/ ٥٢٨.

ونشأ عند والده وتعلم من والده الشيخ حمد ومن أخيه الشيخ سعد بن حمد حتى عدّ من كبار العلماء، ومن اطلع على حاشيته التي كتبها شرحاً لكتاب التوحيد أدرك عمق معرفته بعلم التوحيد وغيره من العلوم، وكان رحمه الله يقول الشعر وكان على قدر كبير من العبادة والدعوة إلى الله، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٣هـ.

٧- محمد بن عبدالعزيز بن حمد آل عتيق

هو الشيخ محمد بن الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن علي آل عتيق، ولد رحمه الله تعالى في بلدة العمار بالأفلاج وطلب العلم على والده الشيخ عبد العزيز وأعمامه، تولى القضاء في بلدة «ضرما».

٨- سعد بن حمد بن سعد آل عتيق

هو الشيخ سعد بن حمد بن الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن علي آل عتيق، ولد ونشأ بالأفلاج وتتلمذ ودرس على الشيخ عبدالعزيز بن باز ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض، خدم ثلاثين سنة في تدريس الفقه والحديث والفرائض في المعهد العلمي في الأحساء ثم في الأفلاج، له اطلاع واسع ومعرفة بكثير من العلوم والآداب ورواية الشعر وقرضه له، وقد أحيل للتقاعد سنة ١٤١٠هـ.

٩- دخيل بن جذلان

هو الشيخ دخيل بن جذلان بن محمد بن ناصر بن علي الكثيري اللامي الطائي، ولد ببلدة الحريق عام ١١٧٤هـ حيث كان يسكنها أبوه وبها نشأ، قرأ القرآن وتعلمه في الكتاتيب في منطقة الحريق، وبعدها أرسله والده إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – يطلب العلم على يده في الدرعية، وفي عام ١١٩٩هـ قدم وفد من أهل الأفلاج إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب لإعلان الدخول تحت لواء الدعوة المباركة ثم طلبوا

من الشيخ أن يرسل معهم مرشداً ومعلماً للناس فأرسل معهم تلميذه دخيل بن جذلان، وقد أخذ حظاً وافراً من العلم وهو في سن الخامسة والعشرين، وبعد أن وفد إلى أهل الأفلاج استقبله أميرها آنذاك راشد بن بازع الفرجان وأكرمه ورغب في بقائه وزوجه ابنته وأسكنه بجواره في المبرز بمدينة ليلى، وبعد وفاة والده جذلان عام ١٢٠٣هـ ذهب إلى الحريق وأتى بأمه وأخويه: ناصر وعبدالله، وبقي الشيخ دخيل في الأفلاج يعلم الناس القرآن والتوحيد ويرشدهم إلى العقيدة الصحيحة وينفرهم من البدع والخرافات التي كانت سائدة في ذلك الزمن، يصلي بهم، ويخطب فيهم، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله عام ١٢٣٣هـ في مدينة ليلى.

١٠- سعود بن مفلح الجذالين

هو الشيخ سعود بن مفلح بن دخيل بن جذلان الكثيري، ولد في الأفلاج سنة ١٢٤٨هـ، قرأ القرآن وحفظه وهو صغير وقد صرف همته في طلب العلم حتى عد من كبار العلماء في زمانه. ارتحل إلى الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وطلب العلم على يديه سبع سنين، ثم على ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن وغيرهم، ولما رأى الإمام عبد الله بن فيصل سعة علمه عرض عليه القضاء فاعتذر رحمه الله تورعاً، وقد اشتهر بالكرم وكثرة الضيوف، أظهر وقفاً للضيف قدره ١٠٠ نخلة، وقد كان منفقاً على الفقراء والضعفاء والأيتام، ولما قدم الملك عبد العزيز آل سعود إلى الأفلاج سنة ١٣٢٩هـ نزل ضيفاً عند الشيخ سعود بن مفلح وطلب ابنته لأخيه الأمير سعد بن عبد الرحمن آل سعود فلم يسع الشيخ إلا القبول والاستجابة، وقد كان عالماً بالتفسير والفقه والحديث والتأريخ، واشتهر بتأويل الأحلام وعلم حساب الفلك، وقد جلس لتدريس الفقه والتفسير والحديث فقدم إليه طلبة العلم، حيث كان

يجلس لهم في اليوم ثلاث جلسات في الصباح يجلس في المسجد الجامع بليلى، وبعد الظهر وبعد المغرب يجلس في بيته، أخذ عنه العلم عدد كثير وأشهرهم ابنه الشيخ سعد بن سعود، وحفيده عبد العزيز بن عبد الله بن سعود، وأبناء أخيه إبراهيم بن فالح وعبد الرحمن بن فالح، وسعيد بن سعيد آل عيد وإبراهيم بن عبدالله آل خرعان، وغيرهم. توفي رحمه الله تعالى في مدينة ليلى سنة ١٣٣٥هـ.

١١- سعد بن سعود بن مفلح الجذالين

هو الشيخ الفاضل سعد بن سعود بن مفلح الجذالين، ولد في مدينة ليلى بالأفلاج سنة ١٣٠١هـ، وتربى ونشأ في بيت علم وفضل حيث كان والده الشيخ سعود من مشاهير العلماء كما بيّنا، وقد أخذ العلم من والده ومن بعض علماء نجد الأعلام، فقد تتلمذ على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد آل عتيق، والشيخ عبد العزيز بن حمد آل عتيق.

تولى الشيخ سعد بن سعود القضاء في الأفلاج وذلك عام ١٣٣٧هـ، وقد اشتهر عند أهل البلاد بحسن القضاء، وكانوا يأخذون رأيه بالقبول، وقد جلس للتدريس في مدينة ليلى، ومن أشهر تلامذته الشيخ سعود بن محمد آل رشود والشيخ سعد بن إبراهيم بن فالح الجذالين، وفي عام ١٣٤٤هـ انتقل إلى وادي الدواسر حيث تولى القضاء فيها، وقد قام بدور كبير في مجال التعليم في الوادي حيث جعل حلقتين الأولى في الصباح والثانية في المساء، يدرس فيهما الفقه والتفسير والحديث، وقد تتلمذ على يديه عدد كبير في وادي الدواسر، منهم الشيخ بخيت بن ناصر العواجي، وكذلك أبناء الشيخ عبد اللطيف بن حمد آل عتيق، وهم الشيخ حمد وإبراهيم وعبد العزيز وسعد، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن إسماعيل،

وغيرهم. كما قام الشيخ سعد بن سعود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل في كل قرية من قرى الوادي مندوباً محتسباً منها، كما قام بإمامة جامع الخماسين وفتح بها مدرسة للقرآن الكريم وأسند إدارتها إلى محمد بن سفران، وللشيخ سعد بن سعود دور في كتابة النصائح وإرسالها للقرى والهجر وأهل البادية، بل إن له عدة رسائل في الأسماء والصفات ورسائل في الفقه وله تعليقات متفرقة في علوم مختلفة تحتاج إلى جمع، مما يدل على باعه الطويل في العلم وتمكنه منه، وفي عام ١٣٥٨هـ رجع إلى الأفلاج واستقر بها، كان رحمه الله تقياً ورعاً عابداً كريماً حازماً في الأمر مسدّداً في الأحكام جهوري الصوت، توفي في مدينة ليلى سنة ١٣٧٩هـ فرحمه الله رحمة واسعة وأحسن مثواه.

١٢- سعد بن إبراهيم بن فالح الجذالين

هو الشيخ سعد بن إبراهيم بن فالح بن مفلح الجذالين، ولد عام ١٣٣٠هـ في مدينة ليلى في بيت علم وورع وتقى وزهد، حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنتي عشرة سنة وطلب العلم على بعض مشايخ نجد المشهورين، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن حمد آل عتيق والشيخ سعد بن سعود بن مفلح الجذالين، ثم سافر إلى الرياض عام ١٣٤٢هـ وتعلم مبادئ التوحيد على الشيخ سعد بن حمد آل عتيق والشيخ حمد بن فارس ثم رجع إلى الأفلاج، وفي عام ١٣٥٣هـ عاد إلى الرياض مرة أخرى وطلب العلم على يد الشيخ حمد بن فارس والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي لازمه كثيراً، وفي عام ١٣٦١هـ عينه الملك عبد العزيز إماماً له في جامع المربع، وقد عرض عليه القضاء فاعتذر تورعاً، وكان ذلك في بلدة الخرمة، وعُيّن مشرفاً في دار الأيتام بالرياض، وفي عام ١٣٧٥هـ عين مدرساً في معهد إمام الدعوة العلمي حيث يدرس الفقه والفرائض والحديث والتفسير إلى أن أحيل للتقاعد سنة ١٣٩٣هـ، وفي عام

١٤٠٥هـ طلب الإعفاء من إمامة الجامع ويسكن الآن مدينة الرياض أحسن الله خاتمته وأجزل مثوبته.

١٣- سعود بن محمد بن عبد العزيز آل رشود

هو الشيخ الفاضل والقاضي العادل سعود بن محمد بن عبد العزيز بن راشد آل رشود، ولد في مدينة ليلى بالأفلاج سنة ١٣٢٢هـ، ونشأ في كنف والده وعلمه القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وما لبث أن شرع في حفظ القرآن الكريم عند الشيخ سعد بن سعود بن مفلح الجذالين فحفظه وهو في الثانية عشرة من عمره، وطلب العلم على يد الشيخ عبد العزيز بن حمد آل عتيق، ثم رحل إلى الرياض وقرأ على الشيخ سعد ابن حمد آل عتيق وعلى الشيخ حمد بن فارس ثم لازم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

وفي عام ١٣٥٨هـ عيّنه الملك عبد العزيز قاضياً بوادي الدواسر لما رأى فيه غزارة العلم وحدّة الذكاء ودقة الفهم، وفي عام ١٣٦٤هـ نقل من قضاء وادي الدواسر إلى قضاء مدينة المجمعة ولم يلبث فيها إلا بضعة أشهر، ثم عينه الملك عبد العزيز قاضياً في مدينة الرياض واستمر بها إلى أن وافاه الأجل سنة ١٣٧٣هـ، وقد صلي عليه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وقبر بمقابر العدل فرحمه الله رحمة واسعة فقد كان مشهوراً بالعدل والعلم والشجاعة إلى جانب معرفته بالشعر وقرضه له[1].

١٤- فالح بن مهدي:

هو الشيخ الفاضل المحقق فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، ولد في مدينة ليلى سنة ١٣٥٢هـ، وقد كانت أسرته تسكن الهدّار

(١) مشاهير علماء نجد ٣٨٤.

إحدى قرى الأفلاج، وفي عام ١٣٦٢هـ كف بصره فانصرف إلى قراءة القرآن وحفظه على يد المقرئ عبد العزيز بن يحيى البواردي رحمه الله، ثم سافر إلى الرياض وهو في الثالثة عشرة من عمره فدرس على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعلى الشيخ سعود بن محمد آل رشود، ولما فتح معهد الرياض العلمي التحق به في السنة الثانية الثانوية، وفي عام ١٣٧٧هـ أنهى دراسته بكلية الشريعة بالرياض، وفي عام ١٣٧٨هـ عين مدرساً بمعهد الرياض العلمي ومكث به إلى عام ١٣٨١هـ حيث رفع إلى التدريس بكلية الشريعة بالرياض واستمر بها مدرساً إلى أن توفي عام ١٣٩٢هـ، وكان رحمه الله تعالى يحب العلم وطلابه وكان متواضعاً يحب الحياة البسيطة وقد ألف بعض الكتب النافعة ومنها:

١) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية.

٢) السلف بين القديم والجديد.

خلّف رحمه الله ثلاثة أبناء، وله أبيات نظمها في نصيحتهم يحثهم فيها على العلم والتحلي بمكارم الأخلاق يقول منها:

تعلم بنيّ العلم واتعب لنيله ❊ وزاحم ذوي التحصيل عند التعلمِ

ولا ترضينْ بالجهل ما عشت صاحباً ❊ ذوو الجهل أشباه لموتى ونومِ

وصاحب من الطلاب براً مهذباً ❊ وباعد من الشرير واحذره تسلمِ

وكن عاملاً بالعلم فالعلم خشية ❊ لذي العرش والتقوى أساس التفهمِ(١)

١٥- عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سحمان

هو الشيخ القاضي عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد آل سحمان

---

(١) • علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٧٠.

• مشاهير علماء نجد ٤٢٨ ومقدمة التحفة المهدية.

أحد علماء الأفلاج حيث تولى القضاء فيها عام ١٣٧٩هـ ومكث بها إلى أن نقل إلى قضاء منطقة الخرج عام ١٣٩٣هـ، ثم عين قاضياً بمحكمة التمييز بالرياض، قام بتتمة نظم زاد المستنقع الذي بدأ في نظمه الشيخ سعد بن حمد آل عتيق، وللشيخ عبد الرحمن بعض الرسائل والفتاوى منها: كتاب المعارف السنية، واستمر الشيخ في محكمة التمييز بالرياض إلى أن أحيل للتقاعد.. أما العالم العلامة سليمان بن سحمان فهو أحد العلماء الذين قطنوا الأفلاج إذ مكث في بلدة العمار سبعة عشر عاماً يطلب العلم على يد الشيخ حمد بن علي بن محمد آل عتيق، والشيخ سليمان من مواليد «تباله» إحدى قرى بيشة، وبعد هذه المدة انتقل إلى الرياض ولهذا لم نعده من علماء الأفلاج وإن كانت قد انتفعت بعلمه ودعوته ومؤلفاته الكثيرة ورسائله.

١٦- سعيد بن سعيد بن عيد

هو العابد الزاهد سعيد بن سعيد آل عيد ينتسب لآل سبيت من حوطة بني تميم، تولى والده رحمه الله القضاء في الأفلاج في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، أما هو فقد عرف واشتهر بتأويل الأحلام وتعبير الرؤيا مع معرفته ببعض العلوم وكثرة عبادته وقراءته للقرآن وورعه وتقواه، توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٥٩هـ.

١٧- سعيد بن عبد العزيز آل جندول:

هو الشيخ سعيد بن عبد العزيز آل جندول، ولد في مدينة ليلى بالأفلاج عام ١٣٤١هـ، قرأ القرآن وتعلمه وحفظه ودرس في كلية الشريعة بمكة المكرمة وتخرج عام ١٣٧٥هـ، ثم عين إماماً وخطيباً للمسجد الحرام وعمل وكيلاً لرئيس ديوان المظالم وتقلب في عدة وظائف تعليمية، وهو عضو في اللجنة العليا للتوعية الإسلامية وفي اللجنة العليا

لرسم السياسة الإعلامية وعضو في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد صدر له عدد من الكتب وهي:

(١) كتاب التوحيد والتهذيب وكتاب في التفسير، وهما مقرران دراسيان.
(٢) كتاب الدر النضيد على كتاب التوحيد.
(٣) كتاب إليكم شباب الأمة.
(٤) كتاب الجنس الناعم في ظل الإسلام.
(٥) كتاب الإسلام في معترك الفكر.
(٦) كتاب ألف كلمة وكلمة.

١٨- إبراهيم بن محمد آل خرعان

هو العالم الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل خرعان، ولد بمدينة ليلى بالأفلاج عام ١٣٥١هـ ونشأ بها في بيت فضل وتقى، تعلم ودرس على يد العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز أمدّ الله في عمره ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض، وبعد تخرجه عين بالمعهد العلمي بالأفلاج يدرس الحديث والفقه وذلك عام ١٣٨٤هـ ولا يزال به إلى الآن، وكثيراً ما يطمئن أهل المنطقة لفتواه، له يد طولى في الحديث والفقه والعقيدة، أمد الله في عمره وأجزل مثوبته.

هذه معلومات مختصرة عن علماء الأفلاج المشهورين ولست بصدد حصرهم فقد تركت عدداً من طلبة العلم ومحبيه رغبةً في الاختصار، وتلك هي حالة العلم في البلاد حيث يقتصر طلبه على المشايخ والعلماء والقضاة، وقد يرحل الطالب من أجل التحصيل، واستمروا على ذلك أزماناً مديدة إلى أن تدفق العهد السعودي الزاهر مرتدياً حلل النهضة والازدهار في جميع المجالات وخاصة التعليم. فقد افتتحت أول مدرسة في منطقة الأفلاج في عام ١٣٦٩هـ وأطلق عليها مدرسة ليلى الأولى

الابتدائية ثم تسمّت بعد ذلك مدرسة طارق بن زياد، وأول مدير لها هو الشيخ زيد بن محمد آل فالح الجذالين، وناصر بن عبد الرحمن آل بشر وإبراهيم بن سعد آل فالح الجذالين ومسفر بن إبراهيم آل بشر هم المدرسون آنذاك، ثم تتابع افتتاح المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ومدارس البنات أيضاً التي افتتحت الأولى منها عام ١٣٨٩هـ وقد بلغ عدد المدارس هذا العام كالتالي:

المرحلة	عدد المدارس للبنين	البنـــات
الابتدائية	٣٢	٣٤
المتوسطة	١٠	٩
الثانوية	٤	٤
المعاهد	١	١
الكليات المتوسطة	-	١
المجمــوع	٤٧	٤٩

وبذلك التقدم في التعليم تهيأت لشباب المنطقة الفرص للتزود من العلم وطلبه ومحاولة النبوغ فيه وتلبية طموحات النفس التواقة لطلبه من أجل خدمة الأمة وإصلاح الناس، وقد وصل كثير من أهل البلاد إلى مراتب عليا في التعليم ومنهم على سبيل المثال:

الدكتور عبد الله الزايد، والدكتور عبد الله بن سالم آل حمود، والدكتور سعود بن محمد آل بشر، والدكتور عبد الله بن محمد آل مطلق، والدكتور محمد بن عبد الله آل فهيد، والدكتور سعيد بن مبارك آل زعير، وغيرهم كثير من طلبة العلم والحريصين عليه بعد أن توفرت أسباب ذلك أمامهم، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل به إنه سميع مجيب.

المبحث الثاني

الشعر والأدب

العرب أمة متحدة في العادات والتقاليد والأعراف تكرم الضيف وتحمي الذمار وتجير المستجير وتتفاخر بالأحساب والأنساب، وقد وصفهم النعمان بن المنذر أمام كسرى فأجاد ووفى.

وقد كانت الأفلاج من أهم مواطن الاستقرار لكثير من قبائل بني ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان بن مضر[1] ونخص منهم بني كعب بن ربيعة بن عامر. وقد تجلت الفصاحة والبلاغة في تلك الديار على ألسنة شعراء عامريين فقالوا شعراً رائعاً في الغزل والوصف والمدح والعتاب... وكان للمفاخرة والاعتداد بالحسب والنسب والحروب بين القبائل شأن كبير في تحديد مسار الشعر في تلك الفترات، يتجلى كثيراً في أيام بني عامر ومعاركها مع القبائل الأخرى. وتسجيلاً لتلك الحقبة من الزمن نورد بعض أيام بني عامر وما قيل فيها من الشعر وشيئاً من أيام بني كعب بن ربيعة خاصة منفردين عن بقية قبائل بني عامر بن صعصعة، فمن أيام بني عامر:

١- **يوم وادي حراض**:

وقع بين بني عامر وبني غطفان قبل حرب داحس والغبراء، وكان قائد بني عامر خالد بن جعفر بن كليب بن ربيعة بن عامر، وقد أغرى انتصار بني عامر في يوم النفراوات كثيراً من رجالهم وعلى رأسهم خالد بن جعفر

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ٣٠٤.

فرغبوا في الانتقام من بني غطفان جزاء افترائهم وظلمهم.. وبعد أن عزموا اتجهوا إلى رهط الحارث بن ظالم اليربوعي فقتلوا الرجال وتركوا النساء وزعموا أن ظالماً - أبا الحارث - قد قتل، وكان الحارث قد ورث عداوة خالد بن جعفر منذ أن قتل زهيراً سيد غطفان وزاد أمر أبيه وجرحه وأعمال خالد في رهطه النار سعيرا مما جعله يخطط للانتقام من خالد بن جعفر، وفي هذه الواقعة يقول خالد مفتخراً:

تركت نساء يربوع بن غيظ ❊ أرامل يشتكينَ إلى وليد
وحي بني سبيع يوم ساق ❊ تركناهم كجاريةٍ وبيد[1]

ومضت الأيام وهمّ الحارث بقتل خالد بن جعفر في عسكره فتمكن من ذلك وقتله وهو نائم وكان بجواره سيد بني جعدة وشريفها عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة، وحينما علم بالخبر قال شعراً معيراً الحارث بأنه قتل خالداً وهو نائم ولو كان يقظانَ ما تمكن منه، قال قصيدة منها قوله:

يا حارِ لو نبهتَه لوجدته ❊ لا طائشاً رعشا ولا مِعزالا

فأجابه الحارث:

تالله قد نبهتُه فوجدتُه ❊ رخو اليدين مواكلاً عسقالا
فعلوتُه بالسيف أضرب رأسَه ❊ حتى أضل بسلحه السربالا[2]

٢- **يوم رحرحان**:

وقع بين بني عامر وقبيلة تميم حيث خرج العامريون في طلب الحارث بن ظالم وفيهم كثير من سادتهم يتزعمهم الأحوص بن جعفر بن كليب

(١) الأغاني ١١/ ٩٤.
(٢) الكامل في التأريخ لابن الأثير ١/ ٣٣٩.

ابن ربيعة بن عامر (أخو خالد بن جعفر) وكان الأحوص شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه فلا يبصر حتى يرفعهما، وكان معهم مالك بن جعفر، وابناه عامر وطفيل وعوف بن الأحوص والصعق بن عمرو بن كلاب وعبد الله ابن جعدة، ولما علم حاجب بن زرارة بخروج العامريين دعا الحارث بن ظالم - وكان جاراً عنده - وأخبره بخبر القوم ثم قال له يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر قد أتوك فما أنت صانع؟ قال الحارث ذلك إليك إن شئت أقمت فقاتلت القوم وإن شئت تنحيتُ قال حاجب: تنحّ عني غير ملوم، فغضب الحارث وقال:

لعمري قد جاورت في حي وائلٍ ❁ ومن وائلٍ جاورت في حي تغلب
فأصبحت في حي الأراقم لم يقلْ ❁ لي القومُ يا حارِ بن ظالم اذهب
وإن يمنع المرء الزراريُّ جاره ❁ فأعجبْ بها من حاجبٍ ثم أعجب

فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زرارة وخرج إلى بني تميم فالتقى العامريون والتميميون واقتتلوا قتالاً وانهزمت تميم مع مغيب الشمس[1].

ولبني عامر يوم رحرحان ثانٍ ذكره صاحب النقائض[2] ويقال إنه يوجد يوم ثالث في رحرحان يخص بني كعب بن ربيعة بن عامر ومقابلتهم بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة[3].

٣- يوم شعب جبلة[4]:

وقع بين بني عامر وتميم وقصته: أنه وقع تحالف بين بني عامر وبني عبس ضد ذبيان أثناء حرب داحس والغبراء، وكان بنو تميم قد عزموا على

---

(١) الكامل في التأريخ ١/ ٣٤١.
(٢) النقائض لأبي عبيدة ٢/ ١٠٦٠.
(٣) الأغاني ٥/ ٢١.
(٤) هو يوم شهير عند العرب وقع قبل الإسلام بسبع وخمسن سنة.

غزو بني عامر، ووجدوا أنفسهم بعد الحلف أمام اتحاد قوي، فما كان منهم إلا أن جمعوا كثيراً من الفرسان والشباب للاستعداد لملاقاة بني عامر وبني عبس.

وقد رأى بنو عامر وبنو عبس أن يدخلوا إبلهم في شعب جبلة ثم يظمئوها فلا يردونها الماء في تلك الأيام، فإذا جاء بنو تميم سيدخلون الشعب عليهم لما عرفوا من طيش لقيط التميمي، وحينئذٍ يُخرجون الإبل عليهم عطاشاً وقد حُلت عقلها وحنت إلى مواردها فيأخذ الرجال بأذنابها وتنحدر عليهم انحدار السيل فلا يردها شيء ثم تتلوها الخيل فتفتك بالقوم.. وهذا ما حصل فقد انهزمت بنو تميم مرة أخرى، وفي ذلك اليوم يقول النابغة مفتخراً:

ونحن حَبَسْنا الحي عبساً وعامراً ❊ لحسانَ وابن الجون إذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادي بحار نساؤهم ❊ كإصعاد نسر لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا ❊ من الهضبة الحمراء عزاً ومعقلا[1]

ومن تلك الأيام يتضح لنا أن بني عامر قبيلة متحدة ضد خصومها تخوض الحروب مجتمعة ولم يكن هناك تفرقة بين فروع العامريين.

وقد كانت لبني كعب بن ربيعة بن عامر، جعدة وقشير والحريش وبني عقيل - حروب وأيام قاموا بخوضها وحدهم دون مشاركة بقية فروع العامريين ومنها:

١- يوم وادي نساح:

وقع يوم وادي نساح بين علقمة الجعفي وزهير الجعفي مع مذحج وبين قبائل كعب بن ربيعة، وسببه أن علقمة جمع مذحجاً وأغار بهم على

---

(١) ديوان النابغة الجعدي ١١٥.

بني عقيل بن كعب فأصاب بهم سبياً وغنماً وإبلاً ثم انصرف، فلحقهم عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل وأخبر بني كعب بن ربيعة بوجهة علقمة وجمعه فلحقهم بنو كعب بن ربيعة حتى أدركوهم وهجموا عليهم وكسروا أنف زهير وبعجوا بطنه وقتلوا علقمة وأخذوا إبلهم وجواريهم ثم انصرفوا راجعين.. وكان بطل هذا اللقاء قبيلة جعدة وبنو عقيل إذ يقول النابغة مفتخراً بما فعله قومه على الحريش وقشير:

أبلغ قشيراً والحريش فما ❁ ذا ردّ في أيديكم شتمي؟
وسيوفنا بنساح عندكم ❁ منها بلاء صادق العلمِ[1]

ويقول أيضاً:

وعلقمة الجعفي أدرك ركضنا ❁ على الخيل إذ صام النهارَ وهجَّرا
وكان عقال موليا بأليّة ❁ ليستلبن أثوابه أو ليعذرا
فلما دعا مرّان أقبل نحوه ❁ سناناً من الخطيّ أسمر مسعرا
ولاقاه منا فارس غير جيدرٍ ❁ فأكره فيه الرمح حتى تفطّرا[2]

٢- يوم شراحيل:

سمي هذا اليوم باسم شراحيل بن الأصهب الجعفي إذ كان يغزو القبائل وينهبها إلا بني كعب بن ربيعة، وذات مرة أقام عند قبيلة جعدة فأكرمه الرجال وقاموا بضيافته إلا أن سفهاء رجاله أخذوا إبلاً لجعدة. فضجرت القبيلة من هذا العمل وشكت الأمر إلى شراحيل فتهاون في قمع رجاله فخاف بنو جعدة من غدره وعزموا مع إخوانهم على الانتقام منه ورجاله فدبروا لهم كميناً وقتلوا شراحيل وأكثر رجاله وفر الباقون خوفاً على حياتهم وفيه يقول النابغة:

(١) الأغاني ٥/١٨ والديوان ٢٣٤.
(٢) ديوان النابغة الجعدي٥٥.

لقيـنا شراحيل الرئيس وجنده ❁ من السير قد أخفى المطي وأنعلا
وجئنا بأبدال الرؤوس فلـم نـدع ❁ لبنت كلابيّ من التبل مِغزلا[1]

٣- يوم الفلج:

وقع بين بني كعب بن ربيعة وبكر بن وائل، وذلك أن بني بكر بن وائل بعثوا رجلاً منهم يتحسس أخبار بني كعب، ولما وصل ديارهم في الفلج لم يجد سوى الإبل وحولها بعض الرعاة يحرسونها فظن أن الرجال قد رحلوا فرجع إلى قومه يخبرهم الخبر فطمعوا في أموال بني كعب وركبوا خيلهم يريدون الفلج ولما اقتربوا من مكان الرعاة سمعوا صهيل الخيل وأصوات الرجال فسُقِط في أيديهم ولاموا رسولهم فاعتذر، لكن هيهات المفر من بني كعب بعدما رأوهم وعرفوا مقصدهم.. وحينما آثر بنو بكر بن وائل الرجوع لحقهم بنو كعب بن ربيعة وأصابوا منهم رجالاً وغنموا خيلاً وإبلا، وفي ذلك اليوم يقول شاعر بني عقيل القحيف العقيلي:[2]

تركنا على النشاش بكر بن وائل ❁ وقد نهلت منها السيوف وعلتِ
وبالفلج العادي قتلى إذ التقت ❁ عليها ضباعُ الغيل باتت وظلتِ
إذا ما الضباع الجلة انتجعتهمُ ❁ نما النيّ في أصلابها فاتمهلتِ

وقد قتل في ذلك اليوم شاعر قشير يزيد بن الطثرية فقال القحيف يرثيه ومن معه من قتلى الفلج:

يا عـين بكّي هـملا على هـمل ❁ عـلى يـزيـدَ ويـزيدَ بـن حمـل
قـتّـال أبـطـال وجـرّار حُـلـل

(١) ديوان النابغة ١١٩ والأغاني ٥/ ٢٠
(٢) الأغاني٥/ ٢٢

وليوم الفلج رواية أخرى تقول: إنه وقع بين بني حنيفة من بكر بن وائل فقط وليس قبيلة بكر كلها وبين بني كعب بن ربيعة، وذلك أن بني حنيفة اغتنموا ضعف الخلافة الأموية فثاروا بقيادة المهير بن سلمي الحنفي وأخرجوا العامل الأموي فاستولى المهير على اليمامة كلها إلى العقيق «وادي الدواسر» وقد أرسل بنو حنيفة رجلاً يدعى المندلث بن إدريس الحنفي لجباية الزكاة، ولكنه أساء معاملة بعض بني كعب فاجتمعت قبائل بني كعب لقتاله برئاسة بني عقيل، وكانت راية قشير في يد ابن الطثرية يزيد ولكنه عثر في جبة خزّ كان يسحبها في المعركة فانتهز الحنفيون عثرته فقتلوه، وقتل العامل الحنفي.. قال الذهبي: إن ذلك كان سنة ١٢٦ للهجرة.

وعن بني حنيفة وثورتهم والمهير وابن إدريس.. يقول القحيف العقيلي:

أأم ابن إدريس ألم يأتك الذي * صبحنا ابن إدريس به فتقطّرا
يريد العقيق ابنُ المهير ودونه * بنو محصنات لابسات السنوّرا

ويقول أيضاً:

لقد جمع المهير لنا فقلنا * أتحسبنا تروعنا الجموعُ
سترهبنا حنيفة أن رأتنا * وفي أيماننا البيض اللموعُ
عقيل تعتزي وبنو قشير * تواري عن سواعدها الدروعُ
وجعدة والحريش ليوث غاب * لهم في كل معركة صريعُ
فنعم القوم في اللَزبَات قومي * بنو كعب إذا جحد الربيعُ[1]

---

(١) الأغاني ٢٠/ ١٤٢.

٤- يوم قارة أهوى:

وقع بين قشير بن كعب وبني عنمة من شيبان، وقارة أهوى موضع باليمامة في بلاد قشير[١] وكان لقرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير شأن عظيم في ذلك اليوم حيث قتل كبير بني شيبان عمران بن مرة وفي تلك القتلة يقول النابغة:

جزى الله عني رهط قرة نصرة ❊ وقرة إذ بعض الفعال مزلّجُ
جلا الخزي عن كل الوجوه فأسفرت ❊ وكانت عليها هبوة ما تبلجُ
هم اليوم – إذ باد الملوك – ملوكنا ❊ فعالاً ومجداً غير أن لم يتوجوا
تدارك عمران بن مرة ركضهم ❊ بقارة أهوى والخوالج تخلجُ[٢]

وهو القائل:

ألا أبلغ بني شيبان عني ❊ فقد حلبت صرامُ لكم صراها
دعاها صوت قرة من سواج ❊ فجنبي طخفة فإلى لواها[٣]

وبما أننا ذكرنا بعضاً من أيام بني عامر متحدة ضد القبائل الأخرى وأياماً تخص بني كعب بن ربيعة وحدهم ضد من أعلن لهم العداء، فهذه بعض الأيام التي وقعت فيما بين قبائل كعب بن ربيعة وفروعها الأربعة: بني جعدة وبني قشير وبني عقيل وبني الحريش... ومنها:

يوم أَكْمة:

أكمة موضع وقرية لبني جعدة فصلنا القول فيها خلال حديثنا عن المعالم الأثرية في المنطقة، أما ذلك اليوم الذي وقع بالقرب منها فهو

(١) معجم البلدان ١/ ٢٨٧، وهو ما يسمى حالياً (الهوة) في نفود الوحي.
(٢) الديوان١٨٦.
(٣) الديوان ٢١١.

بين بني جعدة وبني قشير ولا نعلم سبباً له... والذي يظهر أن قشيراً انتصرت فيها على جعدة وفي تلك الأحداث يقول شاعر قشير نوال «وقيل نوار» بن الثغاء:[1]

بأَكمة يوم لا تغور نـجـومـهُ ❁ عظيم أشاب الرأس من كل موضع
نعاتبكم يا جعدُ في ذات بـيننا ❁ وليس عتاباً فيك يا جعدُ ينفعُ[1]

وهناك أحداث كادت أن توقع فتنة أخرى بين بني كعب، خاصة بين بني جعدة وبين بني عقيل فيما يتصل بالمنتشر الباهلي حيث قتل بنو جعدة ابنا له يسمى سيدان، ولما علم المنتشر بذلك أغار على قبيلة جعدة وقتل منهم ثلاثة رجال وتفرقت باهلة بعد هذا الحدث، ففرقة استجارت بعقال بن خويلد العقيلي يقال لهم بنو وائل، وفرقة استجارت بيزيد الكلابي ويقال لهم بنو قتيبة، وقد أرادت جعدة قتالهم فرفض عقال وقال: أما أحد الثلاثة فهو بالمقتول وأما الآخران فعليّ عقلهما، فقالوا: لا نقبل إلا القتال وحاول عقال أن يجبرهم على الدية فأصروا على رفضها يقول النابغة:

فأبلغ عقالاً أن غـايـة داحـس ❁ بكفيك فاستأخر لهم أو تـقدم
تـجـير عـلينا وائلاً في دمائنا ❁ كأنك عما ناب أشـياعنا عمِ[2]

ومن أيام بني كعب: يوم سفوان مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة ويوم آخر مع بني عبس بالرغم من أن بني عبس حلفاؤهم في يوم شعب جَبَلَة ضد ذبيان وحلفائهم من تميم، ويوم دِيْسقة ويوم الينسُوعتين ويوم مناجل... وفي أشعارهم ما يشير إلى أيام كثيرة ربما سقط الشعر الذي يفصل أحداثها ويوضح طرفيها من أيدي الرواة.

وبعد أن فتحت ديار فارس وأصبهان وما حولها وأخذ الأمويون

---

(١) التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري ٨٢، ولا يخفى ما في البيتين من إقواء

(٢) الأغاني ٥/ ٣٣وديوان النابغة ١٤٢.

وخلفاء بني العباس من بعدهم في التوسع في فتح المشرق، رحلت كثير من قبائل العرب إلى تلك الجهات الإسلامية مشاركة منهم في الجيوش الإسلامية الفاتحة واستقروا في تلك المناطق ولحق بهم من لحق من ذويهم الباقين في الجزيرة العربية.

وقد هاجرت جماعات غير قليلة من قبائل بني كعب بن ربيعة إلى المشرق الإسلامي واستقرت في أصبهان.. وقد وقع بينهم أيام هناك لكنها قليلة جداً ونشبت صراعات شعرية في المفاخرة وكأن الإسلام لم يمح العصبية ويهلك المناداة بالقبلية وفي ذلك تبيان إلى تمكنها منهم ورسوخها في ضمائرهم.

فمن ذلك ما نشب بين بني جعدة وبني قشير وهم متجاورون بأصبهان[1] فقد هجا سوار بن أوفى القشيري - الشاعر الأموي المقل- النابغة الجعدي وسب قبيلته وأخواله من الأزد، فرد عليه النابغة بهجاء آخر مقذع واحتدم الهجاء بينهما إلى أن وصل إلى ليلى الأخيلية العقيلية «زوج سوار» التي انتصرت لزوجها. وقد سميت قصيدة النابغة «الفاضحة» لأن فيها مساوئ قشير. يقول في مطلعها:

جهلت عليّ ابنَ الحيا وظلمتني ❊ وجمّعت قولاً جاء بيتاً مضللا

ومنها قوله مخاطباً سوار:

فإن كنت تلحاه لتنقل مجدنا ❊ لسبرة فانقل ذا المناكب يذبلاً
وإني لأرجو إن أردت انتقاله ❊ بكفيك أن يأتي عليك ويثقلا[2]

وفيها سخرية واستخفاف وذكر لمجد جعدة وبطولات جده سبرة. وقال النابغة قصيدة أخرى في هجاء سوار نفسه مطلعها:

---

(١) تاريخ أصبهان ١/ ٧٣.
(٢) ديوان النابغة ١١٣.

أما ترى ظلل الأيام قد حسرت * عـنـي وشمّرت ذيلا كان ذيالا
يا ابن الحيا إنني لولا الإلهُ ومـا * قال الرسولُ لقد أنسيتُك الخالا[1]

ويظهر في هذا البيت احترام النابغة لشعائر الإسلام وأوامره، وابن الحيا المذكور هو سوار القشيري والحيا أمه.

وقد هجا النابغة ليلى الأخيلية بقصيدة مطلعها:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا * فقد ركبت أمراً أغرّ محجلا

وقد هجته بقصيدة منها:

أنـابـغ لم تـنبغ ولم تكُ أولاً * وكنت صُنيا بين صدين مجهلا
أنابغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد * للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا
تـعيـرني داء بـأمـك مــثـلـه * وأي حصان لا يقال له هلا[2]

هذه مقدمة يسيرة عن أيام بني عامر وعن الأيام التي كانت لبني كعب وحدهم دون بقية بني عامر مع القبائل العربية.

وأشعار بني كعب تدل على صراعات قبلية أخرى لم يفصلوا فيها، ومن ذلك صراعهم مع بني أسد وكندة وقضاعة وكنانة ومذحج وهمدان وحِميَر وخثعم، يدلنا على ذلك ما قاله النابغة الجعدي مفتخراً على تلك القبائل:

وكندة كانت بالعقيق مـقيمة * وعكّ فكلا قد طحرناه مطحرا
وقد آنست مـنـا قضاعة كالئـاً * فأضحوا ببصرى يعصرون الصنوبرا
كنانة بين البحر والصخر دارُها * فأسكنها أن لـم تـجد متـأخرا
ونحن أزلنا مذحجاً عن ديارها * وهمدان أسقـينا الـسمام وحميْرا

(١) ديوان النابغة ٩٩ وما بعدها.
(٢) الشعر والشعراء٢٩١. والصني شعب صغير يسيل منه الماء، لسان العرب١٤/ ٤٧٠.

ونحن أزلنا خثعماً عن ديارها ❊ فزالت وكانت أهل ترج وعثّرا[1]

وبعد أن عرفت الأيام الشهيرة لبني عامر بن صعصعة والأيام التي كانت لبني كعب بن ربيعة وحدهم نود أن نستعرض شعراء بني كعب متحدثين عن حياتهم وأشعارهم بمختلف أغراضها مؤثرين في ذلك الاختصار المفيد.

ولمن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتب الأدب الكبرى كالأغاني والشعر والشعراء والحماسات والكامل في اللغة والأدب وطبقات فحول الشعراء والتعليقات والنوادر، كما أنه ظهرت دراسات أدبية محدثة عنيت ببعض شعراء بني كعب مثل كتاب النابغة الجعدي للدكتور خليل أبو ذياب وكتاب شعراء قشير للدكتور عبد العزيز الفيصل وقد جاءت كتبهم في غاية الدقة والإتقان.

وقد كان شعراء بني كعب يتغنون بمعالم بلادهم «الأفلاج» ومساكنهم فيها، فكثيراً ما يتذكرون صداء والغيل والتوباد وأكمة والفلج، إنهم حقاً كانوا أهل شعر وأدب يحييه التفاخر فيما بينهم أو التذكر والحنين.. وكانوا في عمومهم من المقلين فبعض شعرائهم لا تجد له إلا البيت والبيتين وممكن أن يكون فعلاً حقيقة أو أن شعره سقط من أيدي الرواة... ومن المكثرين من شعراء بني كعب النابغة الجعدي والصمة بن عبد الله القشيري ويزيد بن الطثرية القشيري والقحيف العقيلي وقيس بن الملوح الجعدي مجنون ليلى مع ما في شعره من الزيادات والأساطير.. ولن نشمل شعراء بني كعب كلهم بالحديث بل سنجعل قولنا مقصوراً على المشهورين منهم ليكون مثلاً للشعراء في المنطقة في تلك الأزمنة.

---

(١) ديوان النابغة ٥٣ – ٥٤ . وترج وعثر من ديار خثعم في عسير.

أولاً: شعراء بني جعدة:

١- النابغة الجعدي:

هو الشاعر الفحل الصحابي المعمّر قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر صعصعة[1] لقبه النابغة وكنيته أبو ليلى، توفي سنة ٦٥ للهجرة وفد على رسول الله ﷺ وأسلم في السنة التاسعة للهجرة وبعدها قال:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ❁ ويتلوا كتاباً كالمجرّة نيّرا
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي ❁ سهيلا إذا ما لاح ثمت غورا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ❁ وكنت من النار المخوفة أوجرا

وقد اختلف في تحديد عمره فبعضهم قال توفي وعمره ١٢٠ سنة وبعضهم يقول ١٣٠ سنة وآخرون يرون أن عمره كان ١٨٠ سنة ونحن لا نشك أنه عمّر طويلا وعاش زمناً مديداً مما أكسبه معرفة بالحياة وطرقها واستمع إليه يقول:

المرءُ يرغب في الحيا ـةِ وطولُ عيشٍ قد يضرُّه
تفنى بشاشته ويبقـ ـى بعد حلو العيش مرُّه
وتسوؤه الأيام حتـ ـى ما يرى شيئاً يسرُّه
كم شامتٍ بي إن هلكـ ـت وقائلٍ لله درُّه

قال الذهبي في تأريخ الإسلام:

إن النابغة الجعدي قال هذه الأبيات ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات. ويقول في مراحل عمره المديد وحالته في كل مرحلة:

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣. والشعر والشعراء ١٧٧ جاء فيه أن اسمه حسان.

شيخ كبير قد تخدّد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداءَ داجيةً وسحق مفوّفٍ * ودروس مخلقة تلوحُ هجانا
ثم المنية بعد ذلك كله * وكأنما يُعنى بذاك سوانا

ويقول أيضاً:

قالت أمامة كم عَمَرت زمانَةً * وذبحتَ من عتر على الأوثانِ؟
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها * فيها وكنت أعدُّ م الفتيان
والمنذر بن محرق في ملكه * وشهدت يوم هجائن النعمان
وعُمرت حتى جاء أحمد بالهدى * وقوارعٌ تتلى من الفرقان
ولبست م الإسلام ثوباً واسعاً * من سيب لا حرم ولا منانِ

وقد روى يعلى بن الأشدق العقيلي عنه أنه قال: أنشدت النبي ﷺ هذا الشعر فأعجب به:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ: فأين المظهر يا أبا ليلى... فقلت: الجنة. (فقال: قل إن شاء الله) فقلت : إن شاء الله.

ولا خير في حلم إذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يُكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ: «أجدت لا يفضض الله فاك» قال العقيلي: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن»[1] وقد قابل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعثمان، ويروى أنه دخل على الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يريد توديعهم لرحيل همّا به فقالا له أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى فأنشدهما:

(١) الأغاني ٥/ ٨ والعقد الفريد ٢/ ٥٢

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فَنَفسَهُ ظلما
المولجِ الليلَ في النهار وفي الليل نهاراً يفرج الظلما
الخافضِ الرافع السماء على الأرض ولم يبنِ تحتها دعما
الخالقِ البارئِ المصورِ في الأرحام ماء حتى يصير دما

وذات مرة هم بالخروج للجهاد فأشفقت عليه زوجته لكبر سنه وحاولت منعه من الخروج فقال:

باتت تذكرني بالله قاعدة ❁ والدمع ينهل من شأنيهما سُبلا
يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ❁ كرها وهل أمنَعنّ الله ما فعلا
فإن رجعت فربُّ الناسِ أرجعني ❁ وإن لحقت بربي فابتغي بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ❁ أو ضارعاً من ضنى لم يستطع حولا

لم يكن خروجه للجهاد أمراً غريبا فقد كان فارساً شجاعاً مستخدماً شعره في الدفاع عن الإسلام، وقد شهد جموع من المسلمين فتوح بلاد فارس وشارك بسيفه في إعزاز دين الله، ثم شهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة. وقد أخذ معاوية بن أبي سفيان ماله وأهله فقال النابغة فيه شعراً فاستشار معاوية مروان بن الحكم واتفقا على رد ماله وأهله خوفاً من شعره. وكان النابغة مقدّماً عند صحابة رسول الله ﷺ إذا قدِم إليهم، من ذلك ما يرويه عروة عن أبيه عن عمه عبد الله بن عروة قال ألحت السنة على نابغة بني جعدة فدخل على ابن الزبير في المسجد الحرام وأنشد:

حكيت لنا الصدّيق لما وليتنا ❁ وعثمان والفاروق فارتاح معدمُ
وسوّيت بين الناس في الحق فاستووا ❁ فعاد صباحاً حالكُ الليل مظلمُ

(١) الأغاني ٥/ ١٠.

أتاك أبو ليلى تجوب به الدجى   دجى الليل جوّاب الفلاة عرمرمُ
لتجبر منه جانباً دعدعت به   صروفُ الليالي والزمانُ المصمّمُ

قال ابن الزبير هوّن عليك يا أبا ليلى فإن الشعر أيسر وسائلك عندنا، لك في مال الله حقان: حق لرؤيتك رسول الله ﷺ وحق لشركتك أهل الإسلام في نيتهم ثم أخذ بيده وأعطاه مالا وكساه، ويقول راثياً ابنه محارباً وأخاه وحوح ومخاطباً زوجته:

ألم تعلمي أني رزئت محارباً ❁ فمالك بعد اليوم خيرٌ ولا ليا
ومن قبل ما قد رزئت بوحوحٍ ❁ وكان ابنَ أمي والخليلَ المصافيا
فتىً كملت خيراته غير أنه ❁ جوادٌ فما يبقي من المال باقيا
فتىً تم فيه ما يسر صديقَه ❁ على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا

إنه لخليقٌ بشاعرٍ عاش أزماناً عديدة وقاسى كثيراً من المصائب وأدركته كثير من التغيرات ليقع في شراكها، يوما يغتني وآخر يفتقر ونهاراً يسود وليلاً تنزله الأيام، أن يعطي دروساً في الصراع مع الحياة وقد ذكرنا بعض الأبيات التي أجاد فيها عن هذا الغرض ونختم حديثنا عنه بأبيات تنم عن عمق تفكير الرجل ورجاحة عقله يقول:

خليلي غضّا ساعةً وتهجّرا ❁ ولوما على ما أحدث الدهرُ أوذرا
ألم تعلما أن انصرافا فسرعة ❁ لسير أحق اليوم من أن تقصرا
ولا تسألا إن الحياة قصيرة ❁ فطيرا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعَه ❁ فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ركبت الأمورَ صعبَها وذلولَها ❁ وقاسيت أياماً تشيب الحزوّرا
فما طالب الحاجات في كل وجهة ❁ من الناس إلا من أجدّ وشمّرا
ولا ترض في عيشٍ بدونٍ ولا تَنَم ❁ وكيف ينام الليلَ من بات معسرا
إذا المرء لم يطلبْ معاشاً لنفسه ❁ شكا الفقر أو لامَ الصديقَ فأكثرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ❁ تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا[1]

٢- عبادة بن البراء الجعدي:

شاعر متمكن من خلال ما قرأنا من شعره ولا نعرف عن حياته أو وفاته شيئاً، ويظهر من قصيدته أنه كان سجيناً بحجر «الرياض» فاشرأبّت نفسه لنسيم ليالي أكمة ومرابع كرز، فقال هذه القصيدة التي أوردها أبو علي الهجري[2] وأورد أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر[3] له بيتاً من القافية والبحر نفسه فجعلناه الأول، يقول عبادة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❁ جميعَ الهوى قد راجع النفس طيبُها

ألا أيها الغادي بأكمة أهله ❁ سقى الله مسقي الغيث أرضاً تؤوبُها

فأبلغ عني أهل كرز رسالة ❁ طويلا بحجر حبسها ونشوبُها

لقد ضم سجن الهاشميّ عصابةً ❁ تراها جميعا وهي شتى شعوبها

إذا حرّك البوّاب أقفال سجنه ❁ رأيت رجالاً وهي تنزو قلوبُها

متى يُدع منهم باسمه وهو مجرمٌ ❁ تكن روعة لا بد وهو مجيبُها

ذكرتكِ والحداد يقفل قيده ❁ على الساق من عرجاء عارٍ كعوبها

ترى الثوب منها قالصاً وهو سابغ ❁ سريع إلى الداعي المضاف وثوبها

وأكمة التي ذكرها اسم قرية لبني جعدة في وادي أكمة عفا عليها الزمن، وكرز اسم وادٍ في أعلى أكمة بل هو ساقيتها وكان يسكنه بنو قشير في تلك الأزمان.

٣- عبد الله بن جعدة:

هو السيد المطاع القرم الشجاع عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة

---

(١) الديوان ٧٣.

(٢) أبو علي الهجري جمع الشيخ حمد الجاسر ٢٠٢.

(٣) البصائر والذخائر ٩/ ٦٨.

بن عامر بن صعصعة، وقد كان يحظى بمكانة رفيعة لا تعترف بها بطون بني كعب فقط بل بطون بني عامر كلها، يقود الحرب ويسوس القوم ويحكم بين الأطراف وقد عرفنا أعماله في يوم وادي حراض وله أمجاد يظهرها له تقدير بني عامر له، وقد كان يسكن حراضة والغيل كما قال الهمداني ثم أخذهما أبناؤه من بعده.. ومن شعره ما أورده ابن الأثير عندما قَتَل الحارث بن ظالم اليربوعي خالدَ بن جعفر العامري وهو نائم فقال عبد الله بن جعدة معيّراً الحارث وأنه قتل خالدا وهو نائم ولو كان يقظان ما تمكن منه:

شقّت عليك العامرية جيبَها ❁ أسفا وما تبكي عليك ضلالا
يا حارِ لو نبهته لوجدتَه ❁ لا طائشاً رعشاً ولا معزالا
واغرورقت عيناي لما أخبرت ❁ بالجعفري وأسبلت إسبالا
فلنقتلنّ بخالدٍ سرواتِكم ❁ ولنجعلنّ لظالم تمثالا
فانعوا أبا بحر بكل مجربٍ ❁ حران يحسب في القناة هلالا
فإذا رأيتم عارضاً متهللاً ❁ منا فإنا لا نحاول مالا[1]

٤- عبد الله بن الحشرج الجعدي:

هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد الجعدي كان جواداً كريماً ذا أخلاق عالية تولى أكثر أعمال خراسان وبعض أعمال فارس في أيام عبد الملك بن مروان، توفي سنة ٩٠هـ[2] وقد أورد أبو تمام الطائي في الحماسة شعراً له ظهرت فيه سماحته وطيب محتده وحسن معاشرته يقول:

ألا بكرت تلومك أم سلم ❁ وغير اللوم أدنى للسدادِ
وما بذلي تلادي دون عرضي ❁ بإسرافٍ أميمُ ولا فساد
فلا وأبيك لا أعطي صديقي ❁ مكاشرتي وأمنعه تلادي

(١) الكامل في التأريخ ١/ ٣٣٩.
(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٨٩.

ولكني امـرؤ عـوّدت نفسـي * على علاّتها جَـرْي الـجـيـاد
محافظة عـلى حسـبي وارعـى * مـسـاعـي آل ورد والـرقـاد[1]

وفيه يقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج[2]

٥- البحتري الجعدي:

كان من الذين سكنوا الغيل وبعد هجرته ديار قومه قال هذين البيتين متذكراً الغيل:

ألا يـا لـيـلُ قـد بـرح الـنـهارُ * وهـاج الليـلُ حزنـا والـنـهارُ
كـأنـا لم نـجـاور آل لـيـلـى * ولم يـُوقـد لـهـا بالغيل نـارُ

٦- ورد الجعدي:

أورد له أبو تمام في حماسته هذه الأبيات يقول:

خليلي عوجـا بارك الله فيكـما * وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجارنا * ولكـنـنـا جرنا لنلقاكم عمدا
تخيرت من نـعمان عود أراكـةٍ * لهـند ولكن من يـبلغه هندا[3]

٧- مطير مولى بني جعدة:

أحد موالي بني جعدة في قرية اللعباء الأثرية بوادي أكمة، وتسمى الآن (لعبة) ويتمنى أن يبتعد عن صداء والبياض ويتجه غرباً نحو اللعباء حيث مرابع أسياده وأهله يقول:

---

(١) الحماسة ٥٧٣.
(٢) ويقال إن هذا البيت مقول في عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي والد كريم العرب في الجاهلية حاتم الطائي.
(٣) الحماسة ٤٠٦ – ٤٠٧.

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ❊ وصدّاء مني والبياض بعيد
بوادٍ من اللعباء أعلاه عوسجٌ ❊ وأسفله رمثٌ أحمّ جهيدُ

٨- قيس بن الملوح الجعدي:

هو مجنون ليلى قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ومعشوقته هي ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة من الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر، عشق كل منهما صاحبه، وقد أصابت قيساً لوثة جنون لشدة عشقه لها فلقب بالمجنون، قال الأصمعي لم يكن محموماً ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية يقول ابن قتيبة: وهو من أشعر الناس[1] وتلوث شعره بكثير من الأساطير والانتحالات والمقولات فصار كل من يقول شعراً في ليلى ينسبه للمجنون، وقد تردد كثير من القصائد والمقطوعات بينه وبين قيس بن ذريح وتوبة بن الحميّر والأحنف ابن قيس وكُثيّر عزة وجميل بن معمر والعباس بن الأحنف ويزيد بن الطثرية، حتى إنك لا تستطيع أن تثبت بعض القصائد لأحدهم دون الآخر.

وقد جعله الناس مطية لأشعارهم لما اكتسبه من شهرة بين الناس هو ومعشوقته ليلى.. ولما طلب قيسُ ليلى من أبيها رفض فازداد هيامه وجنونه بها وخرج في البراري هائماً على وجهه بعد فقْده لها.

وقد عاش هذان العاشقان في خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، أما وفاتها فمتقاربة وذلك أنه وجد في الديوان المنسوب جمعه إلى أبي بكر الوالبي نص قاطع بوفاتها قبله وذلك أنه مر به فارسان فنعيا إليه ليلى وقالا له مضت لسبيلها فقال:

أيا ناعِيي ليلى بجانب هضبةٍ ❊ أما كان ينعاها إليّ سواكُما

(١) الشعر والشعراء ٣٧٣.

ويا ناعِيي ليلى بجـانب هضبةٍ ❁ فمَن بعد ليلى لا أمرّت قواكما؟
ويا ناعيي ليلى لقد هجتما لنا ❁ تباريح نوحٍ في الديار كلاكما
فلا عشتما إلا حليفَي مصيبةٍ ❁ ولا متما حتى يطول بلاكما

ثم مضى حتى دخل ديار ليلى وأهلها فقدم عليهم وعزّاهم وعزّوه وقال دلوني على قبرها فلما عرفه رمى بنفسه عليه وأنشد:

يا قبر ليلى لو شهدنـاك أعولت ❁ عليك نساءٌ من فصيح ومن عَجَم
ويا قـبـرَ ليلى أكرمنّ محلـّهـا ❁ يكن لك ما عشنا علينا بها نَعَم
ويا قبرَ ليلى ما تضمنت قـبلَـها ❁ شبيها لليلى ذا عفـافٍ وذا كرم[1]

ومن قرأ شعر قيس عرف منزلته الشعرية وأنه على درجة عالية من الرقة وصدق العاطفة والجمال، وفي الأبيات السابقة نراه يكثر من شعر ليلى تلذذاً بذلك وإظهاراً لشدة حسرته على وفاتها.

أما من حيث وفاة قيس فقد ذكر المؤرخون أنها كانت سنة ٧٠هـ ووفاة ليلى كانت قبل ذلك العام بقليل.

يقول قيس متذكراً الصبا مع ليلى:

تعلقتُ ليلى وهي غـرٌّ صغيرة ❁ ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيران نرعى البهمَ ياليت أننا ❁ إلى اليوم لم نكبر ولم تكبرِ البهمُ

وكان في جبل التوباد بالغيل مُختباُ لقيس ينعزل فيه عن الناس، وبعد تمكن ليلى من قلبه خرج من الغيل وهَجَره مدة من الزمن ثم رجع إليه وقدم إلى جبل التوباد ووصف اللقاء بقوله:

وأجشهت للتوباد حين رأيتُهُ ❁ وكبـّر للرحـمـن حـيـن رآني
وأذرفـت دمعَ العين لما عرفتُه ❁ ونادى بأعـلى صوتـه فدعاني

(١) ديوان المجنون ١٩٨.

فقلت له قد كان حولك جيرةٌ وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
فقال: مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ؟
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا فراقَك والحيان مؤتلفانِ
سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمةً وسحاً وتسجاماً إلى هملانِ

ومن شعره الرائع يخاطب نفسه ويواسيها ويحثها على الصبر ويحذرها من الجزع والعجلة في الأمور يقول:

ألا أيها القلبُ اللجوجُ المعذلُ ❊ أفق عن طِلاب البيض إن كنتَ تعقلُ
أفق قد أفاق الوامقون وإنما ❊ تماديك في ليلى ضلال مضللُ
سلا كل ذي ودٍّ عن الحب وارعوى ❊ وأنت بليلى مستهام موكّلُ
فقال فؤادي ما اجترت ملامة ❊ إليك ولكن أنت باللوم تعجلُ
فعينك لُمها إن عينك حمّلت ❊ فؤادَكَ ما يعيا به المتحملُ
لحا الله من باع الخليل بغيره ❊ فقلت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ
وقلت لها بالله ياليلُ إنني ❊ أبر وأوفى بالعهود وأوصلُ
هبي أنني أذنبت ذنباً علمته ❊ ولا ذنب لي ياليل فالصفح أجملُ
فإن شئت هاتي نازعيني خصومة ❊ وإن شئت قتلا إن حكمك أعدلُ
نهاري نهارٌ طال حتى مللته ❊ وليلي إذا ماجنني الليل أطولُ
فيا قلب صبراً كم غرام وفرقة ❊ وتشتيت شمل والفؤاد منكلُ
تعزّ بصبر واستعن بجلادةٍ ❊ فصبرك عمن لا يواتيك أجملُ
فحبي لها حب مقيم مخلدٌ ❊ بأحشاء قلبي والفؤاد معللُ(١)

وفي ليلة من الليالي بعد أن تنعم قيس بزيارة أهل ليلى وأخذ في الرجوع تذكرها وهو في قرية لقشير تسمى القاع (حددنا معالمها خلال حديثنا عن المعالم الأثرية) فأنشد:

(١) الديوان ١٧٠.

بينما نحن بالبلاكث بالقا ع سراعاً والعيسُ تهوي هويّا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ ـراك وهناً فما استطعت مضيّا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو قُ وللحاديَين كُرّا المطيّا
فكَررنا صدور عيسٍ عتاقٍ مضمراتٍ طوين بالسير طيّا
ذاك ما لقين من دَلج السير وقول الحداة بالليل هيّا[1]

ويقول مشبها حاله مع معشوقته ليلى وسماؤها مليئة بغيوم البعد والهجران ويتهمها بالقسوة والمجافاة يقول:

متى يشتفي منك الفؤادُ المعذبُ ❁ وسهم المنايا من وصالك أقربُ
فبعد ووجد واشتياق ورجفة ❁ فلا هي تدنيني ولا أنا أقربُ
كعصفورة في كف طفل يزمها ❁ تذوق حياض الموت والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها ❁ ولا الطير ذو ريش يطير فيذهبُ

ويقول مخاطباً حمام الأيك:

أغرك يا حمامات بطوقٍ ❁ بأني لا أنام وتهجعينا
وأني قد براني الحبُّ حتى ❁ ضننت وما أراك تَغيّرينا
أراد الله محلك في السُّلامى ❁ إلى مَن بالحنين تشوقينا
ولستِ وإن ظننت أشدَّ وجداً ❁ ولكنّي أسرّ وتُعلنينا
وبي مثل الذي بك غير أني ❁ أحل عن العقال وتعقلينا

إلى أن يقول:

أحنُّ إذا رأيت جمال قومي ❁ وأبكي إن سمعت لها حنينا
سقى الغيث المجيد بلاد قومي ❁ وإن خلت الديار وإن بلينا
على نجد وساكن أرض نجد ❁ تحيات يرحن ويغتدينا[2]

(١) الديوان ١٢٥.
(٢) الديوان ٢١٩.

ومن أجود قصائد قيس «المؤنسة» لأنه كان يستأنس بها ويرددها كثيراً وهي طويلة جداً اخترنا منها هذه الأبيات:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا ❁ وأيام لا أعدي على الدهر عاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة ❁ وقد عشت دهراً لا أعدّ اللياليا
وإني لأستغشي وما بي نعسة ❁ لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني ❁ أحدث عنك النفس يا ليل خاليا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ❁ يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
أتهجر ليلى ثم تزعم أنني ❁ سلوت وهل يخفى على الناس ما بيا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه ❁ تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل ❁ بخير وجلّت غمرة في فؤاديا
ولم أر مثلينا خليلي صبابة ❁ أشد على رغم الأعادي تصافياً
خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى ❁ خليلين إلا يرجوان التلاقيا
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة ❁ إذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا
فما أشرف الأيفاع إلا صبابة ❁ ولا أنشد الأشعار إلا تداويا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها ❁ من الليل إلا بت للريح حانيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها ❁ عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا
يقول الناس علّ مجنون عامر ❁ يروم سلواً قلت أنّى لما بيا
فيا رب سوّ الحب بيني وبينها ❁ يكون كفافا لا عليّ ولا ليا
هي السحر إلا أن للسحر رقية ❁ وأني لا ألقى لها الدهرَ راقيا
فيا رب إذ صيرت ليلى هي المنى ❁ فزني بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبغضها إليّ وأهلها ❁ فإني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ❁ وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلي إن ضنوا بليلى فقربا ❁ لي النعش والأكفان واستغفرا ليا[1]

---

(١) الديوان٢٢٦.

٩- ليلى صاحبة المجنون:

أما ليلى بنت مهدي الحرشية، فهي شاعرة أيضاً ولكنها مقلّة جداً وإنما أثار قريحتها الوجد والهيام بقيس بن الملوح.. وقد أورد ابن قتيبة لها هذه القصة وهي: أنه خرج رجل من بني مرة إلى الشام مما يلي تيماء فإذا هو بخيمة عظيمة وقد أصابها المطر فتنحنح فإذا امرأة قد كلمته فقالت: انزل فنزلت وراحت إبلهم وغنمهم، فقالت سلُوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية تهامة ونجد. فقالت: يا عبد الله أي بلاد نجد وطئت؟ فقلت: كلها، قالت: بمن نزلت فقلت ببني عامر فتنفست الصعداء، ثم قالت هل سمعت بذكر فتى يقال له قيس يلقب بالمجنون فقلت: أي والله نزلت بأبيه وأتيته ونظرت إليه قالت وما حاله قلت: يهيم في تلك الفياض ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر له ليلى فيبكي وينشد أشعاراً يقولها فيها قال: فرفعت الستار بيني وبينها فإذا شقة قمر لم ترَ عيني مثلها قط فبكت وانتحبت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع فقلت أيتها المرأة أما تتقين الله فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء ثم قالت:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجعُ
بنفسي من لا يستقل برحله * ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ

ثم بكت حتى غشي عليها فلما أفاقت قلت: ومن أنت يا أمة الله؟ قالت: أنا ليلى المشؤومة عليه غير المواسية له فما رأيت مثل حزنها عليه[1].

وقد ذكرها لها في الأغاني قولها:

كلانا مظهر للناس بغضاً * وكلٌّ عند صاحبه مكينُ

---

(١) الشعر والشعراء ٣٧٥.

تـخبـرنا الـعيـون بما أردنـا ❁ وفـي القلبين ثمّ هوى دفيـنُ[1]

وزاد في بسط سامع المسامر:

ونظهر جفـوة من غـير حقـد ❁ وحبـك في فـؤادي مـا يبـينُ
فطب نفسـاً بذاك وقـرّ عينـا ❁ فإن هواك في قلبي مصونُ[2]

وتقول في وصف حالها وحاله:

لـم يكن المجنـون في حـالة ❁ إلا وقـد كـنـت كـمـا كـانَـا
لـكـنـه بـاح بـسـرّ الهـوى ❁ وأنني قـد ذبـتُ كتـمـانا[3]

وقيل إنها كتبت للمجنون كتاباً ختمته بهذه الأبيات:

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى ❁ بأرعـنَ ركناه صفـاً وحديدُ
تقطع من وجد وذاب حديده ❁ وأمسى تراه العين وهو عميدُ
ثلاثـون يومـاً كل يوم وليلة ❁ أمـوت وأحـيـا إن ذا لـشديد

ثانيا: شعراء بني قشير:

١- قرة بن هبيرة القشيري:

هو قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، شاعر مقلّ عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد حرب المرتدين أسره خالد بن الوليد رضي الله عنه وحمله إلى أبي بكر في المدينة فاستبقاه عنده، كان من فرسان بني قشير وكبارهم وهو أحد أجداد الشاعر الشهير الصمة بن عبد الله القشيري وفد على الرسول ﷺ فأكرمه واستعمله على صدقات قومه ومن شعره:

(١) الأغاني ٢/ ٨٦.
(٢) بسط سامع المسامر ٧٩.
(٣) المستطرف ٢/ ١٩٤.

حباها رسول الله إذ نزلت به ❁ وأمكنها من نائل غير منفذِ
فأضحت بروض الخضر وهي حثيثة ❁ وقد أنجحت حاجاتِها من محمدِ

٢- عبد الله بن طفيل القشيري:

هو عبد الله بن طفيل بن قرة بن هبيرة، وقد كان لقرة وابنه طفيل مكانة عظيمة في بطون بني عامر كلها، الأمر الذي جعل عبد الله بن طفيل والصمة بن عبد الله القشيري يفتخران كثيراً بمكانة أجدادهما، وكما أن قرة بن هبيرة شاعر فإن طفيل بن قرة شاعر إسلامي مقل أيضاً وعبد الله شاعر مقل كذلك ومن شعره:

ألا من لقلب قد أصيبت مقاتلُه ❁ به غلة عادية ما تزايله
وعينٍ رماها الله بالشوق كلما ❁ رأت حيث يلقى مصرم الحبل حايله

٣- الصمة بن عبد الله القشيري:

هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقول ابن الكلبي في جمهرة النسب: «بأنه كان شريفاً شاعراً ناسكاً عابداً[1]»، كان الصمة في بداية حياته من الشعراء العشاق هوى ابنة عمه فخطبها ولكنه لم يوفق في خطبته، الأمر الذي سبب في هجرته من الأفلاج تاركاً أهله وعشيرته فقضى حياته في لوعة وأسى فاض بها شعره الرقيق الذي يكاد كله يكون محصوراً في هذه الناحية، وقد ذكر البغدادي أنه بعد هجرته من أهله رحل إلى الشام فلقي الخليفة فكلمه فأعجب به وفرض له وألحقه بالفرسان فكان يتشوق إلى نجد، ويروي صاحب الأغاني قصة أخرى تقول: إن أهل محبوبته زوجوها رجلاً آخر أرفع منه مقاماً هو عامر

(١) جمهرة الأنساب لابن الكلبي ٣٥١.

بن بشير بن أبي البراء بن مالك بن ملاعب الأسنة من كلاب، ويصفه الأصفهاني بأنه كان قصيراً قبيحاً: يقول الصمة:

فإن تنكحوها عامراً لاطلاعكم * إليه يدهدهكم برجليه عامر

وبعد زواج حبيبته وجد عليها وجداً شديداً فزوجه أهله ابنة عمه الآخر جبرة بنت وحشي بن طفيل بن قرة بن هبيرة فمكث معها يسيراً ثم رحل إلى الشام وقد قال فيها شعراً يظهر فيه أنها كانت امرأة خرقاء لا تعرف شيئاً ولا تحسن عملاً يقول:

كلي التمر حتى يصرم النخل واضفري
خطامك ما تدرين ما اليوم من أمسِ[1]

ونجد في شعره كثيراً من الأسماء مثل ريا، وأورد الهجري طيا وسلمى وليلى والعامرية وغيرها، ولعل أن اسمها ريا وأما طيا فتحريف وبقية الأسماء كنايات، أو أن الشعر نسب له وليس في الحقيقة له، والعامرية اسم يليق بريا لأنها وإياه من بني كعب بن ربيعة بن عامر، ويتجه الصمة إلى الشام تخب به الإبل ويبتعد عن محبوبته شيئاً فشيئاً ويلتفت إلى الوراء فيرى جبال نجد تغيب عنه الواحد بعد الآخر فيتنفس الصعداء ويستنشق رائحة العرار ثم ينثني يقول:

أقول لصاحبي والعيس تهوي * بنا بين المنيفة فالضمارِ
تمتع من شَميم عرار نجدٍ * فما بعد العشية من عرارِ
ألا يا حبذا نفحات نجدٍ * وريّا روضهِ بعد القطارِ
وأهلك إذا يحل الحي نجدا * وأنت على زمانك غير زارِ
شهور ينقضين وما علمنا * بأنصاف لهن ولا سرارِ

(١) الأغاني ٥/ ١٢٥.

تـقـاصر ليلهن فـخيـر لـيـل ❁ وأطيب ما يكون من النهـارِ[1]

ويقول وهو بالشام مخاطباً ريا:

فوا حسرتي لم أقض منك لبانة ❁ ولم أتـمتع بالـجوارِ وبالـقربِ
يقولون هذا آخر العهد منكم ❁ فقلت وهذا آخر العهد من قلبي
ألا يا حمام الشعب شعب مراهق ❁ سقيت الغوادي من حمام ومن شعب[2]

ويتذكر الشباب، ومصائب الزمان عنه بمنأى فيقول:

سقى الله أيامـا لـنـا ولياليـا ❁ لهن بأكناف الشباب ملاعبُ
إذِ العيش غضٌّ والزمان بغبطة ❁ وشاهد آفات الـمحبين غائبُ

ويقول مخاطباً أحد بني قشير بعد لقائه به في الشام :

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم ❁ أتـتـنا بريـّاكم فـطاب هبوبـُها
أتتنا بطيب المسك خالط عنبراً ❁ وريح الخزامى باكرتها جنوبها[3]

وللصمة القشيري قصيدة تائية جميلة أوردها أبو علي الهجري في كتابه التعليقات والنوادر وقد اخترنا منها هذه الأبيات:

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ❁ ولا جبل الأوشال إلا استهلتِ
ولا النـير إلا أسبلت وكـأنـها ❁ على ربد باتت عليـه وظـلـتِ
لـجوج إذا لـجت بكيّ إذا بكت ❁ بكت فأدقـت في البكا وأجلتِ
كما هتنت طرفاء ناشت غصونها ❁ جنوب وقد كانت من الليل طُلتِ
ألا قاتل الله الـحمى من محلة ❁ وقاتل دنيـانـا بها كيف ولـتِ
غنـينا زماننا بالحمى ثم أصبحت ❁ عراص الحمى من أهلها قد تخلتِ

(١) ويقول بعضهم إن هذه الأبيات لجعدة بن معاوية العقيلي.
(٢) الأغاني ٧/ ٣٠.
(٣) الأغاني ٥/ ١٢٥.

ونادى المنادي بالفراق فقوضوا ❁ بيوتاً ترى أطنابها حيث شدتِ
شددت بثوبي حشوة خبثت بها ❁ يد الشوق يوم البين حين احزألتِ
وقلت لأصحابي غداة فراقها ❁ وددت البحور العام بالناس طمتِ
فتنقطع الدنيا التي أصبحت بهم ❁ كمثل مصابات على الناس عمتِ
ولكنها الدنيا كفيء غمامة ❁ أظلت بغيم ساعة واضمحلتِ
فوجدي بطيا وجد أشمط راعه ❁ بواحده داعي المنايا ألمتِ
ووجدي بطيا وجد بكر غريرة ❁ على والديها فارقاها فجُنتِ
ووجدي بطيا وجد هيماء حليت ❁ عن الماء كانت منذ خمسين ضلتِ
إذا سافت الأعطان أو شمّت الثرى ❁ رماها ولي الماء عنه فولتِ
وإن أشرفت من آكم الماء ميفعا ❁ لوت رجلها اليسرى بالاخرى فحنتِ
فحنت حنيناً يطرب الصب ذا الهوى ❁ وقد نهلت منه بيأس وعلتِ
خليلي في طيا أعينا أخاكما ❁ فقد بخلت طيا علينا وضنتِ
قطعت بطيا الهم والفقر والغنى ❁ وطيا مُنى نفسي إذا ما تمنتِ
وطيا أروج الجيب مهضومة الحشا ❁ كمزنة صيف هجرت فاستهلتِ
إذا جلست بين الغواني عشية ❁ على أي حال عاطلا أو تحلتِ
سمت نحوها الأبصار أول وهلة ❁ بَديا وعادت نحوها فتثنتِ[1]

وله قصيدة من أروع ما قال أوردها متفرقة كثير من المؤلفين القدماء، كل منهم يذكر عدة أبيات وقد جمعها الشيخ عبد العزيز الميمني في كتابه الطرائف الأدبية وهي قصيدة اتسمت بالطول والسيرورة على ألسنة الأدباء وهواة الشعر لما فيها من جمال التصوير وصدق العاطفة يقول منها:

خليلي عوجا منكما اليوم أودعا ❁ نحيي رسوما بالقبية بلقعا
أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت ❁ عليها رياح الصف بدءاً ورجعا

(١) التعليقات والنوادر ٢٦ – ٢٨.

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ❁ عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
ولم أر مثل العامرية قبلها ❁ ولا بعدها يوم ارتحلنا مودعا
تريك غداة البين مقلة شادنٍ ❁ وجيد غزال في القلادة أتلعا
فما كلمتني غير نزر وإنما ❁ ترقرقت العينان منها لتدمعا
أما وجلال الله لو تذكرينني ❁ كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكراً لو أنه ❁ يصبّ على صم الصفا لتصدعا
كأنك بدع لم تر البين قبلها ❁ ولم تك بالآلاف قبل مفجعا
أتبكي على ريّا ونفسك باعدت ❁ مزارك من ريّا وشعباكما معا

إلى أن يقول في نجد وساكنيه:

قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى ❁ وقلّ لنجد عندنا أن تودعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا ❁ وما أحسن المصطاف والمتربعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ❁ على كبدي من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع ❁ عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا
وسرب بدت لي فيه بيض نواهدٌ ❁ إذا سمتهن الوصل أمسين قطّعا
فقلت سقى الله الحمى ديَم الحيا ❁ فقلن سقاك الله بالسم منقعا
فقلن أراك الله إن كنت كاذباً ❁ بنانك من يمنى ذراعيك أقطعا
سلام على الدنيا فما هي راحة ❁ إذا لم يكن شملي وشملكم معا
لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها ❁ بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
لعمري قد نادى منادي فراقنا ❁ بتشتيتنا في كل وادٍ فأسمعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما ❁ حرام على الأيام أن نتجمعا

(١) الطرائف الأدبية ٧٧.

٤- مصعب بن الطفيل القشيري:

هو مصعب بن الطفيل القشيري، شاعر إسلامي مقل تزوج امرأة اسمها عالية من أهل أكمة القرية المعروفة التي يمتلكها بنو جعدة وقد طلقها فندم فقال:

أما تنسيك عالية الليالي ❊ وإن بعدت ولا ما تستفيدُ
إذا ما أهل أكمة ذدت عنهم ❊ قلوصي ذادهم ما لا أذودُ
قوافٍ كالجهام مشرداتٍ ❊ تطالع أهل أكمة لا بعيدُ

ويقول متذكراً زوجته وديارها في أكمة:

كأني لجعدي إذا كان أهلُه ❊ بأكْمَة من دون الرفاق خليلُ
فإن التفافي نحو أكمة كلما ❊ غدا الشرق في أعلامها لطويلُ(١)

وهو القائل أيضاً:

ألا حبذا يا خير أطلال دمنة ❊ بحيث سقى ذات السلام رقيبُها
إذا العين لم تبرح ترى من مكانها ❊ منازل قفر نازعتها جنُوبها
بناصفة العمقين أو برقة اللوى ❊ على النأي والهجران شبّ شبوبُها
بكى لي خلان الصفاء ومسني ❊ بلوم رجال لم تقطع قلوبُها(٢)

٥- حبيب بن يزيد القشيري:

هو شاعر إسلامي مقل وأكثر شعره في محبوبته وقد ردد اسمها كثيراً يقول:

أراني من جُمل كراجي مخيلة ❊ حياها لقوم نازحين حروبُ
فوجدي بجُمل وجد ذاك ببارق ❊ مخيل تلفته صبا وجنوبُ

(١) معجم البلدان ١/ ٢٤١.
(٢) معجم البلدان ١/ ٣٩٨.

يرى برقها يـأتج والـليل مظلم ❁ فشب إلـيه مـن هواه شـبـوبُ[1]

وقد أورد أبو علي الهجري له قصائد عديدة منها التي مطلعها:

إني بليت بجمل وهي نـاشئـة ❁ ثم ابـتليت بجـمل أم صبـيانِ

ومنها قوله في معشوقته جُمل ويصف حاله مع الناس تجاهها:

كتمت هوى جمل ليخفى فبينت ❁ به للعدا عين سـريع سـجومهـا

كشـنـةٍ ملتاح إذا الـمـاء بلها ❁ أرشت بمـا فيـها عليه هزومها

رعى طرفَها الواشون حتى تبينوا ❁ هواها وقد يقضي على النفس شومها

ومن يبتدئ في الوصل أكرم شيمة ❁ يـكون من الأخلاق ثم يـديمها

إذا ما العصا كانت على كل صرعة ❁ تزيد اعوجاجا مل منها مقيمها[2]

٦- نوال بن الثغاء:

هو نوال بن الثغاء اللبيني القشيري (وقيل نوار)، شاعر إسلامي مقل كثير الهجاء سليط اللسان ومن شعره مخاطباً بني جعدة بعد يوم أكمة وانتصار قشير على جعدة يقول:

بـأكمة يوم لا تـغور نـجومه ❁ عظيم أشاب الرأس من كل موضع

نعاتبكم يا جعد في ذات بيننا ❁ وليس عتاباً فيك يا جعد ينفعُ

بطعن كأفواه المزاد على الكلى ❁ يـرد نـجيعـاً من دم يتـطلعُ

ورمي يصيب القوم في حدقاتهم ❁ على كل شريان بها الضيمُ يدفعُ

٧- الأقرع بن معاذ القشيري:

هو الأشيم بن معاذ بن سنان القشيري لقب بالأقرع لأنه قال في

---

(١) التعليقات والنوادر ٢٦.

(٢) التعليقات والنوادر١٩٧. وتروى بعض الأبيات لمريزيق.

(٣) التعليقات والنوادر ٨٢. ولا يخفى ما في الأبيات من إقواء.

هجاء بني معاوية من قشير:

معاوي من يرقيكم إن أصابكم ❁ شباحية مما غذا القف أقرع

وهو شاعر أموي عاش في زمن هشام بن عبد الملك، وشعره من أجود شعر قشير يقول في الغزل:

سلام على من لا يملّ كلامه ❁ وإن عاشرته النفس عصراً إلى عصر
فما الشمس وافت يوم دجن فأشرقت ❁ ولا البدر وافى أسعداً ليلة البدر
بأحسن منها أو تزيد ملاحة ❁ على ذاك أو راءى المحب فما أدري[1]

وله شعر كثير في المدح والفخر والرثاء.... يقول مفتخراً بنفسه وجده عامر بن سلمة بن قشير:

خلقت من الأشراف من آل عامر ❁ كموقع أم الرأس فيه المسامعُ
فما طمع الأعداء مني بعثرة ❁ ولا دنستني عند ذاك المطامعُ
وإني على جودي أعين سماحتي ❁ بمنع إذا ما قيل هل أنت مانعُ

ويقول في مدح ابنة رباط بن الأقرع:

رأيت رباطا حين تم شبابه ❁ وولى شبابي ليس في برة عتبُ
إذا كان أولاد الرجال حزازة ❁ فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ
لنا جانب منه دميث وجانب ❁ ثقيل على الأعداء مركبه صعبُ
يخبرني عما سألت بهين ❁ من القول لا جافي الكلام ولا لغبُ
سريع إلى الأضياف في ليلة الطوى ❁ إذا اجتمع الشفان والبلد الجدبُ
وتأخذه عند المكارم هزة ❁ كما اهتز تحت البارح الفنن الرطبُ[2]

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٤١٠.
(٢) الأمالي ٢/ ٣ بزيادة رواية ابن الأنباري.

ويقول مفتخراً:

إن لنا صرمة تلفى مخسسة * فيها معاد وفي أربابها كرمُ
تسلف الجار شرباً وهي صائمة * ولا يبيت على أعناقها قسمُ
ولا تسفّه عند الحوض عطشتها * أحلامنا وشريب السوء يحتدمُ[1]

وللأقرع شعر رقيق مليء بالوجدان متدفق بالشعور واستمع إليه يقول:

أقول لمفتٍ ذات يوم لقيته * بمكة والأنضاء ملقى رحالُها
بحقك أخبرني أما تأثّم التي * أضر بجسمي منذ مر خيالُها
فقال بلى والله أو سيصيبُها * من الله بلوى في الزمان تنالُها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع إلى جيب القميص انهمالُها
عفا الله عنها كل ذنب ولقّيت * مناها وإن كانت قليلا نوالُها[2]

ويقول في الحنين إلى الأوطان وتذكّر أيام الصبا والشباب بها وقد هيجه وميض برق على نجد:

حي المنازل بين حمة فاللوى * إن كنت مشتغلا بهن عميدا
يا برق حمة ما فعلت على البلى * لا زلت يصحبك الغمام سديدا
فلئن بكيت لأبكينّ صبابة * ولأن صبرت لأصبرنّ جليدا

وقد نشر شعره الدكتور نوري القيسي.

٨- بهيج بن سرور القشيري:

هو بهيج بن سرور بن عطي العبيدي، وعبيدة من معاوية بن قشير، وهو شاعر جاهلي مقل أورده أبو علي الهجري في التعليقات والنوادر قصيدة بائية منها:

---

(١) الحماسة ٥٦٩.
(٢) المستطرف ٢/ ١٨٢.

لعمري قد هاجت هواك حمامة ❊ تغنت على خضراء جثل عسيبُها
نفى السيل عنها الدمن حتى كأنها ❊ بوعساء رمل مال عنها كثيبُها
تغني عليها بالعشي وبالضحى ❊ مطوقة أزرى بجسمي نحيبُها
كأني وإياها اصطبحنا مدامة ❊ معتقة في الدن مُزّا حبيبُها
أصابك سهم صائب الحين قاصد ❊ بما هجت أحزاناً طويلاً نشوبها
وسفهت عقلي بعدما نؤت بالعصا ❊ قياماً وخلي صدق نفسي كذوبها
وصرت أرى أشياء كانت عجيبة ❊ إليّ فلا يحلى بعيني عجيبها[1]

٩- مريزيق الغواني:

هو مريزيق بن صالح اللبيني القشيري، شاعر إسلامي مقل تردد اسم محبوبته سعدى في أكثر شعره يقول:

جزى الله سعدى من خليل ملامة ❊ كما راح راجي نَيل سعد مخيّبا
تبينت من سعدى الحريمة بعدما ❊ ثبت زمانا طامعاً أن أثوبا
فأصبحت من أديانها مثل قابض ❊ على الماء أو راج من الآل مشربا
وكنت كذي مال عكاف وصبية ❊ مضى عنه أنواء الربيع وأجدبا
يرى بارقا يختص أعجب أرضه ❊ إليه فلما بات بالبرق معجبا
أتاه خبير كان يعلم أنه ❊ ضنين وهذا البرق قد كان خُلّبا

١٠- الفارعة بنت معاوية القشيرية:

هي شاعرة من شواعر بني قشير في الجاهلية كانت تساند بني كعب بشعرها في يوم النسار ضد بني سعد والرباب من بني كلاب، وقد قالت شعراً بينت فيه هروب بني كلاب وكذبت إرجاف من قال إن بني كعب أدبروا مفتخرة ببني كعب بن ربيعة ومظهرة مثالب الأعداء تقول:

منا فوارس قاتلوا عن سبْيهم ❊ يوم النساء وليس منا أشطرُ

(١) التعليقات والنوادر ٢٠٩.

ولبئس ما نصر العشيرة ذو لحى ⁂ وخفيف نافجة بليلٍ مسهرُ
زعمت بزوخ بني كلاب أنهم ⁂ منعوا النساء وأن كعباً أدبروا
كذبت بزوخ بني كلاب إنها ⁂ تمشي الضراء وبولُها يتقطرُ
حاشى بني المجنون إن أباهم ⁂ صاتٍ إذا سطع الغبار الأكدرُ

وتقول في رثاء قدامة بن عبد الله القشيري «الذائد» وفرار بني كلاب:

شفى الله نفسي من معشر ⁂ أضاعوا قدامة يوم النسارْ
أضاعوا به غير رعديدة ⁂ كريم الصباح بعيد المزارْ
ينبيّ الفوارس عن رمحه ⁂ بطعن كأفواه كعب المهارْ
وفرت كلاب على وجهها ⁂ خلا جعفر قبل وجه النهارْ[1]

١١- زينب بنت الطثرية:

هي زينب بنت سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير، شاعرة أموية والطثرية اسم أمها اشتهرت بذلك هي وأخوها يزيد، ولها قصيدة جيدة في رثائه تقول:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ⁂ مقيما وقد غالت يزيد غوائلُه
فتى قُدَّ قَدَّ السيف لا متضائل ⁂ ولا رهل لباته وبآدله
إذا نزل الأضياف كان عذوّرا ⁂ على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثناه دريس مفاضة ⁂ وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يروي المشرفي بكفه ⁂ ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
كريم إذا لاقيته متبسما ⁂ وإما تولى أشعث الرأس جافله
إذا القوم أموا بيته فهو عامد ⁂ لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازريه يرعدان وناره ⁂ عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره ⁂ بصيراً بها لم تعد عنها مشاغله[2]

---

(١) بلاغات النساء لأحمد بن طاهر ١٧٩.
(٢) الحماسة ٢٩٧.

١٢- يزيد بن الطثرية:

هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والطثرية أمه فاشتهر بها فقيل هي من طَثَر من جرم حي من اليمن، وقيل هذا لقبها وسميت بذلك لأنها تخرج الطثرة من اللبن أي «الزبدة» وجُلّ شعره في الغزل، وحياة يزيد يغلب عليها اللهو والعبث ومحادثة النساء مع ما فيه من كرم وشجاعة وذات مرة أقبل على مجلس نساء فقال:

سلام عليكنّ الغداة فمالنا ※ إليكن إلا أن تشأن سبيلُ

فخاطبته واحدة منهن وقالت من أنت؟ فقال:

أنا الهائمُ الصبّ الذي قاده الهوى ※ إليك فأمسى في حبالك مسلما
برته دواعي الحب حتى تركنه ※ سقيماً ولم يتركن لحما ولا دما

ومما يدل على كرمه أنه ذات يوم كان سائراً مع إبل أخيه ثور بعد أن شربت، وبينما هو سائر إذ مر على نسوة في خباء فقلن: يا يزيد أطعمنا لحماً فقال لهن: أعطينني سكيناً فأعطينه السكين فعمد إلى واحدة من إبل أخيه فذبحها للنسوة وعندما علم ثور بذلك غضب وشتم يزيد فرد عليه يزيد بقصيدة مطلعها:

يا ثور لا تشتمنْ عرضي فداك أبي ※ فإنما الشتم للقوم العواوير

ولكثرة كرمه وإفراطه في ذلك ركبته الديون وتعب أخوه من قضائها فأدخل سجن العقيق « وادي الدواسر » بسبب ذلك الدين، وبعد مدة من الزمن طلب الدخول على أمير العقيق عقبة بن شريك الحرشي وكان تابعاً لأمير اليمامة في ذلك العهد المهاجر بن عبد الله الكلابي فدخل فقال:

ياعقب قد شذب اللحاء عن العصا ❁ عني وكنت مؤزرا محمودا
صل لي جناحي واتخذني عدة ❁ ترمي بها المتعاشي الصنديدا[1]

وبعد سماع الأمير لهذين البيتين أخرجه من سجنه وقضى عنه دينه، وقد كان مدينا لرجل اسمه البربري مولى أمير العقيق عقبة ولهذا سجن يزيد في العقيق، وقد كان يزيد شجاعاً ويدل على ذلك موقفه في يوم الفلج مع بني حنيفة وهو حامل اللواء في ذلك اليوم لكنه قتل فيه وكان ذلك سنة ١٢٦هـ، ويزيد من الشعراء المقلين بالنسبة لشعراء الدولة الأموية عامة ومن المكثرين بالنسبة لشعراء بني كعب بن ربيعة، وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة[1]، أما مسكنه فقد قال الأصفهاني إنه بناحية صداء المعروفة[2]، قلتُ: فلعله كان يسكن المذارع أو القاع لأنهما لبني قشير وبالقرب من صداء كذلك كما عرفت في فصل المعالم الأثرية، ومن شعره أبيات وردت في جميع الكتب الأدبية الكبرى وقليل منهم نسبها لكثيّر عزة تقول الأبيات:

ولما قضينا من منىً كل حاجةٍ ❁ ومسّح بالأركان من هو ماسحُ
وشدت على هدب المهارى رحالنا ❁ ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ❁ وسالت بأعناق المطي الأباطحُ

ومن قصائده التي يتذكر فيها شبابه وحياته الأولى التي أنعمت عليه بالوصال وأغدقت عليه لقاءات الأحبة يقول:

أمسى الشباب مودعاً محموداً ❁ والشيب مؤتنف المحل جديدا
وتغير البيض الكواعب بعدما ❁ حملتُهن مواثقا وعهودا

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٦٩.
(٢) الأغاني ٧/ ١٣١.
(٣) الأغاني ٨/ ١٦٨ والكامل ٢/ ٥٢٣.

يرعينَ عهدك في الرضا ويصنّه ❁ فإذا غضبنَ حسبتهنَ حديدا
قد كنت أحسبني مطيعا صرمها ❁ جلدا فكلفني البعاد صعودا
ربَّ المعارج إن قضيت فراقها ❁ فاجعل يزيد على الفراق جليدا
عهدي بها زمن الجميع برامة ❁ شنباء طيبة اللثام برودا
نازعتها غنم الصبا إن الصبا ❁ قد كان مني للكواعب عيدا
بكرت نوار تجدّ باقية القوى ❁ يوم الفراق وتخلفُ الموعودا
ولَربَّ أمر هوى يكون ندامة ❁ وسبيل مكرهة يكون رشيدا[1]

ويقول من قصيدة طويلة تحدث فيها عن نجد وطيب هوائها وقد ظهر فيها شدة وجده وعظيم حزنه ومنها:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ❁ لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى ❁ على فنن غض النبات من الرندِ
بكيت كما يبكي الحزين صبابة ❁ وذبت من الحزن المبرح والجهد[2]

ومن أجود ما قال هذه الأبيات:

كيف العزاء وأنت أومق من مشى ❁ والنفس معولة ودارك نائية
بيديك قتلي إن أردت منيتي ❁ وشفاء نفسي إن أردت شفائيه
ولقد عرضت فما أويت لمدنف ❁ ما النفس عنك وإن نأيت بسالية[3]

ويقول أيضاً

ألا حبذا البيت الذي أنا هاجره ❁ وإني بتلماح من الطرف ناظره
لهنّك من بيت إليّ لمونق ❁ وآنق في عيني من البيت عامره
أصد حياء أن يلج بي الهوى ❁ وأنت المنى لولا عدوٌ أحاذره

---

(١) حماسة ابن الشجري ١٥٩.
(٢) ذيل الأمالي ١٠٣- والأغاني ٥/ ٢٣٤.
(٣) وفيات الأعيان ٦/ ٣٦٧.

وفيك حبيب النفس لو نستطيعه ❁ لمات الهوى والشوق حين نجاوره
فإن يكن الأعداء أحموا كلامه ❁ علينا فلما تحم عنا مناظره
أتهجر بيتاً في الحجاز تلعبت ❁ به الحرب والأعداء أم أنت زائره
فإن آته لا أنج إلا بظنه ❁ وإن يأته غيري تُنط بي جرائره
ومستخبر عنها ليعلم ما الذي ❁ لها في فؤادي وَدَّ أني أحاوره
تركت على عمياء ظن ولم أكن ❁ إذا ما وشى الواشي بليلى أناظره
بنفسي من لابد أني هاجره ❁ ومن أنا في الميسور والعسر ذاكره
ومن قد رماه الناس بي فاتقاهم ❁ ببغضيَ إلا ما تجنّ ضمائره

ثالثاً: شعراء بني عقيل:

١- القحيف العقيلي:

هو القحيف بن حميّر بن سليم الندى بن عبد الله بن عوف بن حزن بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو شاعر مفلق مجيد عاش في زمن الدولة الأموية وقد يكون أدرك بداية العباسية، وأغلب شعره في الحماسة والرثاء، اشترك مع بني كعب في يوم الفلج وسجّل بعض الأحداث في شعره، عدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة العاشرة، وقد جمع شعره الدكتوران نوري القيسي وحاتم الضامن في الجزء الرابع من «شعراء أمويون» وقد كان في مطلع شبابه يسكن قرية الروقية الأثرية في وادي أكمة التي تحدثنا عنها في فصل المعالم والآثار وقد كان يتردد إلى شعب من الشعاب القريبة من الروقية يخلو بنفسه فيه فسمى الشعب «شعب القحيف» ولا تزال هذه التسمية باقية إلى اليوم والشعب معروف عند الناس.

وكما قلت فإن شعره قوي التراكيب متراص الجمل ألفاظه منتقاة وبلاغته واضحة إذا سمعه الجاهل ظن أنه يحسن مثله وما هو منه بقريب.

(١) الأغاني ٧/ ١١٧.

وقد سجّل أحداث يوم الفلج شعراً فاستمع إليه يقول:

لقد جمع المهير لنا فقلنا ❁ أتحسبنا تروعنا الجموع

سترهبنا حنيفة أن رأتنا ❁ وفي أيمانِنا البيض اللموعُ

عقيل تعتزي وبنو قشير ❁ تواري عن سواعدها الدروعُ

وجعدة والحريش ليوث غاب ❁ لهم في كل معركة صريعُ

فنعم القوم في اللَزبَات قومي ❁ بنو كعب إذا جحد الربيعُ

فمهلاً يا مهير فأنت عبدٌ ❁ لكعب سامعٌ لهمُ مطيعُ[1]

ومن شعره قوله:

لقد لقيت أفناء بكر بن وائل ❁ وهزان بالبطحاء ضرباً غَشمشَما

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ❁ هتكنا حجاب الشمس أو قطّرت دما

يقول النقاد إن بشاراً سرق البيت الأخير وأصله للقحيف العقيلي.

ومن شعره قصيدة كالواسطة من العقد يقول فيها:

بدأنا فقلنا أثأب البحر واكتست ❁ أسافله حتى ارجحن وأودا

أم التين في قريانه تم نبته ❁ خضيداً ولولا لينه ما تخضدا

أم النخل في وادي القرى انحرفت له ❁ يمانية هز القنا فتأودا

سقى فلج الأفلاج من كل قمة ❁ ذهاب ترويه دماثا وقوّدا

به نجد الصيد الغريب ومنظراً ❁ أنيقا ورخْصات الأنامل خرّدا

نظرت خلال الشمس من مشرق الضحى ❁ وأوفيت من كتمان ركنا عطوّدا

بعينين لم تستكرها يوم غبرة ❁ ولم يهبطا جوف العراق فترمُدا

إلى ظعن للمالكيات بالضحى ❁ فيالك مرأىً ما أشاق وأبعدا

فيا عجب مني ومن طارق الكرى ❁ إذا منع العين الرقاد وسهّدا

---

(١) الأغاني ٢٠/ ١٤٢.

متى ما تحط خبراً بنا يا ابن عاصم ❁ تجد لي رجالاً من بني العم حسّدا
وما كان لي ذنب إليهم جنيته ❁ سوى أن لي ذكراً أغار وأنجدا

ويقول في رثاء يزيد بن الطثرية:

ألا تبكي سراة بني قشير ❁ على صنديدها وعلى فتاها
فإن يقتل يزيد فقد قتلنا ❁ سراتهم الكهول على لحاها
أبا المكشوح بعدك من يحامي ❁ ومن يزجي المطي على وجاها[1]

وهو القائل في يوم أكمة:

سلوا فلج الأفلاج عنا وعنكم ❁ وأكمة إذ سالت سراتها دما
عشية لو شئنا سبينا نساءكم ❁ ولكن صفحنا عزة وتكرما
عشية جاءت من عقيل عصابة ❁ تقدم من أبطالها مَنْ تقدما

٢- مزاحم العقيلي:

هو مزاحم بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة، كان له ابنة عم يحبها اسمها ليلى، وقيل إن اسمها مية فجاء أغلب شعره في الغزل والصبابة والوجد، مع أن له شعراً في المدح ووصف الخيل، وهو شاعر أموي توفي بعد سنة ٩٠هـ بقليل، كان معاصراً لجرير والفرزدق ولقيس بن الملوح المجنون، وبينهما صراع على ليلى بنت مهدي الحرشية معشوقة قيس، فقد أراد مزاحم أن يتزوجها فخطبها من أبيها ولكنّ أباها كان يماطله لأنه كان فقيراً مملقاً فقال فيها أكثر شعره.. يقول جرير فيه: «كان مزاحم يقول حوشياً من الشعر لا يستطيع أحد أن يقول مثله»[2]، ويقول جرير في شعره: وددت أني قلت بيتي مزاحم العقيلي ولم أقل شيئاً من الشعر وهما:

(١) معجم البلدان (فَلَج) وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩١.
(٢) الأغاني١٧/ ١٥٢.

وددت على ما كان من سرف الهوى ❁ وغر الأماني أن ما شئت أفعل
فترجع أيام تقضت وعيشة ❁ تولت وهل يثنى من الدهر أولُ[1]

وورد هذان البيتان في الأغاني هكذا:

وددت على ما كان من سرف الهوى ❁ وغي الأماني أن ما شئت يفعلُ
فترجع أيام مضين ولذة ❁ تولت وهل يثنى من العيش أولُ[2]

ومن شعره قوله:

وما برح الواشون حتى ارتموا بنا ❁ وحتى قلوب عن قلوب صوادفُ
وحتى رأينا أحسن الوصل بيننا ❁ مساكتة لا يقرف الشر قارف[3]

وقد نشرت مجلة معهد المخطوطات بمصر شعر مزاحم محققاً ومجموعاً قام به الدكتور نوري القيسي وحاتم صالح الضامن.

٣- يزيد بن الصقيل العقيلي:

شاعر عقيلي امتهن الصعلكة في الجاهلية فكان يسرق الإبل وينهب الأموال ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه وقُتل في سبيل الله ومن شعره قوله:

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا ❁ فقد تاب مما تعملون يزيد
وأن امرأً ينجو من النار بعدما ❁ تزود من أعمالها لسعيد

ويقول:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ❁ حميمك فاعلم أنها ستعود[4]

(١) المصون في الأدب ٢٤.
(٢) الأغاني ١٧/ ١٥٠.
(٣) الحماسة ٤٣٢.
(٤) الكامل في اللغة ١/ ٦١.

٤- توبة بن الحميّر العقيلي:

هو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة شاعر أموي وأحد عشاق العرب المتيمين، امتهن الصعلكة في بداية أمره وقد كان يركّز في غاراته على همدان وبني الحارث بن كعب، مع أن بينهم وبين موطنه مفاوز.

تعشق توبة ليلى الأخيلية فخطبها فرده أبوها وزوجها لرجل من بني الأدلع ثم طلقها فتزوجت من سوار بن أوفى القشيري وقد قُتل توبة في أحد حروب بني عقيل في العقيق وذلك سنة ٨٠هـ تقريباً.

يقول في ليلى:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ❁ عليّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا ❁ إليها صدى من جانب القبر صائحُ(١)

وروى أبو بكر الأصفهاني لتوبة في كتاب الزهرة هذه الأبيات:

كأن القلب ليلة قيل يُغدى ❁ بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة عزها شرك فباتت ❁ تنازعه وقد علقَ الجناحُ
فلا في الليل نامت واطمأنت ❁ ولا في الصبح كان لها براحُ

ويقول متشوقاً إلى ليلى:

نأتك بليلى دارها لا تزورها ❁ وشطت نواها واستمر مريرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما ❁ أتت حجج من دونها وشهورها
حمامة بطن الواديين ترنمي ❁ سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشكُ ناعماً ❁ ولا زلتِ في خضراء عالٍ بريرها
فإن سجعت هاجت لعينك عبرة ❁ وإن زفرت هاج الهوى قرقريرها(٢)

---

(١) الحماسة ٣٩٩.
(٢) الأغاني ١١/٢٠٣.

٥- ليلى الأخيلية:

هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية الأخيل بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وقد افتخرت ليلى بقومها الأخايل من بني عقيل بن كعب، عشقها توبة بن الحميّر ولم يتوفق بالزواج منها ولكنها تزوجت رجلاً من بني الأدلع فطلقها ثم تزوجت سوار ابن أوفى القشيري فنافحت عنه يوم أن هجاه النابغة الجعدي بعد رحيلهم إلى أصبهان فهجت النابغة مثلما هجا زوجها، ولها شعرٌ اعتلت به على أشعار النساء إلا الخنساء، وكان الأصمعي يميل إلى تقديمها على الخنساء، قاله صاحب الموشح. وقد رثت عثمان بن عفان رضي الله عنه بقولها:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته ❁ وكان آمن من يمشي على ساق

خليفة الله أعطاهم وخولهم ❁ ماكان من ذهب جوم وأوراق[1]

وكانت تفد على الحجاج في العراق وعلى عبد الملك في الشام وبعد مقتل توبة دخلت على عبد الملك وقد أسنّت فقال لها ما رأى فيك توبة حين هويك؟ قالت ما رآه الناس فيك حين ولوك، فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها، وسألت الحجاج أن يحملها إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فحملها على البريد فلما انصرفت ماتت بساوة فقبرت بها[2].

وذات مرة دخلت على الحجاج فقالت له مادحة:

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة ❁ تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ❁ غلام إذا هز القناة سقاها

(١) الشعر والشعراء ٢٩١.

(٢) الشعر والشعراء ٢٩٢.

سقاها دماء المارقين وعلّها ❁ إذا جمجمت يوماً وخيفَ أذاها

فقال لها الحجاج: ما زدت على أن جعلتني غلاماً ذا نَزَق وطيش أفلا قلت: هُمام إذا هز القناة سقاها؟!

وتقول مفتخرة بقومها:

نحن الأخايل لا يزال غلامنا ❁ حتى يدب على العصا مشهورا
تبكي الرماح إذا فقدنا أكفنا ❁ جزعاً وتعرفنا الرفاق بحورا
ولنحن أوثق في صدور نسائكم ❁ منكم إذا بكر الصراخ بكورا[1]

وتقول في رثاء توبة بعد مقتله:

أعيني ألا فابكِ على ابن حمير ❁ بدمع كفيض الجدول المتفجرِ
لتبك عليه من خفاجة نسوة ❁ بماء شؤون العبرة المتحدرِ
سمعنَ بهيجاً أزحفت فذكرنَه ❁ وقد يبعث الأحزانَ طولُ التذكرِ
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ❁ بنجد ولم يطلع مع المتغورِ
ألا رب مكروب أجبت وخائفٍ ❁ أجرتَ ومعروف لديك ومنكرِ
فيا توبُ للمولى ويا توبُ للندى ❁ ويا توبُ للمستنبح المتنورِ[1]

وشعرها متفرق في كتب الأدب الكبرى حتى جمعه أخيراً خليل العطية وجليل العطية في كتاب.

إن ما قدمناه لك يمثل جزءاً يسيراً من شعر بني كعب بن ربيعة الذين سكنوا الأفلاج في العصر الجاهلي وما بعده إلى عصر اتساع الفتوحات الإسلامية ورحيل الناس من هذه الديار وما جاورها إلى حواضر الدولة الإسلامية كالمدينة ودمشق وبغداد وبلاد فارس.

---

(١) الحماسة ٥٢٦.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٣١.

ولقد رأيت أنه يغلب على شعرهم الغزل العفيف المتحفظ، وهو كثير لديهم، يليه في المرتبة الثانية شعر التفاخر وإظهار مناقب القوم ومثالب الأعداء ووصف الحروب والأيام ورثاء الموتى. ولقد ذكرنا بعض من نشأ في الأفلاج حتى وإن هاجر في حياته إلى فارس أو أصبهان أو بغداد أو الشام وجعلناه من شعراء المنطقة لذا فإنك تلحظ أن جلّهم أمويون تقريباً، أما من نشأ في غير الأفلاج حيث هاجر إلى مكان مولده آباؤه وأهله فلم نذكره حتى وإن كان جعدياً أو قشيرياً وقد ذكرنا في الحديث عن قبائل الأفلاج أماكن هجرتهم واستقرارهم بعد الرحيل من الأفلاج. وفي العصر العباسي بأطواره لا نشك في وجود شعراء في منطقة الأفلاج غير المذكورين ولكن مشغلَ الناس «المتنبي» ومن قبله ومن بعده سلبوا عقول الناس فالتفتوا إليهم بالتأليف والنقد، ولا نعلم فيما وصل إلينا وما بين أيدينا شاعراً في القرن الخامس أو السادس أو السابع الهجري عاش في منطقة الأفلاج وتغنى بها يستحق الذكر، لأن من له شعر جيد سينتقل إلى ديار الخلفاء والولاة، ثم إن بُعد المنطقة عن الأدباء والرواة والكتبة والحركة الأدبية كل ذلك من أسباب قلة الشعر المكتوب وندرته وبالتالي ضياعه بعد موت صاحبه.

وفي القرن السابع وما بعده خصوصاً في عهد دولة الأيوبيين والمماليك ثم العثمانية ضعف الشعر وفسدت الأذواق وانتشرت اللهجات العامية في كل الأقطار فأصبح للشعر الشعبي رجال وأنصار، حتى تمكن من الناس في القرن العاشر وما بعده إلى عصر النهضة الحديثة في الوطن العربي بداية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

ولا أحد ينكر أهمية الشعر الشعبي التأريخية فهو ديوان أمة به نعرف أحداثها وواقعها وحياتها بأجمعها وأنه أجمل ما يكون الأصحاب والسّمّار يتناشدونه فيما بينهم وقد يحفظ ويكتب من أجل هذه الأغراض.

ونحن في هذا الكتاب أخذنا ما فيه من أحداث ووقائع تأريخية وجعلناه دليلاً لنا على عصر مضى، زد على ذلك أنه لا يقارن بالشعر الفصيح على الإطلاق، وانطلاقاً من تلك الأمور لم نذكر الشعر الشعبي في القرون الماضية حتى عصر النهضة.

وبعد انتشار العلم وكثرة المدارس تعلّم الناس اللغة الرفيعة وتذوقوا الأدب القديم فظهر في المنطقة شعراء مجيدون يصل شعرهم المراتب العليا من الشعر الفصيح في هذا العصر المفعم بالعلم والثقافة والحفظ ولو ذكرناه لطال بنا المقام واتسع الموضوع واستحق كتاباً مستقلاً.

وقد تنبه الناس للكتابة والتسجيل وحفظ ما يبدعونه فنأمل من شعراء المنطقة العصريين المسارعة لإخراج أدبهم وشعرهم حتى يكون قريباً من أيدي هواة الأدب والمثقفين ومن يريدون جمع الشعر أو دراسته دراسة نقدية فاحصة، ولكي يتخذ مكاناً أعلى من الساحة في البلاد السعودية المزهرة.

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية والتجارية

لقد عاشت قبائل بني كعب بن ربيعة في منطقة الأفلاج في العصر الجاهلي وما بعده وكانت حياتهم الاجتماعية كحياة قبائل العرب الأخرى ففيهم الحروب والسلب والنهب، ولقد قامت حروب وأيام بين قبائل بني كعب وغيرها، من قبائل العرب وقد عرفت ذلك خلال حديثنا عن الأدب في ذلك الزمان، لذا أقاموا القلاع والحصون على أرض المنطقة حماية لهم ولممتلكاتهم من سطو العدو، وفيهم الكرم والعزة والسيادة والنجدة وحماية المستجير وإغاثة الملهوف يشهد على ذلك تأريخهم الحافل بين قبائل العرب، وكفى بسيرة سيد الكرم عبد الله بن جعدة شاهداً على ذلك. وفيهم غير ما ذكر من الخصال والعادات والطباع منها الحميد ومنها الذميم التي قام عليها المجتمع الجاهلي في الجزيرة إلى أن جاء الإسلام وهذبها وجعلها موافقة للتشريع.

وهكذا سارت الأيام ببني كعب في منطقة الأفلاج إلى أن ارتحلوا أفواجاً إلى الحواضر الإسلامية وبلاد الفتوحات، ولم تتغير الحياة كثيراً بعد رحيلهم ولكي تتضح الصورة الاجتماعية أكثر نسوق إليك أيها القارئ الكريم ما كتبه الرحالة الفارسي الشهير ناصر خسرو[1] عن الأفلاج في منتصف القرن الخامس الهجري فاستمع إليه يقول:

---

(١) ناصر خسرو: رحّالة فارسي، ولد سنة ٣٩٤هـ وجاب كثيراً من مناطق الجزيرة العربية، إسماعيلي المذهب، وله كتاب في الرحلات يسمى: «سفر نامه».

«ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ وتقع فَلَج هذه وسط البادية وهي ناحية كبيرة ولكنها خربت بالتعصب، وكان العمران حين زرناها قاصراً على نصف فرسخ في ميل عرضا وفي هذه المسافة أربع عشرة قلعة للصوص والمفسدين والجهلة وهي مقسمة بين حزبين بينهما خصومة وعداوة دائمة وقد قالوا: نحن من أصحاب الرقيم[1] الذين ذكروا في القرآن الكريم، وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك، وزراعتهم قليلة وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلة يخبزها أرغفة، ولا يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية كما في رمضان ويأكلون التمر أثناء النهار، وقد رأيت هناك تمراً طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها، والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء ومع فقرهم فهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وهناك تمر يسمّونه «ميدون» تزن الواحدة منه عشرة دراهم ولا يزيد وزن النواة عن دانق ونصف ويقال: إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة ومعاملتهم بالذهب النيسابوري، وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها لم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب، والناس جياع وعراة وجهلاء ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب، وكان هناك مسجد نزلنا فيه وكان معي قليل من اللونين القرمزي واللازَورد. فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضعت في وسطه ورقة شجر فرأوه وتعجبوا، وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه وقالوا لي: إذا نقشت محراب هذا المسجد نعطيك مائة من تمر، ومائة من تمر عندهم شيء كثير.

---

(١) (الرقيم) هنا خطأ في الترجمة إذ الأصل الفارسي (الرسيم) وهو يعني (الرس)، وقد جاء في بعض التفاسير أن الرس هو الأفلاج كما مر معك، أما (الرقيم) فليس في جزيرة العرب.

فقد أتى - وأنا هناك - جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمر فلم يقبلوا وحاربوا وقتل من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألفُ نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً، ونقشت المحراب كما اتفقوا معي وكان لنا في المائة من التمر عون كبير إذ لم يكن ميسوراً أن نجد غذاء، ولم يكن لدينا أمل في الحياة. ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية إذ كان ينبغي للخروج منها عن أي طريق اجتياز مائتي فرسخ من الصحراء كلها مخاوف ومهالك ولم أر في الأشهر الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح في أي مكان.

وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا فإنه يحضر من اليمن إلى فَلَج حيث يباع للتجار... قال لي أعرابي أنا أحملك إلى البصرة ولم يكن معي شيء قط لأعطيه أجراً والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دينار ويباع الجمل العظيم هناك بدينارين أو ثلاثة ولكني رحلت نسيئةً إذ لم يكن معي نقود.. فقال الأعرابي: أحملك إلى البصرة على أن تأجرني ثلاثين ديناراً فقبلت مضطراً ولم أكن قد رأيت البصرة قط فوضع هذا الأعرابي كتبي على جمل أُركب عليه أخي وسرت أنا راجلاً... وتوجهنا إلى اتجاه مطلع بنات نعش (الدب الأكبر) وكان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعاً حينما كانت الأرض أشد صلابة، ومضت ليالٍ وأيام ولم يبد في أي جهة أثر لطريق إلا أنهم كانوا يسيرون بالغريزة (السمع) ومن العجب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم أي علامة) ا. هـ.

هذا ما كتبه ناصر خسرو عن منطقة الأفلاج ولا نسلّم بصحة كل ما قاله في وصف رحلته تلك ففي كلامه مبالغة وتناقضات وأهواء ونعذره لفارسيته وعدم معرفته بعادات العرب وطبيعة عيشهم في الصحراء ومسايرتهم لظروفها، ومع ذلك كله ففي الوصف تصوير عام للحياة في

ذلك الزمان – منتصف القرن الخامس الهجري – إذا أغضينا النظر عن بعض دقائق الوصف.. فالحياة غير مستقرة تماماً ومستوى المعيشة لجميع الساكنين متدنٍ وضعيف، وقد ظهر لك كثير من عاداتهم وطبائعهم من خلال حديثه. وقد زار المنطقة عدد كثير من الرحالين القدماء والمحدثين وكتبوا عنها وفي حديثهم شيء عن الحياة الاجتماعية في الأفلاج إلا أنه كان كلاماً عاماً قليلاً وآثرنا تركه لعدم فائدته ومنهم:

الباحث الغربي «وليم بلغريف» الذي زار المنطقة عام ١٢٨٢هـ، والرحالة الشهير فلبي، والرحالة الإنجليزي «ولفريد تيسيفير»، والباحث ج ج لوريمر كتب عن الأفلاج وخصوصاً ليلى في كتابه: «دليل الخليج» القسم الجغرافي الصادر عن قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، وفي حديثه بعض الأخطاء والقصور. وسارت الأيام وتقدم الزمن وكثر الجهل في البلاد وقلت الأمطار فافتقر أهل الجزيرة وخصوصاً نجد فاتجه الناس إلى الهجرة إلى الخليج وإلى العراق بحثاً عن الرزق، ومع الفقر انتشرت الأمراض وكثرت الوفيات بين الناس وخاصة الأطفال، وذلك التدهور في حالة الناس العلمية والمعيشية والصحية متفاوت الوقوع زمانًا ومكاناً فتارة يقع خفيفاً وأخرى تشتد وطأته على الناس فقد يُختطفُ الأطفال وتنبشُ القبور ويفرّ الناس بحثاً عن حياة أرفع درجة، وقد ينعم الناس في بلاد نجد كلها زمناً من الأزمان وغالباً ما يقترن ذلك بهطول الأمطار وحلول البركة في الزرع والضرع، وقد مرت سنوات عرفها أهل نجد، وخصوصاً الأفلاج واهتموا بتأريخ وقوعها لأهميتها في حياتهم صحة وسقماً ومنها:

١- في عام ١٠٧٦هـ حصل قحط عظيم وغلاء حتى أكلت الجيفُ والكلابُ وقد هلك الناس جوعاً وسميت سنة صِلهام.

٢- في عام ١١٠٠هـ حصل برد شديد جداً جمد الماء فيه أياماً كثيرة

وسميت بسنة «سليسل».

٣- في عام ١١٩٩هـ أهلك الجوعُ كثيراً من الناس فمات عدد كبير من أهل نجد وسميت بسنة «جزَام».

٤- وفي عام ١٢٠٧هـ هطلت أمطار غزيرة فعاش الناس في ربيع وخيرات وسميت بسنة «مواسي».

٥- وفي عام ١٢٢٢هـ حصل جوع عظيم وغلاء في الأسعار وسميت بسنة «حَطّاب».

٦- وفي عام ١٢٨٨ هـ إلى عام ١٢٩٥هـ حصلت مجاعة عظيمة لا توصف سميت «زمان ساحوت» أكلت فيه الجيف وخيف فيها على الأطفال من الاختطاف وكان أهل الميت يحرسون قبره أسبوعاً أو أكثر خوفاً من نبشه، وفيها فرّ معظم أهل الأفلاج إلى الخليج بحثاً عن الرزق.

٧- وفي عام ١٣٢٧هـ حصلت مجاعة دون سابقتها فلم تدم هذه إلا ستة أشهر وسميت سنة «الجوع».

٨- وفي عام ١٣٣٧هـ كثرت الوفيات وخصوصاً بين الأطفال فسماها الناس سنة الرحمة تلطفاً وتفاؤلاً، وكان معدل الوفيات في اليوم الواحد في مدينة ليلى من ١٠ - ١٥ شخصاً تقريباً ونقل ثقة عن ثقة أن الناس ذات يوم صلوا على ١٨ جنازة مجموعة في المسجد الجامع بليلى وقد أغلقت بعض الدور لخلوها من أهلها واستمر الحال على ذلك شهرين أو تزيد.. وليس ذلك خاصاً بمنطقة الأفلاج أو نجد وإنما هو عام في الجزيرة العربية، ولعل ذلك من نتائج الحرب العالمية الأولى والله أعلم.

٩- وفي عام ١٣٦٠هـ في شهر الله المحرم ارتوت الأرض من بركات السماء وعمت خيرات وفيرة وانجبر الناس فيها بعد الانكسار

واخضرت الأرض وأنبتت من كل زوج بهيج فسميت «سنة جبّار» وكان ذلك في جميع مناطق الجزيرة العربية.

١٠- وفي عام ١٣٦٠هـ في شهر ذي الحجة طغت على البلاد موجة برد عظيمة جداً أهلكت بعض الأشجار والمحاصيل وتأثر منها بعض الناس فهلك وسميت «زمان البرد» ويخطئ من يجعلها سنة ١٣٦١هـ لأن اشتداد البرد كان قبل مجيء حجاج الأفلاج إليها فقد كانوا في الطريق وكنت وقتذاك مصاحباً لهم.

١١- وفي عام ١٣٦٤هـ قدم إلى المنطقة حشرات طائرة أعظمها من الجراد، وقد جاء أفواج هائلة منها أتت على الزروع وأوراق الأشجار كلها فماتت المحاصيل وتأثرت الثمار فافتقر كثير من الناس وسميت «سنة الدِّبا» وتسمى أيضاً سنة الخريف، والجراد خصوصاً يأتي سنوياً إلى المنطقة ولكنه في تلك السنة كان أكثر وأعظم تأثيراً.

وبسبب تلك الظروف القاسية والعصور الممحلة رفع الأفلاج من شأن كل رجل غني كريم وأنزلوه منزلة عالية، ولم تخل البلاد - ولله الحمد - من أهل الجود والعطاء يوسعون على الناس معيشتهم ويغدقون عليهم الخيرات، وقد عددنا لك رجالاً كانوا أهل بذل وسخاء في هذه البلاد في سنين مختلفة ينفقون على المحتاجين تمراً وبُرّاً ولا يرجون من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً إلا المثوبة من الله تعالى وذلك هو الكرم.

ولأهل البلاد عادات وأعراف تميزوا بها عن غيرهم سيعطي الحديث عنها صورةً أشمل عن الحياة الاجتماعية في الأفلاج، وقد تحدث عنها الدكتور إبراهيم بن صالح المجادعة في كتاب «الأفلاج» ولا نريد أن نعيد الحديث عنها مرة أخرى فقد جاء حديثه وافي المعلومات دقيق الوصف[١].

(١) الأفلاج، د/ إبراهيم بن صالح المجادعة ١٢٧ وما بعدها.

أما الحياة التجارية في البلاد فقد كانت قديماً مزدهرة نشطة حيث توجد «سوق الفلج» التي كانت لها أهمية تأريخية عظمى في العصر الجاهلي، فقبائل اليمن تقدم إليها للتسوق فيها وقد وصفها الهمداني وصفاً دقيقاً يشعرك بعظمة القوم ومكانة السوق في ذلك الوقت ويقول الهمداني إن في السوق مائتين وستين بئراً ماؤها عذب وأربعمائة حانوت وتقع سوق الفَلَج على الطريق التجاري القديم المنطلق من اليمن من مينائه عدن ثم يمر بمنطقة مأرب فنجران ثم بسوق «قرية» في منطقة الفاو ثم بسوق الفلج منها إلى الخرج ثم هَجَر ثم إلى ميناء تاروت القديم على الخليج العربي أو إلى جنوب العراق، ويقال إن أهمية هذا الطريق تضاءلت بعد قرون من الازدهار لكثرة اعتماد الناس على الطرق البحرية بدلاً عن البرية خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق، وأيضاً لانتقال التجارة والبضائع القادمة من الهند باتجاه أفريقيا إلى طريق رأس الرجاء الصالح وترك مضيق باب المندب فأثر ذلك على التبادل التجاري في وسط الجزيرة العربية.

وإن أربعمائة حانوت لكفيلة بسد احتياجات أهل البلد جميعهم، وقد كانوا يتعاملون بالدرهم والدينار ولكن بعد أن سك عبد الملك بن مروان عملة نقدية للدولة الإسلامية انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية، وقد عمل من بعده مثل عمله فاختصت الدولة الإسلامية بعملة واحدة قروناً عديدة.

وقد قدم إلى شائع الصائغ – أحد صانعي الذهب في المنطقة – راشد بن عبد الله آل زنان وقال له: قد جئتك بقطعة صفراء دائرية فهل لك أن تخبرني أهي ذهب أم لا. قال الصائغ: فاختبرتها فوجدتها ذهباً خالصاً ويقول إنه وجدها في الجهة الجنوبية الشرقية للسيح.

قلتُ: وقد جاءني الصائغ يسألني عنها وعن تأريخها فوجدت مكتوباً من جهة «عمر» ومن الجهة الأخرى «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأحسبها عملة نقدية ضربت في عهد عمر بن عبد العزيز أو عمر بن شاهين والي الأيوبيين على اليمن، وقد وجُدت في ديار بني جعدة وسيوحها جنوب السيح الحالي فلعلها كانت عملة فيما بينهم في ذلك الزمن، وتغيرت العملات في عموم الجزيرة العربية في القرون القريبة الماضية فأهل الحجاز يتعاملون بقطعة فضية عندهم تسمى «مجيدي» وأهل الخليج يتعاملون بالرُّبية وأهل نجد ومنها الأفلاج يتعاملون بقطعة فضية غير خالصة يسمونها «الفرانسي» وأحياناً يقولون: «الريال الفرانسي» وجمعه «فرانسه» ويجعلونه وحدة نقدية كبرى ومكتوب على الجهة الأولى ومنها تأريخ ضربه وهو ١٧٨٠م وفي وسطه صورة طائر وعلى أطرافه كتابات مرموزة بالإنجليزية وعلى الجهة الثانية صورة ملكة تبدو كأنها رجل، والذي يظهر لنا أنه الدولار النمساوي الذي سكته الامبراطورية النمساوية، وانتشر في الجزيرة لما كان بين الدولة العثمانية والنمسا من علاقات اقتصادية وتجارية حميمة كما أن بينهما حلفاً عسكرياً قوياً، والصورة التي عليها صورة امبراطورة النمسا الملكة ماري تريزا «١٧١٧_١٧٨٠م» التي تبدو كالرجل، ولا نعلم سبب تسميته بالفرانسي عند أهل نجد، وهو يساوي ريالين ونصف من الريال العربي السعودي وقد تزيد أو تنقص، ولديهم وحدة نقدية صغرى تسمى عند أهل الأفلاج «البياز» واحدتها بيزة وهي قطعة نحاسية دائرية الشكل ومكتوب على الجهة الأولى منها باللغة العربية وبخط رديء «ضربت في مسقط ١٣١٥هـ وباللغة الانجليزية مكتوب «فيصل بن تركي سلطان عمان» ومكتوب «**ANNA** ٤/١» وهذا يعني أن البيزة عند أهل الأفلاج هي ربع «آنا» عند أهل عمان. والجهة الثانية مكتوب عليها باللغة العربية وبخط رديء

«فيصل بن تركي سلطان عمان»[1] وإذا اجتمع عندك ست بياز سميت «جديدة واحدة» والريال «الفرانسي» ٥٠ جديدة تقريباً لأنه يزيد وينقص حسب قيمته والظروف المؤثرة فيها على هذا فهو يساوي ٣٠٠ بيزة تقريباً.

وقد سكّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - عملة فضية تختص بالمملكة العربية السعودية يسمونها «العربي» أو «ريال عربي» وهو بحجم الريال المعدني الحالي مكتوب على جهته الأولى «ريال عربي سعودي واحد» ضرب في مكة المكرمة، وعلى الجهة الثانية «عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود» ملك المملكة العربية السعودية، وله نصف وربع أيضاً ولم تخرج هذه العملة إلا بعد عام ١٣٥٠هـ وبخروجها انقطعت «البياز» من مدينة الرياض فقط وبقيت الأفلاج تتعامل «بالفرانسي» و«البياز»إلى عام ١٣٧٥هـ حيث انقطعت وساد بذلك الريال العربي السعودي.. أما النقود الورقية فلم تأت إلى الأفلاج إلا في عام ١٣٧٤هـ حيث طبعت نقود ورقية من فئة عشرة ريالات لونها أبيض مشوب بالأخضر في عهد الملك عبد العزيز بعد عام ١٣٧٠هـ وبعد أربع سنين وصلت الأفلاج ثم تتابع بذلك إصدار عدد من الفئات النقدية في عهد الملك سعود - رحمه الله -، أما السلع التجارية فكثيرة جداً أهمها التمور والقمح وبعض الخضار والأقمشة والأدوات النحاسية وتسمى عند أهل الأفلاج «الصفر» كالقدور وأواني الماء والقهوة، وكثير مما يحتاجون في حياتهم اليومية والفصلية يأخذونه من الخشب أو سعف النخيل فيستطيعون تشكيل قطعة الخشب حسب حاجتهم بطريقة فنية

(١) هو فيصل بن تركي بن سعيد البوسعيدي، حكم عمان بعد أبيه من عام ١٣٠٥هـ إلى وفاته ١٣٣٢هـ، وكان لحكومته نفوذ كبير في جنوب الجزيرة وبحر العرب وقد استولى على زنجبار بأفريقيا مدة من الزمن.

مبدعة أما النخلة فقد دخلت مشتاقاتها في كثير مما يستخدمونه تقريباً، وكل ذلك كان سلعاً تجارية تباع وتشترى، وكانوا يأتون بالأقمشة من الهند والبحرين ويأتون بالأدوات النحاسية من العراق وسواحل الخليج العربي.. وفي المنطقة كثير من المهن كالحدادة وصياغة الذهب والنجارة والحياكة وفن بناء القصور والبيوت وكان القائم بذلك يسمى عندهم «الأستاد» فهم بذلك كله قد ابتكروا لأنفسهم معدات كثيرة قضوا بها حاجاتهم ووصلوا إلى مبتغاهم عن طريقها ولا عجب فالحاجة أم الاختراع.. وقد تحدث الدكتور إبراهيم المجادعة عن كثير من الآلات والأدوات التي كانت تستخدم قديماً فأجاد ولا نحب أن نعيد حديثه مرة أخرى فارجع إلى كتابه إن شئت[1]. وترتكز التجارة على الزراعة في المنطقة وخاصة زراعة النخيل، والتمور عند العرب نصف الغذاء، ولقد عرفت أن بني كعب بن ربيعة كانوا أكثر زراعة للنخيل وذلك خلال حديثنا عن المناطق الأثرية في المنطقة. وما فتئ أهل الأفلاج يهتمون بزراعة النخيل- وأهل الجزيرة العربية كلهم كذلك ما تعاقب الليل والنهار- ورعايتها والمحافظة عليها، وقد كانت منطقة السيح أكثر المناطق غرساً للنخيل منذ وجود بني جعدة على أرضها إلى اليوم، وكان أهل مدينة ليلى يعدون السيح متنزهاً لهم في الصيف حيث يذهبون إلى نخيلهم هناك ويجنون منها أطايب الثمار، ومنذ غابر الأزمان ونخيل السيح يأتيها ماؤها متدفقاً من العيون، وقد حفر بنو جعدة سواقي تنطلق من العيون باتجاه النخيل في سيح الرقادي وأطلس والزهدمي وسيح إسحاق «سويدان»، علماً أن المنطقة كانت قديماً مليئة بالسواقي المائية. وقد اهتم الناس في الماضي القريب بإيصال الماء إلى النخيل من العيون فحفروا سواقي جديدة وصنعوا نظاماً دقيقاً لتوزيع الماء على أصحاب

(١) الأفلاج، د/ إبراهيم المجادعة، صفحة ١٣٨ وما بعدها.

النخيل وإليك تفصيل ذلك كله: وصل عدد السواقي القادمة من العيون والمتجهة إلى السيح عشرة سواقي هي: موافق - الوجّاج - نبّاع- بَرَابر - السابر - المدسوس - المنجور - العويّد - سمحان - النشمي- وقد حفرت هذه السواقي في آخر القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر الهجريين، ولكل ساقية من هذه السواقي رجل قائم عليها بالإصلاح ومحاسبة المشتركين فيها كل حسب حصته من المياه وكل ساقية من هذه السواقي مقسمة أربعة عشر جزءاً وبعضها الآخر ستة عشر جزءاً والجزء الواحد يقال له وقعة، وكل وقعة تعادل اثنتي عشرة ساعة أي تساوي طول النهار أو طول الليل وبعضهم يقيس الوقعة بالأقدام فإذا تقدم الظل عشرة أقدام مثلا فهذه نصف وقعة وهكذا، أما الليل فيقيسونه بالنجوم طلوعاً واختفاء، والوقعة مقسمة ثمانية أجزاء، لذلك يكون نصف الوقعة ست ساعات وكل يأتيه الماء بقدر ما يخصه من عدد الوقعات أو أجزائها، فإذا كانت حصته من مياه الساقية تعادل نصف وقعة وجاءه الماء يوم السبت مثلاً فإنه يأتيه في اليوم نفسه الأسبوع القادم إذا كانت عدد وقعات الساقية أربع عشر أي سبعة أيام، أمّا إذا كانت الوقعات عددها ست عشرة فإن الماء يأتيه يوم الأحد الأسبوع القادم وقد يكون المزارع مشتركاً في أكثر من ساقية، ولكن نظام توزيع المياه هو نفسه بالنسبة للساقية الثانية، وإذا كانت النخيل كثيرة ولا تكفيه حصته من المياه فإنه يقوم باستئجار المياه من شخص آخر، فقد يوجد شخص له حصة من مياه الساقية لكنه ليس في حاجتها الوقت الراهن أو أن لديه فائضاً من المياه فيقوم بإعطائها لرجل آخر بمقابل، وبقي العمل بهذه السواقي إلى أن أقامت وزارة الزراعة والمياه مشروعاً على عين الرأس عام ١٤٠١هـ بهدف سقاية النخيل في منطقة السيح.

وهناك سواقٍ تتجه إلى سويدان وما حولها غير السواقي السابقة

وتسمى عند أهل البلد «الخـرز» وقد حفرت بسبب قلة ماء العيون وارتفاع أمـاكن الزراعة عن مستوى ماء العيون، وصفة حفرها أنهم يحفرون حُفراً تسمى الخرز مستطيلة الشكل تقريباً يحفرونها حتى تصل إلى مقدار متر أو متر ونصف تحت سطح الماء وعلى بعد ثمانية أمتار أو عشرة يحفرون خرزة أخرى باتجاه مكان الزراعة ثم يبدؤون الحفر من أسفل بهدف إيصال الخرزتين ببعض وهكذا في جميع الخرز وقد يغطون بعض الخرز بألواح أو نحوها، أما بقية القرى وكذلك مدينة ليلى فتعتمد على حفر الآبار وإخراج الماء عن طريق السواني المعروفة.. وتكثر زراعة النخيل في جميع القرى سواءً في ذلك ما كان منها في السهل أو الجبل. ويتنوع ثمر النخيل في الأفلاج وقد ذكر الهمداني أنواع التمور فيها فقال: (وأسماء تمران الفلج الصّفـري سيد التمور وذلك أنه يغرق في البحر فيمّاث سائـر التمـران ما خلا الصفـري ثم السري ثم اللصـف ثم الفحـاحيل ثم المجتنى ثم الجعـادي ثم الشـماريخ ثم المشمرخ ثم الصدفان ثم البياض ثم السواد وهما ألوان كثيرة ثم البرني...)[1] ولم يبق من هذه الأنواع باسمه القديم إلا السري والصفري، وأسماء أنواع التمور الحالية في الأفلاج غير السابقين نبت السيف والخشرم والسلّج والخصـاب والمقعي والمسكـاني وأم قوز والخـوّار والمكفـزي والخضري والحوض والرابي والدبياني وغيرها.. وإلى جانب التمور يوجد القمح وقد كان الناس يزرعونه ويلقون بزراعته المشقة والتعب وقد عاشت قرية «أسيلة» أزمنة مديدة تستقبل الزارعين للقمح على أراضيها حيث الأرض الـطيبة والماء الوفير.. ويزرع أهل الأفلاج بعض الخضروات حسب الحاجة إليها ولكل فصل أنواع معينة من الخضروات والفواكه وغالباً ما يقوم المزارع بعمل ذلك بنفسه أو من يساعده من أهل بيته...وكل هذه

(١) صفة جزيرة العرب، للهمداني ٣٠٧.

المحاصيل الزراعية لها تأثيرها الكبير على التجارة في هذه البلاد ولقد قامت وزارة الزراعة والمياه في هذه الدولة الفتية أدامها الله بجهود عظيمة في سبيل إصلاح الزراعة في المملكة كلها فأنشأت فروعاً لها في جميع مناطق المملكة تقوم بالإرشاد الزراعي وإعطاء القروض للمزارعين وتقدمت بذلك الزراعة في الأفلاج فهناك الرش المحوري للقمح والبيوت المحميّة لكثير من الخضروات، كل ذلك في سبيل إسعاد الناس ورفاهية عيشهم، وفي المجال التجاري كذلك فهناك حماية المستهلك والتسويق المنظم لبضائع التجار وتوفر جميع المأكولات والمشروبات وأنواع كثيرة لا حصر لها لم تكن موجودة في سالف الأيام، فما يصنع في شرق الدنيا أو في غربها يكون للمملكة منه النصيب الأعظم وكل ذلك بفضل من الله تعالى الذي بدل خوف هذه البلاد أمناً وجوعها رغداً ثم بفضل الجهود المتوالية والتخطيط الدقيق من قبل حكّام هذه الدولة ومسؤوليها. وفقنا الله جميعاً لشكر نعمه إنه جواد كريم... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢٧/ ٢/ ١٤١٢هـ

ليلى

ثبت المصادر والمراجع

١- **صفة جزيرة العرب للهمداني،**

تحقيق محمد بن علي الأكوع، أشرف على طبعه الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض.

٢- **بلاد العرب للأصفهاني،**

تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض.

٣- **معجم البلدان**

ياقوت الحموي، بيروت

٤- **عنوان المجد في تأريخ نجد،**

لابن بشر، وزارة المعارف، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

٥- **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار،**

لابن بليهد، مطبعة السنة المحمدية.

٦- **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر،**

لإبراهيم بن صالح بن عيسى، طبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية، ١٣٩١هـ.

٧- **المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب،**

عبدالرحمن بن حمد المغيري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف.

٨- **قلب جزيرة العرب،**

فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.

٩- **جمهرة أنساب العرب،**

علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بيروت.

١٠- **مدينة الرياض عبر أطوار التأريخ،**

حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.

١١- **التأريخ العربي وجغرافيته،**

أمين مدني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٢- **الطرائف الأدبية،**

عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية.

١٣- **علماء نجد خلال ستة قرون،**
للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

١٤- **مشاهير علماء نجد،**
عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ.

١٥- **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني،**
وزارة الثقافة بمصر.

١٦- **الكامل في التأريخ،**
لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ.

١٧- **الكامل في اللغة والأدب**
للمبرد، مؤسسة المعارف، بيروت.

١٨- **الأمالي،**
لأبي علي القالي، مطبعة السعادة.

١٩- **الشعر والشعراء،**
لابن قتيبة، تحقيق د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠- **لسان العرب**
لابن منظور، دار صادر.

٢١- **طبقات فحول الشعراء،**
لابن سلام الجمحي، تحقيق محمد شاكر، جامعة الإمام.

٢٢- **النقائض،**
لأبي عبيدة، ليدن، ١٩٠٥م

٢٣- **العقد الفريد،**
لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين.

٢٤- **المستطرف في كل فن مستظرف،**
للأبشيهي، دار الندوة، بيروت.

٢٥- **المصون في الأدب،**
للعسكري، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٦- **التعليقات والنوادر،**
لأبي علي الهجري، وزارة الثقافة العراقية.

٢٧- **حماسة أبي تمام،**
تحقيق د/ عبدالمنعم أحمد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة العامة، بغداد.

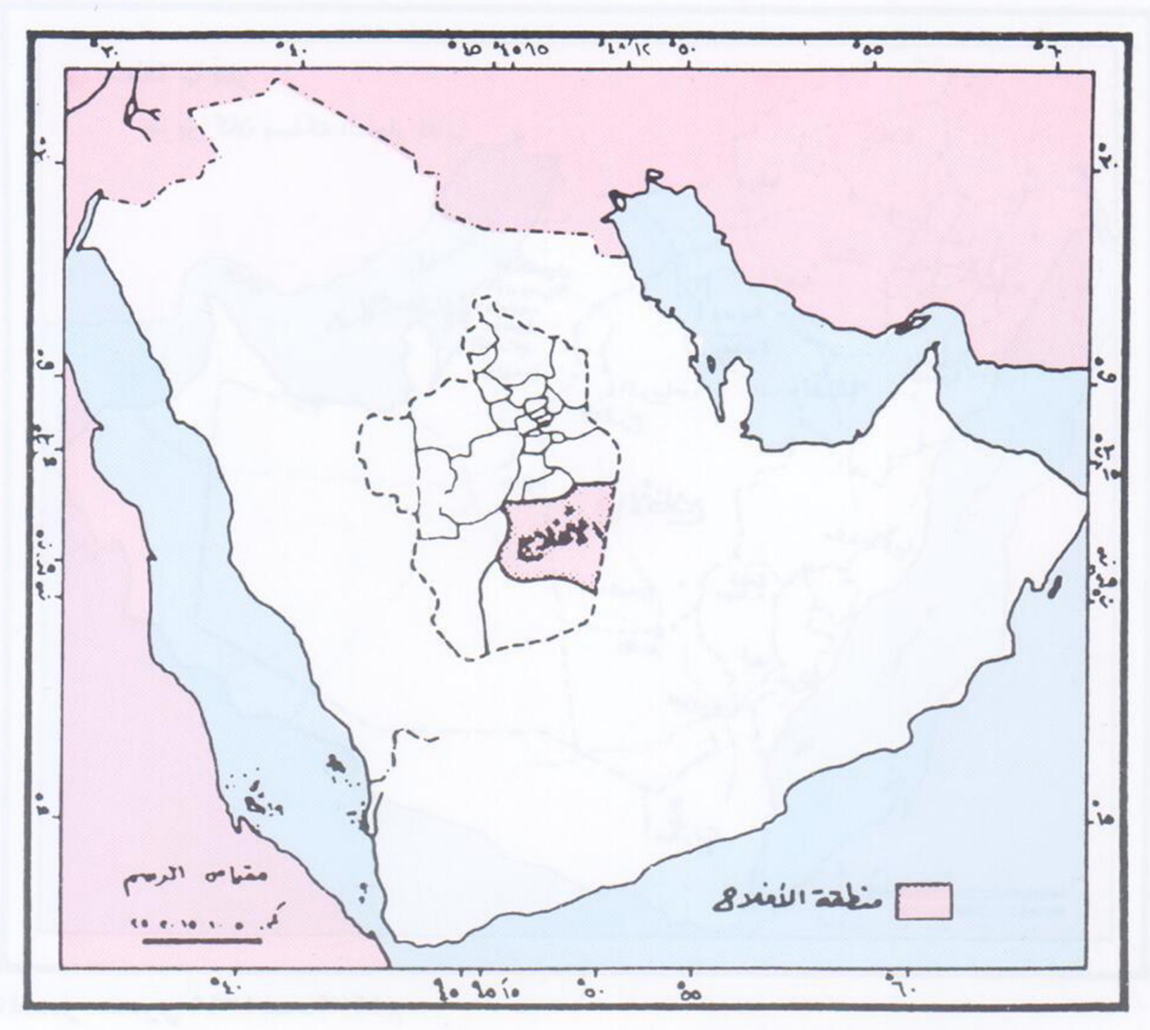
٢٨- **حماسة ابن الشجري،**
مطبعة مجلس دائرة المعارف.
٢٩- **بلاغات النساء،**
أحمد بن أبي طاهر، القاهرة.
٣٠- **لباب الألباب،**
أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد شاكر، المطبعة الرحمانية بمصر.
٣١- **ديوان النابغة الجعدي،**
تحقيق عبدالعزيز رباح، المكتب الإسلامي، دمشق.
٣٢- **ديوان المجنون،**
جمع وتحقيق د/ عبدالستار أحمد فراج، مكتبة مصر.
٣٣- **بسط سامع المسامر،**
مجاميع تيمورية، بدار الكتب.
٣٤- **شعراء قشير،**
د/ عبدالعزيز الفيصل، القاهرة.
٣٥- **العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين،**
جمع وتحقيق سعد الرويشد، مطابع دار الهلال، ١٤٠٠هـ.
٣٦- **أبو علي الهجري،**
جمع الشيخ حمد الجاسر، طبعة دار اليمامة، الرياض.
٣٧- **جمهرة النسب،**
لابن الكلبي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب.
٣٨- **وفيات الأعيان،**
لابن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
٣٩- **تأريخ أصبهان،**
لحمزة الأصبهاني، برلين.
٤٠- **الأخبار النجدية،**
محمد بن عمر الفاخري، جامعة الإمام.
٤١- **أصدق الدلائل في أنساب بني وائل (قبائل عنزة)،**
عبدالله العنزي، مطابع الفرزدق، الرياض.
٤٢- **الدولة السعودية الأولى (عهد عبدالعزيز بن محمد)،**
د/ منير العجلاني.
٤٣- **إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب،**
د.محمد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، الرياض.

٤٤- **تحفة الودود،**
عمر بن محمد بن محمود، دار الثقافة للطباعة.

٤٥- **المجلة الزراعية،**
العدد الأول عام ١٤٠٤هـ.

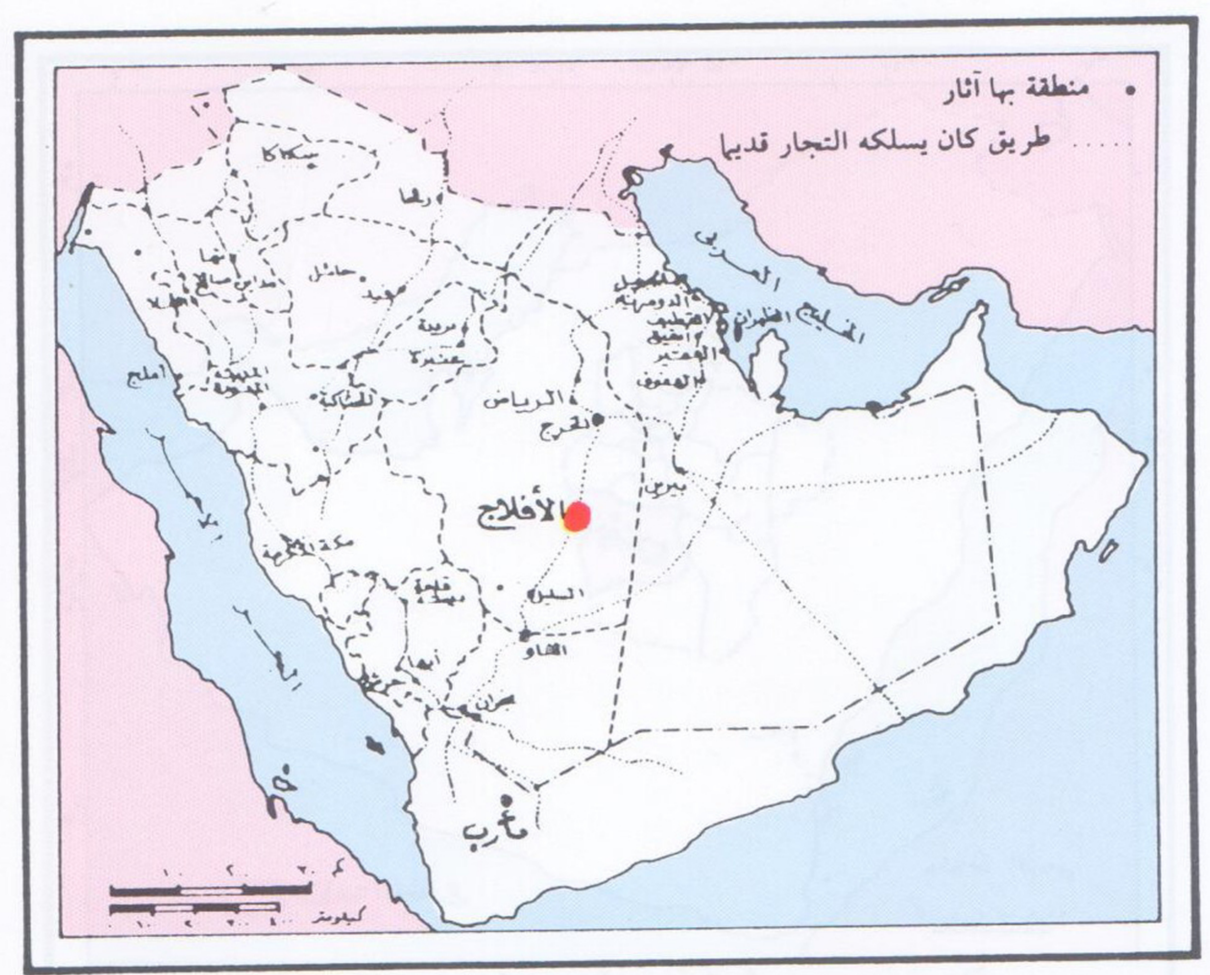
٤٦- **مجلة الوثيقة،**
العدد الأول عام ١٤٠٢هـ، والرابع ١٤٠٤هـ، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

ملحق الخرائط والصور



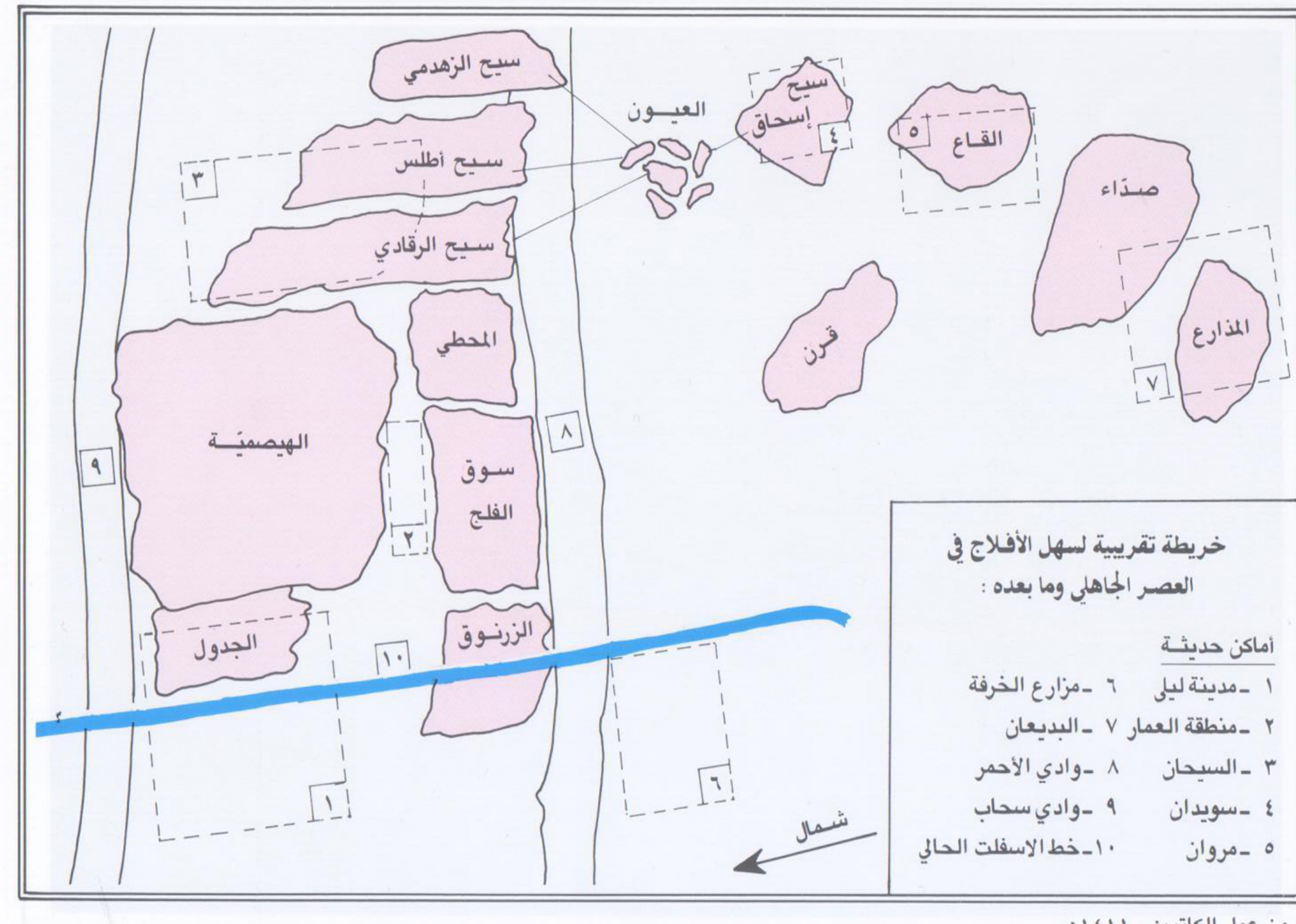
المصدر : عبدالرحمن النشوان ١٤٠٧هـ

موقع منطقة الأفلاج بالنسبة للمملكة



المصدر : مصري ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

مركز وطرق التجارة القديمة

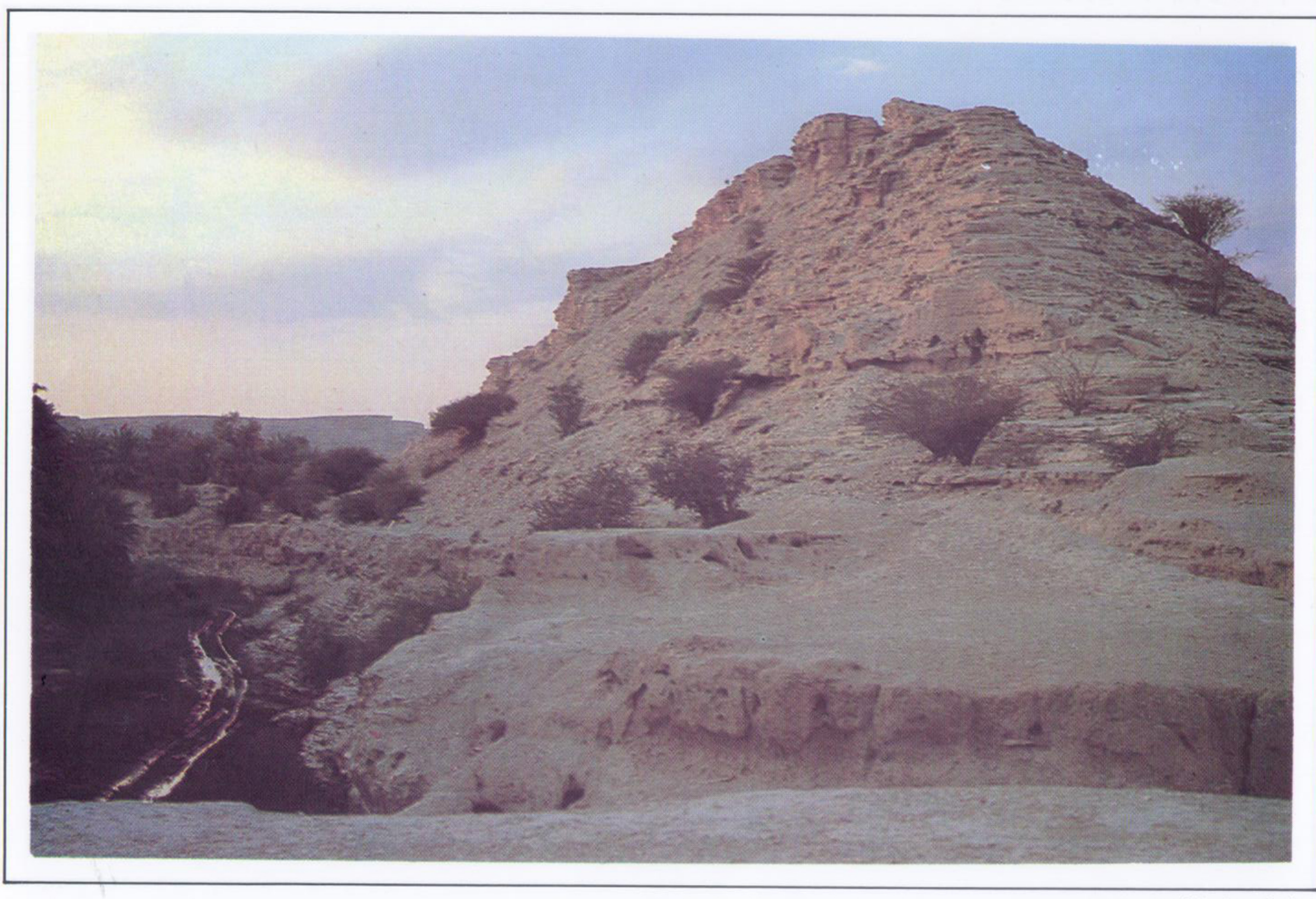


* من عمل الكاتبين ـ ١٤١١هـ

* المراجع: ١ ـ صفة جزيرة العرب للهمداني . ٢ ـ بلاد العرب للأصفهاني .



عين الرأس قبل أن تغور [تصوير عام ١٤٠٠هـ].



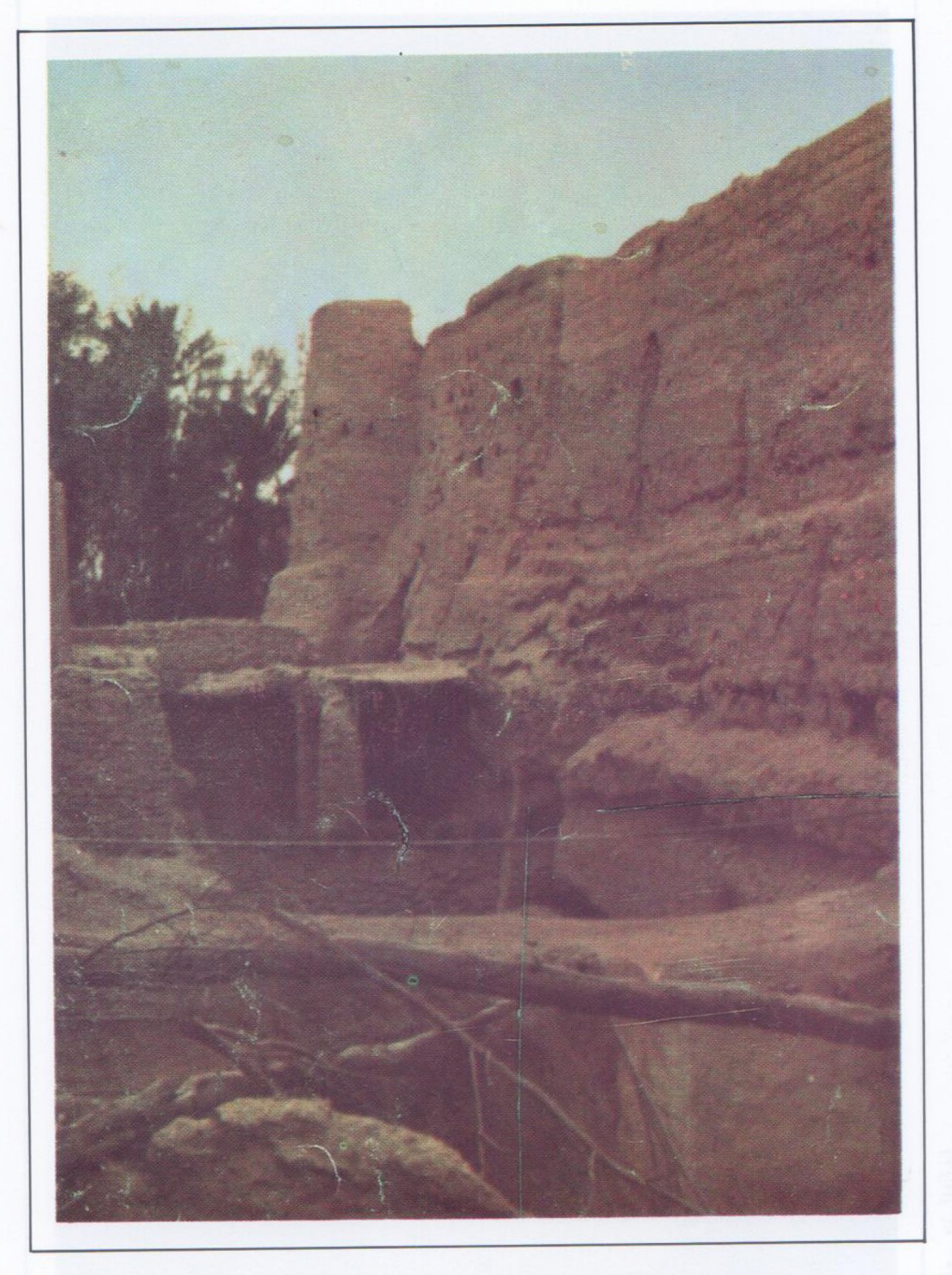
جبل التوباد الشهير ، الغيل



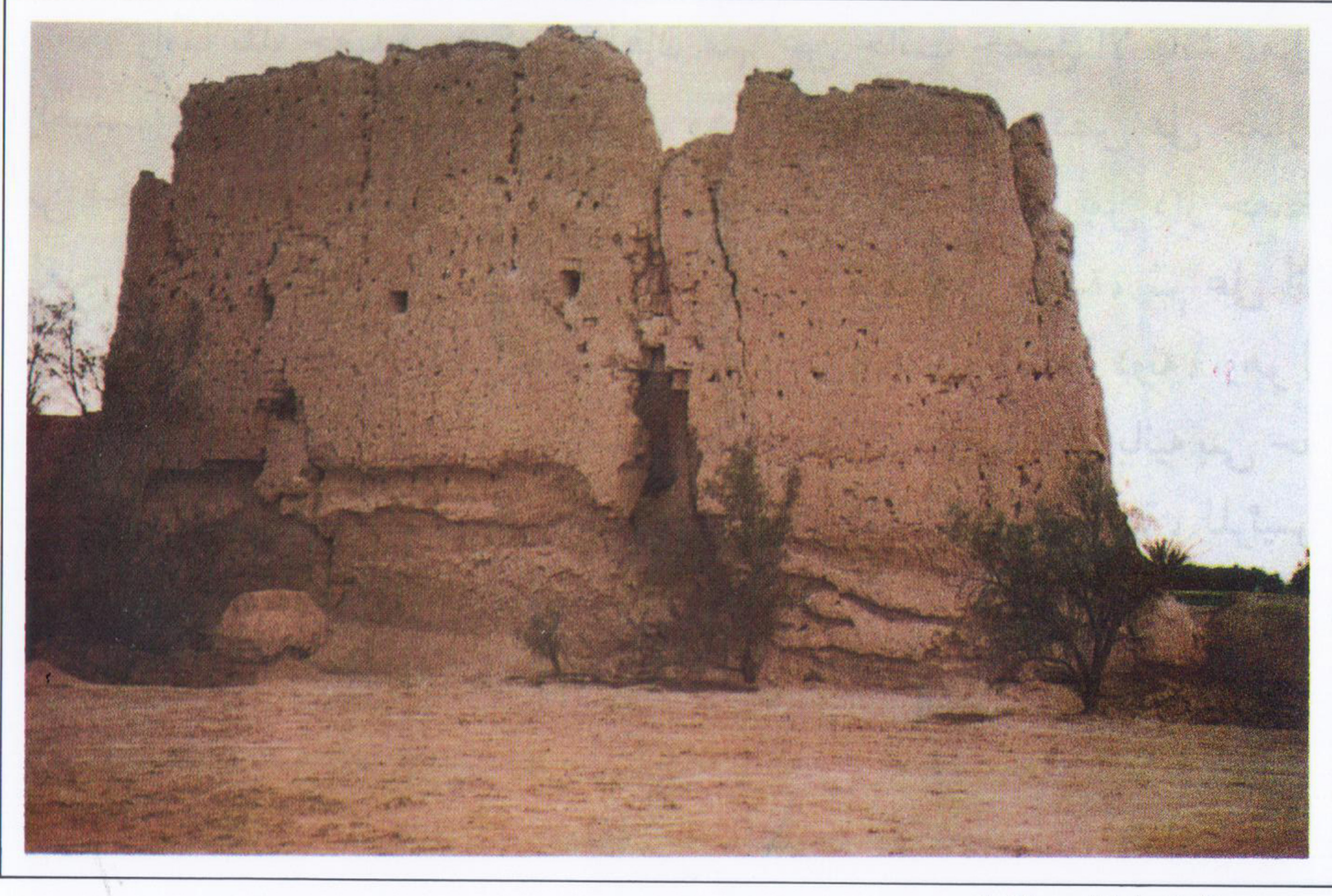
قصور جعدة في الجنوب الشرقي من السيح



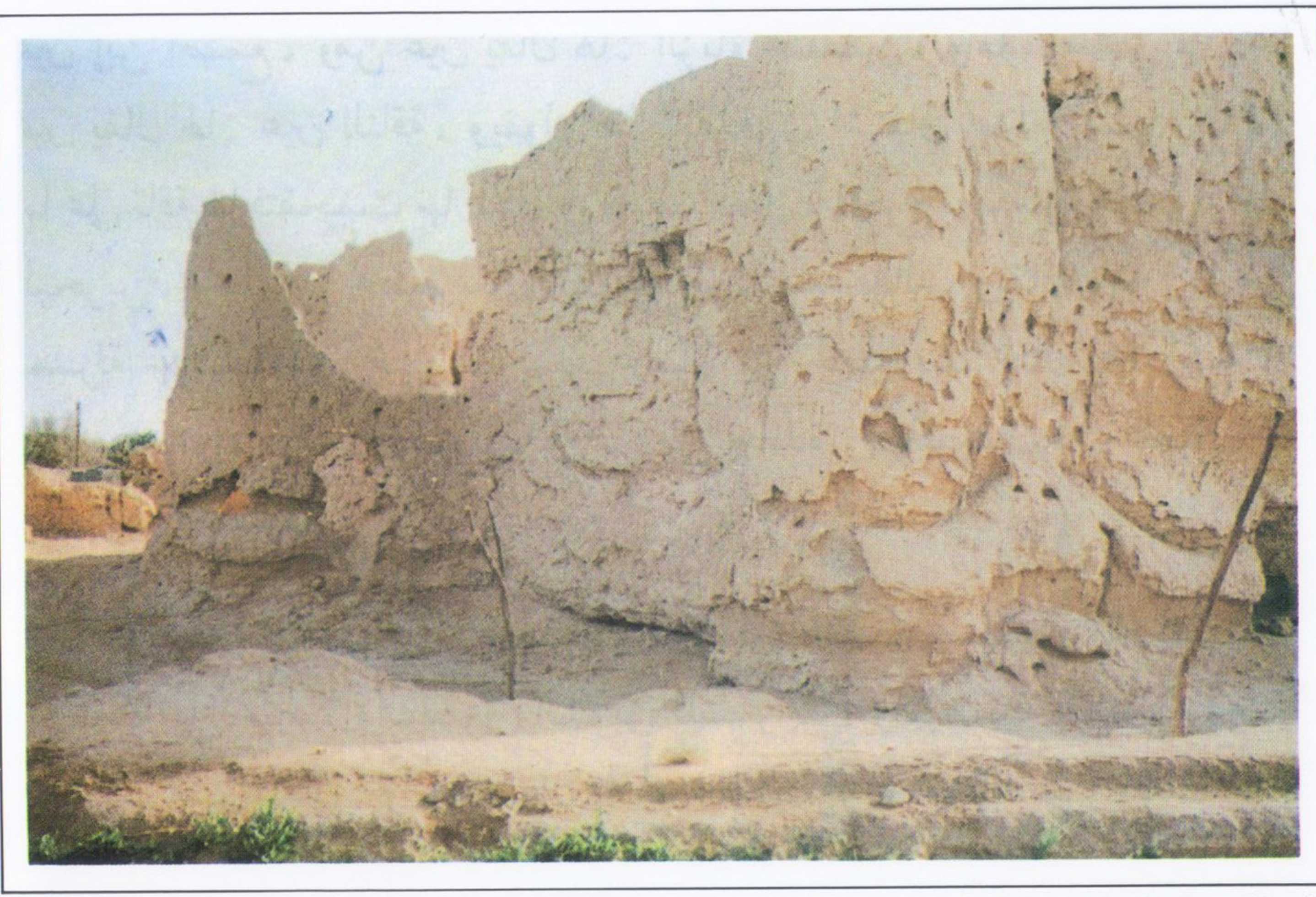
قصر سلمى من الداخل



قصر سلمى ويظهر الخندق من حوله . البديع الشمالي



حصن مرغم (العنقري) في السيح الشمالي



القصر العادي (الحائط) في السبيح الشمالي

المؤلف في سطور

- هو الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن سعود بن مفلح الجذالين الكثيري اللامي الطائي.
- ولد في مدينة ليلىٰ قاعدة منطقة الأفلاج غرة رجب عام ١٣٣٦هـ واشتهر عند الناس بلقب «ابن عيسوب».
- رحل إلى الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وأخذ عنه علم الفرائض، ودرس كذلك على الشيخ عبداللطيف بن محمد آل الشيخ إذ كان قاضياً في الأفلاج.
- أخذ كثيراً من المعلومات التأريخية والاجتماعية لمنطقة الأفلاج عن أبيه - رحمه الله - الذي أخذ عن جده الشيخ سعود بن مفلح الجذالين (١٢٤٨ - ١٣٣٥هـ) رحمه الله تعالى.
- استحوذت القراءة على معظم وقته منذ ستين سنة تقريباً، فنبغ في عدة علوم منها: «علم التأريخ والسِّيَر، علم الآثار، علم الفرائض، علم الأنساب، علم الفلك والحساب».
- حظي بمكانة عالية عند الناس، فتدفقت عليه أسئلتهم في الفرائض والتأريخ والفلك والأنساب فيجيب عليها إجابة الواثق بطريقة سهلة ممتنعة.
- هو مقصد الباحثين والإعلاميين القادمين لأخذ المعلومات التأريخية والاجتماعية وغيرها عن منطقة الأفلاج.
- صد له من المؤلفات :

  (١) شجرة نسب الجذالين، عملها سنة ١٣٨٨هـ.

  (٢) كتاب : الجذالين .. نسبهم وموجز تأريخهم

  (٣) كتاب : تأريخ الأفلاج وحضارتها

  وقد شرع في إملاء كتاب: «أحداث المائة الرابعة الهجرية بعد الألف»، . . .

  وله عدد من الأعمال في التأريخ والأنساب والفلك تنتظر الترتيب والإخراج، ونأمل أن يكون ذلك قريباً إن شاء الله.
- يسكن الآن مدينة ليلىٰ، أحسن الله خاتمته وأجزل مثوبته.

الكاتبان